النظرية السياسية

لدى الامام زين العابدين عليه السلام

محمود البغدادى


بسم الله الرحمن الرحیم

النظریه السیاسیه لدی الامام زین العابدین علیه السلام

کاتب:

محمود بغدادی

نشرت فی الطباعهٔ:

مجمع جهانی اهل بیت (علیهم السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

النظريه السياسيه لدى الامام زين العابدين(عليه السلام)

اشاره

سرشناسه : بغدادی، محمود

عنوان و نام پدیدآور : النظریه السیاسیه لدی الامام زین العابدین علیه السلام - محمود البغدادی

مشخصات نشر : قم: مجمع العالمی لاهل البیت، المعاونیه الثقافیه، ۱۴۱۵ = ۱۳۷۴.

مشخصات ظاهری : ۴۵۴ ص.نقشه

فروست : (المجمع العالمی لاهل البیت ۲۷)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

موضوع : علی بن حسین(ع)، امام چهارم، ۹۴ - ۳۸ق -- سیاست

موضوع : علی بن حسین(ع)، امام چهارم، ۹۴ - ۳۸ق -- سرگذشتنامه

رده بندی کنگره : BP۴۳/ب ۷ن ۶

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۴

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۴-۳۸۷۲

کلمه المجمع

بسم الله الرحمن الرحیم الحمد لله رب العالمین، والصلاه والسلام علی خاتم الانبیاء والمرسلین محمد وآله الطاهرین. انطلاقاً من الرساله التی حمل أعباءها «المجمع العالمی لاهل البیت (علیهم السلام)»، التی تتمثل بنشر المعارف الاسلامیه من منابعها الصافیه والتعریف بأهل البیت (علیهم السلام) ومدرستهم الرشیده، نقدم الیوم إلی قرائنا الاعزاء هذا السفر الجلیل الذی حاول مؤلفه الکریم أن یعرض من خلاله لمعات منیره من حیاه الامام زین العابدین وسید الساجدین علی بن الحسین علیه وعلی آبائه أفضل التحیه والسلام. والحقیقه أن هذا الامام و نظراً للظروف القاسیه التی عاشها خاصه بعد ثوره کربلاء وما رافقها وتبعها من مآس ومصائب انصبت علی أهل بیت النبوه وأتباعهم وشیعتهم، نتیجه لکل ذلک قضی (علیه السلام) حقبه طویله من حیاته بعیداً عن الاضواء ولم ینقل إلینا الرواه والمؤرخون إلاّ نبذاً یسیره منها، ومع ذلک فان هذا المقدار الذی عرفناه یشکل ماده ثریّه للدراسه والبحث والتحلیل، لکونها ملئیه بالعطاء وهی مدرسه قائمه بذاتها یستلهم منها العبر. هذا الکتاب حلقه جدیده فی سلسله

الدراسات التی تهدف إلی ربط المسلمین بأهل البیت (علیهم السلام) وتعریفهم علیهم، بقلم سهل واسلوب أدبی شیق یتناسب

مع

حاجات المجتمع، وينسجم مع الذوق العام، الامر الذى يفتح الطريق واسعاً أمام الفكره التى يحاول المؤلف إلقاء الضوء عليها وايصالها إلى القراء الكرام. والله من وراء القصد، وإنه ولى التوفيق. المعاونيه الثقافيه للمجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام)

الاهداء

الى الذين ينشدون الخطوات الجادّه لاحياء الاسلام وانقاذ امه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). والى الذين يبحثون عن الكنوز الضائعه تحت انقاض التأريخ. ارفع بين ايديهم هذه البحوث «النظريه السياسيه لدى الامام زين العابدين (عليه السلام)». آملًا توظيفها فى البناء السياسى والحضارى. محمود البغدادى جامعه النجف / ۱۴۰۳ه_ قال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا كان يوم القيامه نادى مناد من بطنان العرش: ليقم زين العابدين. فكأننى انظر الى ولدى على بن الحسين، يخطر بين الصفوف. تاريخ دمشق نسخه مصوره على النسخه الظاهريه بدمشق، وكفايه الطالب ص۴۴۸، ومناقب آل ابى طالب ج۴ ص۱۶۷، والصواعق المحرقه ص ۱۲۰، ومصادره كثيره.

على زين العابدين رؤيه فى الخط السياسى

المقدمه

اذا عرفت الاسلام معرفه واسعه فاحصه، فسوف لا تستغرب من ذلك العالم الكبير المتقشف، الذى ما برح يصوم النهار، ويقوم ناشئه الليل، وهى اشد وطأً وأقوم قيلا، حتى لقب بذى الثفنات، وأدهش الخافقين بعبادته وزهده وروحانيته. اقول: لا نستغرب منه إذا ما رأيناه علَماً من اعلام السياسه، ورجالاتها الافذاذ. لقد استطاع على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ان يجمع بين الشؤون، الروحيه والمنطلقات السياسيه، جمعاً لا يخامره التعسف ولا يشوبه الريب. فهو العابد المتهجد، الزاهد، الخاشع، الاواب. وهو المربّى المقاوم للظلم والاستبداد، والسند القوى للمستضعفين، ليشهد العالم ان الاسلام: دين الروحيه والعقيده ودين القياده والسياسه فلا فصل بين العباده والسياسه فى الاسلام، بل هما وحده متكامله بمنزله الروح والجسد. هذا اذا فهمنا الاسلام فهماً موضوعياً بعيداً عن مخططات الاستعمار والامبرياليه ومصالح المستغلين. يا ويل الذين لا يفهمون الاسلام او لا يريدون ان يفهموه الاّ من خلال العاطلين المتبطّلين والفئات الغافله عما يراد بها بمنأىً عن السياسه والنظم الحيويه الرائده لاسلامنا العظيم. يا

ويل الـذين لا يفهمون الاسـلام أو لا يريدون أن يفهموه إلاّ من خلال جهول أو حقود أو كل متكبر جبار لا يؤمن بيوم الحساب. يا ويل الـذين لا يفهمون الاسـلام أو لا يريـدون أن يفهموه إلاّ من خلال ذلك التطبيق الشائن الابتر للـدول التى تدعى الاسـلام، والاسلام منها برىء. من اسرار سياسه الامام على زين العابدين (عليه السلام) انه ذلك الانسان الذى تكنّ له الجماهير كل اجلال وإكبار وحب عميق، ولا أدلّ على ذلك من قصه الامواج البشـريه التى ارتادت بيت الله الحرام والتى ما اِن رأت على بن الحسـين (عليه السـلام) يريـد ان يشق طريقه حتى انفرجت له وافترقت، فكـان كـل فرق كالطود العظيم، من غير اتفاق سابق ومن دون امر صادر لها فى الوقت الذى كان فيه هشام بن عبدالملك مع موكبه الرسـمى محتفظاً بموطئ قدم له منتظراً ان يخف الزحام ليؤدى مناسك الحج. ومن اسرار سياسه على زين العابدين (عليه السلام) انه المتمكن من الضمير الشعبى حتى فى حاله انتهاج المواقف الصـلبه والحـدّيه، وانه الموقّر المهيب وإن توشـح بـاللين والتواضع، وهـذا هو السـحر الحلالـ فى السـياسه والمجتمع. ومن اسـرار سياسه على زين العابـدين (عليه السـلام) انه قام بالمنجزات الكبيره بعيـداً عن الوسائل الاعلاميه. ولكن الوسائل الاعلاميه ما فتأت تكرر ذكره فى محافلها وتمجـده طوعاً اوكرهاً. ولابـدّ ان يكون الامام زين العابـدين (عليه السـلام) شاعراً بهـذا المعنى الـذى قد ورد فى احدى الابتهالات الدينيه الرفيعه المستوى: وكم من ثناء جميل لست اهلاً له نشرته. ما تمتاز به سياسته الفضلى انها تستند الى قاعده فكريه وقانونيه عظمى تكاد ان تكون منقطعه النظير إذْ انه الاوحدىّ من علماء عصره استلهاماً للفكر الاسلامى واستيعاباً لقواعد التشريع.

من براعه سياسه على زين العابدين (عليه السلام) انه لم يكن منصرفاً الى ا لسياسه كل الانصراف، وانما كانت السياسه شأنا من شؤونه لا اكثر ومع هذا فقد حقق من المكاسب السياسيه ما يدهش الذين انصرفوا اليها انصرافاً تاماً وكانت شغلهم الشاغل طيله الحياه من ذوى العبقريه السياسيه، والاضطلاع، والجد، وقوه الاحتمال. اذا كان بعض مهره القاده يفرضه العدو والصديق على الحق، فان الامام زين العابدين (عليه السلام) فرضه الحق على الصديق والعدو. ويا رُبَّ راكع للحق يجعله الحق شمساً فى كبد السماء لا ـ يراها إلاّ ـ من رفع الرأس اليها. ان المؤلفات حول الامام على زين العابدين (عليه السلام) التى تتحدث عن حياته وشخصيته وسلوكه العام قليله جداً واما التى تتحدث عن خصوص سياسته فليس لها وجود. لذا جاء هذا الكتاب ـ باذن الله تعالى ـ محاوله لملء فراغ فى المكتبه الاسلاميه، وسد ثغره من ثغرات السياسه والتاريخ. ان منهجنا فى البحوث عن الامام زين العابدين (عليه السلام) قائم على كتابه بحوث كثيره وعلى مختلف الاصعده فيما يتعلق به تتضمن فيما تتضمن: سياسته، تفسيره للقرآن الكريم، انشطته الادبيه وغير ذلك، ثم قمنا بعمليه انتزاعيه للبحوث التى تتعلق بخطه السياسى، فجاءت فى كتاب مستقل.. وهكذا صنعنا بالنسبه للبحوث الاخرى. طبعاً مع اضافات وتنقيحات لاصل البحوث الواقعه فى الاطار العام. لقد ضمّ الكتاب عن سياسه زين العابدين مواضيع مثل: مع الحسين فى الثوره الخالده. موقفه من القياده السياسيه. سياسه تحرير العبيد. توجيه العلماء. المنعطفات السياسيه فى ادعيه الامام زين العابدين (عليه السلام). حركه الرسائل السياسيه، وغيرها. اى اننا اردنا ان نعرف خطه السياسى من ثنايا هذه المواضيع التى هى مصاديق او ملامح للخط. ان الخط السياسى للامام

زين العابدين (عليه السلام) هو خط الاسلام بلا ريب، بيد ان للخط السياسى فى الاسلام شُعباً وميادين كثيره قد اقتصر منها الامام زين العابدين (عليه السلام) على ما يوافق الملابسات، والظروف السياسيه، والاجتماعيه، مع فرضه وادخاله جمله من الاراء والمواقف على الملابسات والظروف. لم تكن سياسه الامام زين العابدين (عليه السلام) سياسه غامضه فحسب، بل غامضه جداً وعليها الف ستار وستار من التغطيه والتمويه التى خلقها الامام زين العابدين (عليه السلام) نفسه، فقد وضع لمسات خطه السياسى بما ينسجم مع الظروف القاهره، والاهوال المحيطه ويتناسب وحدّتها، وشده توترها. ان هذه هى العله فى عدم انكشاف خطه السياسى الى الان، حتى اعتقد الناس عامه بان لا سياسه له معللين ذلك بعدم امكانيه إتاحه فرصه للعمل السياسى، فان الظروف السياسيه الضاغطه والقاسيه التى اكتنفت حياه قوى المعارضه السياسيه وواجهتها بشده وعنف قد لوّحت بالعصا الغليظه لاقل افراد المعارضه، اذاً فما يكون مصير القائد المؤمل؟. واذا ما كُشفت خطوط سياسه ما، وشُخّص الكثيرون من رموز المعارضه، فان الدقه المتناهيه لسياسه الامام زين العابدين (عليه السلام) أبت إلّا ان تكون لغزاً من الالغاز، بل اشد خفاءً وتمويهاً. حتى ان القياده السياسيه على الرغم من عمليات الرصد والترقب ما استطاعت التوصل الى اكتشافها. ولعلك قد سمعت بالجفره الهيروغليفيه التى لم تكن يُعار لها اهميه، ولم يكن يظن أن لها مفاداً ومعنىً حتى اكتشف اسرارها شبوليون، فاذا بالمعانى تنهال عليه وهكذا كانت سياسه الامام زين العابدين. فهلمَّ الىّ لنسير معاً فى مجاهيل السياسه، واصبر نفسك معى فكأننا قد توصلنا الى حل العقده وكشف اللغز وعشنا فى رحاب سياسه الامام زين العابدين (عليه السلام). (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع

الشاهدين). محمود البغدادى

المنعطفات السياسيه فى أدعيه زين العابدين

الظروف السياسيه والاجتماعيه

ان دراسه الظروف السياسيه الحاكمه فى عهد الامام زين العابدين واستيعاب المتغيرات الاجتماعيه المعاصره له لتلقى الضوء على بعض الركائز الاساسيه فى انفجار تيار من الادعيه والمناجاه على لسان على زين العابدين (عليه السلام) ومن قلبه وضميره وفكره وسياسته. لقد عمّ الفساد آنذاك، وانتشر الترف، وساد اللهو الفاحش والغناء الخليع والمجون وغرق المجتمع فى نهر الخمر الجارى من قصور الخلفاء الى بيوت الاماء. ان مراجعه تاريخهم السياسى والاجتماعى ليوقفنا على ذلك ولسنا الان بصدد ذكر التفاصيل فانها لا حدود لها مودعه فى بطون التواريخ المختلفه ولكن يكفى ان نشير الى بعضها اشاره العابر ولنتخذ قطعه صغيره ولكنها كبيره الدلاله من كتاب مروج الذهب. «... وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمه على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه وعلى يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فاقبل على ساقيه فقال: اسقنى شربه تروّى عظامى ثم مِلْ فاسقِ مثلها ابن زياد صاحب السر والامانه عندى ولتسديد مغنمى وجهادى ثم امر المغنين فغنوا به. وغلب على اصحاب يزيد وعماله ماكان يفعله من الفسوق، وفى ايامه ظهر الغناء بمكه والمدينه، واستعملت الملاهى، واظهر الناس شرب الشراب. وكان له قرد يكنى بأبى قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشيه قد ريضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل... وعلى ابى قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشمر، وعلى رأسه قلنسوه من الحرير ذات الوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بانواع من الالوان» [۱] . ومما يدل على اللهو العابث والضياع ان شعر عمر بن ابى ربيعه ــ المعاصر لزين العابدين ــ

وهو شعر كثير وقلما يوجد فى شعراء زمانه من يضاهيه فى الكثره.. اقول يكاد ان يكون شعره كله جميعاً فى التغزل والتشبيب ومحاوره النساء وذكر اسماء العاشقات والمعشوقات والتفكّه باعراضهن. ان عمر بن ابى ربيعه وان كان قد فتح فى محاورته واسلوبه القصصى باباً فنياً واسعاً لم يسبقه اليه سابق فى هذه الصوره ولكن موضوع شعره يعبر عن الفراغ واللهو العابث الذى كان المجتمع منغمساً فيه. ولعل الامام زين العابدين (عليه السلام) قد اومأ ايماءه خفيه الى هذا الانحطاط والملذات المزريه، والفراغ القاتل. يقول صلوات الله عليه: كفى بالمرء عاراً ان تراه من الشأن الرفيع الى انحطاط على المذموم من فعل حريصاً عن الخيرات منقطع النشاط يشير بكفه امراً ونهياً الى الخدّام من صدر البساط يرى ان المعازف والملاهى مسببه الجواز على الصراط لقد خاب الشقى وظن عجراً وزال القلب منه عن النياط [٢] . ان الابيات توضح انه قد راى اشخاصاً ممن كان عليهم المعوَّل قد انساقوا مع المغريات و جرفهم التيار السياسى والاجتماعى الى مالا تحمد عقباه فإذا هم من الشأن الرفيع الى الانحطاط، والى الاقامه على الافعال الذميمه، والانقطاع عن الخير، وقد شغلتهم المعازف والملاهى. فى مثل هذه الظروف والمتغيرات الاجتماعيه الدكناء قد انبثقت أدعيه على زين العابدين (عليه السلام) حمماً بركانيه ضد الركام الهائل من الفساد الاجتماعى والانحطاط الاخلاقى والاحباط الروحى والتدهور السياسى. لقد كانت ادعيه الامام زين العابدين (عليه السلام) نداءً عالياً ان يا ايها الناس اذكروا الله وملائكته وانبياءه ورسله كذكركم سعيده وميّه وعزّه وبثينه وليلى ولبنى او اشد ذكرا.

الصوت الملائكى الجميل

ومن اجود ما يقوله وهو يوجه المجتمع الى الله تعالى ويدعوهم الى العيش الرغيد فى سُبُحات ذكره هذه

الترنيمه الرائعه، والصوت الملائكی الجميل المؤثر، الذی يشد الخلق الی الله والمثل الاعلی: الهی فألهمنا ذكرک فی الخلاء والملا، والليل والنهار والاعلان والاسرار، وفی السراء والضراء وآنسنا بالذكر الخفی، واستعملنا بالعمل الزكی، والسعی المرضی، وجازنا بالميزان الوفی. الهی بک هامت القلوب الواله، وعلی معرفتک جمعت القلوب المتباينه، فلا تطمئن القلوب إلّا بذكراک، ولا تسكن النفوس الا عند رؤياک انت المسبّح فی كل مكان، والمعبود فی كل زمان، والموجود فی كل أوان، والمدعو بكل لسان والمعظّم فی كل جَنان.. واستغفرک من كل لذه بغير ذكرک، ومن كل راحه بغير أنسک، ومن كل سرور بغير قربک، ومن كل شغل بغير طاعتک، الهی انت قلت وقولک الحق: (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً – وسبّحوه بكره واصيلا). فامرتنا بذكرک ووعدتنا عليه ان تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيما واعظاماً وها نحن ذاكروک كما امرتنا، فانجز لنا ما وعدتنا، يا ذاكر الذاكرين، ويا ارحم الراحمين [٣].

الدعاء رساله مفتوحه الی المجتمع

لقد كانت ادعيه الامام زين العابدين (عليه السلام) رساله مفتوحه الی المجتمع؟: يا من اتّقيتم سلطان الارض ألا تتقون سلطان السماء؟ يا من ارهبكم عذاب الدنيا، الا ترهبون عذاب الاخره اذ الاغلال فی اعناقهم والسلاسل يسحبون؟ اتخشون ملكاً إذ تعصونه مره واحده، ولا تخشون ملک الملوک وأنتم فی كل يوم له عاصون؟ تسیء اليكم الحكومات وانتم تطيعونها؟ ويحسن اليكم رب الارباب وانتم تخالفونه! اتقوا الله. ارهبوا الله. اخشوا الله، فان «رأس الحكمه خشيه الله». اللهم ان ملائكتک مشفقون من خشيتک، سامعون مطيعون لک وهم بامرک يعملون، لا يفترون الليل والنهار يسبّحون وانا احق بالخوف الدائم لاساءتی علی نفسی وتفريطها الی اقتراب أجلی. اللهم انی قد اكثرت من ذنب انا فيه مغرور

متحیر. اللهم انی قد اکثرت علی نفسی من الذنوب والاساءه واکثرت علیّ من المعافاه سترت علیّ ولم تفضحنی بما احسنت لی النظر واقلتنی العثره واخاف ان اکون فیها مستدرجاً فقد ینبغی لی ان استحی من کثره معاصیّ ثم لم تهتک لی ستراً... یا الهی انا الذی لم اعقل عند الذنوب نهیک ولم اراقب عند اللذات زجرک ولم اقبل عند الشهوه نصیحتک. رکبت الجهل بعد الحلم وغدوت الی الظلم بعد العلم... اللهم انک تجد من تعذّبه غیری ولا اجد مَن یرحمنی سواک، فلو کان لی مهرب لهربت، ولو کان لی مصعد فی السماء لصعدت او مسلک فی الارض لسلکت ولکنه لا مهرب لی ولا ملجأ ولا منجی ولا مأوی منک إلاّ الیک [۴] . هذا من جهه خشیه المجتمع من القیاده السیاسیه واجهزتها القمعیه، واما من جهه الطلبات الاستجدائیه التی تقدم للسلطه آنذاک بل فی غیر ذلک من الازمان، فکم یری الرائی الخلق متوجهین الی ارباب الحکم متوسلین الیهم، ولطالما کان دعاؤهم ایاهم اکثر من دعائهم الله الواحد القهار. وفی العصر الاموی بالذات توجهت اکثر الطبقات الاجتماعیه صوب الامویین بالدعاء والتوسل لاستدرار اموالهم وقضاء حوائجهم المختلفه حتی تلک التی تصیر بهم إلی المذله والاستکانه. لقد قال جریر الشاعر المعروف الذی کان معاصراً لزین العابدین (علیه السلام) یستجلب عطف الخلیفه: هذی الارامل قد قضّیت حاجتها فمن لحاجه هذا الارمل الذکر ونحن نسوق هذا الشاهد لا ـ لانه یمثل نفسیه احد الرجال فحسب، وانما باعتباره یمثل حاله نفسیه وظاهره عامه لدی الکثیر من البشر، بما فی ذلک المعاصرون للحکم الاموی. ومراجعه الحیاه الاجتماعیه والتاریخ السیاسی یوضح ذلک ایما توضیح. لقد علم علی زین العابدین (علیه السلام) بالوضع المأساوی المذکور

آنفاً وسمع ملء اذنيه الادعيه الطويله العريضه التى توجه صوب قبله القياده السياسيه. فمن ثم يناجى الله تبارك وتعالى ويدعوه دعاء الموقظ للمجتمع، والذى يزرق فى عضلاته مصل التنبيه والاحساس: «فصل على محمد و آل محمد وتولّ قضاء كلّ حاجه هى لى بقدرتك عليها وتيسير ذلك عليك وبفقرى اليك وغناك عنى فانى لم اصب خيراً الاّ منك ولم يصرف عنى سوءاً قط احدٌ غيرك، ولا ارجو لامر آخرتى ودنياى سواك... اللهم من تهيأ وتعبّأ واعدّ واستعدّ لوفاده الى مخلوق رجاء رفده ونوافله وطلب نيله وجائزته، فاليك يا مولاى كانت اليوم تهيئتى وتعبئتى واعدادى واستعدادى رجاء عفوك ورفدك وطلب نيلك وجائزتك» [۵] .

المنطلقات الاجتماعيه والسياسيه

لقد سبق الى الاذهان البعد الشخصى من ادعيه الداعين ــ بشكل عام ــ ومن بينهم الامام زين العابدين (عليه السلام). فهو يدعو استقاله من الذنوب وتوبه الى الله واستدراراً للرحمه والكرم الالهيين وتهذيباً للنفس ونحو ذلك، ولكننا اذا راجعنا الصحف السجاديه الاولى والثانيه والثالثه والرابعه والخامسه سوف نقع على الجماء الغفير من الادعيه والابتهالات التى تخرج عن ساحه البعد الشخصى الى حيث المنطلقات الاجتماعيه وغير ذلك، فكما انه لم يغفل البعد الشخصى من الدعاء كذلك قد ركز وبكل تأكيد على المنعطفات الاخرى اذ إن الادعيه ادويه لا حصر لها لامراض لا حصر لها. فتاره يدعو زين العابدين لنفسه ادعيه كثيره، وتاره يدعو لولده واخرى لجيرانه واوليائه ورابعه فى الاستسقاء، ومن ذلك دعاؤهُ لاهل الثغور ودعاؤه على الظالمين كما سيأتى الحديث عنهما، وهكذا فهو ينتقل من دائره لاخرى ومن منحىً الى منحىً، لتعم الفائده المرجوّه من الدعاء ويسعد الجميع. نعم، الجميع الاّ من اختار على عمد الشقاء وارتأى منهج الضلاله والانحراف. فهل يمكن

مثلاً ـ الارتياب فى النزعه السياسيه لهذا الدعاء الذى كان يناجى به امام المجتمع حيث الحشود المتقاطره فى عيد الاضحى والجمعه: «اللهم ان هذا المقام لخلفائك واصفيائك ومواضع امنائك فى الدرجه الرفيعه التى اختصصتهم بها... قد ابتزوها وانت المقدّر لذلك لا يغالب امرك ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك كيف شئت وانى شئت ولما انت اعلم به غير متهم على خلقك ولا ـ لارادتك، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتزين، يرون حكمك مبدّلا، وكتابك منبوذا، وفرائضك محرفه عن جهات اشراعك، وسنن نبيك متروكه» [۶] .

ثلاث نظرات

هناك ثلاث نظرات فيما يتعلق بالبعد الشخصى للدعاء وفى تفسيره. ونعتقد ان النظره الثالثه هى الصحيحه. النظره الاولى: ان الداعين بما فيهم القاده الرساليون كالرسول واهل بيته، انما يدعون من اجل انفسهم لا اكثر باعتبارهم بشراً تكتنفهم مختلف الاحتياجات الشخصيه لله عزّوجلّ فدعاؤهم اذاً دعاء شخصى خالص. النظره الثانيه: ان دعاء الرسول واهل بيته وغيرهم من القاده الرساليين انما هو من اجل المجتمع فحسب، ولا ـ صله لاشخاصهم فى ذلك باعتبارهم قد وصلوا الى درجه عليا من الوعى الرسالى والاجتماعى وتحمل اعباء المسؤوليه الجماعيه ونكران الذات، فهم يفكرون بالمجتمع لا ـ غير، غافلين اومتغافلين عن ذواتهم اى ان الغايه الوحيده من الدعاء هى التربيه غير المباشره والمباشره احياناً للمجتمع وتعليمه كيفيه الدعاء وعمليات التطهير لشوائب النفس وصوره الادب مع الله. النظره الثالثه: وهى النظره الجامعه بين النظرتين، ألا وهى الدعاء من اجل النفس ومن اجل المجتمع ايضاً. فى كثير من الاحيان كانت تصحب ادعيه زين العابدين وغيره دموع ساخنه، ولهفات لاذعه. فاذا كان دعاؤهم من اجل المجتمع لا غير فهذا يعنى ان تلك الدموع واللهفات مجرد قضيه تمثيليه فقط، وزين العابدين واولئك الداعون

أجلّ وازكى من ذلك كما هو واضح. واذا كانت جميع ادعيه زين العابدين وغيره من اجل نفوسهم لا اكثر من ذلك، فلماذا كانوا يعلّمون المجتمع ألواناً من الدعاء والمناجاه؟. وعلى سبيل المثال، لماذا أملى الامام زين العابدين (عليه السلام) الصحيفه السجاديه الكامله جميعها على ولده ابى جعفر محمد الباقر (عليه السلام). كما ان تلك الادعيه فى حاله الانفراد وفى حاله الاجتماع تصحح النظره الثالثه الجامعه ما بين النظرتين. دلائل العموم: يعرف عمومها من جهه صيغ الجمع كقول الامام زين العابدين (عليه السلام): «الهى فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق اليك فى حدائق صدورهم» [۷] ونحو ذلك كثير. ويعرف كذلك من جهه المدعو لهم كقوله: «اللهم لا تغلق على موحديك ابواب رحمتك...» [۸] فهو دعاء لمطلق الموحدين من الاولين والاخرين. ومن هذا القبيل ما مرّ من الاشاره الى مصاديق من ادعيته التى تتصف بالصيغ العموميه. ينبغى لفت النظر والقول بكل تأكيد الى ان نفس الادعيه التى تتسم بالطابع الشخصى فى مواضيعها او صيغها وتعبيرها، هى ايضاً ادعيه عامه من زاويه اخرى، إذ انها سياسه تربويه ومنهج نفسى يرتفع بالمجتمع ـ فى حاله استلهامه وتطبيقه عملياً ـ الى حيث المواقع المتقدمه التى تنفع النفع الكبير على صعيد الحياه الدنيا والاخره. يرتفع بالمجتمع الى حيث: سمو الذات والثراء الروحى وسعه الافاق السياسيه والتحرر من الجمود

من امثله الادعيه العامه

من دعاء الثغور: «اللهم صل على محمد وآله وحصّن ثغور المسلمين بعزتك وايّد حماتها بقوتك، واسبغ عطاياهم من جدتك. اللهم صل على محمد وآله وكثّر عدّتهم، واشحذ اسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم، ودبّر امرهم، وواتر بين مِيَرهم، وتوحّد بكفايه مؤنهم، واعضدهم بالنصر وأعنهم بالصبر، والطف لهم بالمكر. اللهم صل على

محمد و آله وعرِّفهم ما يجهلون، وعلِّمهم ما لا يعلمون، وبصّرهم ما لا يبصرون. اللهم صل على محمد وآله وأنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخدّاعه الغرور، وامحُ من قلوبهم خطرات المال الفَتون، واجعل الجنه نصب اعينهم، ولوِّح منها لابصارهم ما اعددت فيها من مسَاكن الخلد ومنازل الكرامه، والحور الحسان، والانهار المطّرده بانواع الاشربه، والاشجار المتدليه بصنوف الثمر حتى لا يهم احد منهم بالادبار، ولا يحدّث نفسه عن قرنه بالفرار. اللهم افلل بذلك عدوهم، واقلم عنهم اظفارهم، وفرّق بينهم وبين اسلحتهم، واخلع وثائق افئدتهم، وباعد بينهم وبين ازودتهم، وحيّرهم فى سبلهم، وضللهم عن وجههم، واقطع عنهم المدد، وانقص منهم العدد، واملا افئدتهم الرعب، واقبض ايديهم عن البسط، واخزم السنتهم عن النطق، ونكّل بهم مَن وراءهم، واقطع بخزيهم اطماع من بعدهم... اللهم اغز بكل ناحيه من المسلمين على من بإزائهم من المشركين، وامددهم بملائكه من عندك مردفين، حتى يكشفوهم الى منقطع التراب، قتلا فى ارضك، واسراً، او يقرّوا بانك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك... اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول اطراف المسلمين، وخذهم بالنقص عن تنقّصهم، وثبّطهم بالفرقه عن الاحتشاد عليهم. اللهم أخل قلوبهم من الامنه، وابدانهم من القوه، واذهل قلوبهم عن الاحتيال، واوهن اركانهم عن منازله الرجال، وجبّنهم عن مقارعه الابطال، وابعث عليهم جنداً من ملائكتك ببأس من بأسك كفعلك يوم بدر، تقطع به دابرهم، وتحصد به شوكتهم، وتفرّق به عددهم. اللهم وامزج مياههم بالوباء، وبالادواء، وارم بلادهم بالخسوف، والحّ عليها بالقذوف، وامرعها بالمحول، واجعل مِيَرهم فى أحصِّ ارضك، وابعدها عنهم، وامنع حصونها منهم. اصبهم بالجوع المقيم، والسقم الاليم. اللهم وايما غاز غزاهم من اهل ملّتك او مجاهد جاهدهم من

اتباع سنّتك ليكون دينك الاعلى، وحزبك الاقوى، وحظك الاوفى، فلقِّهِ اليسر، وهيّئ له الامر، وتولّه بالنجح، وتخيّر له الاصحاب واستقوِ له الظهر، واسبغ عليه فى النفقه، ومتِّعْه بالنشاط، وأطفِ عنه حراره الشوق، وأجرْه من غمِّ الوحشه، وأنسِهِ ذكر الاهل والولد، وآثر له حسن النيه، وتولّه بالعافيه، واصحبه السلامه، وأعفهِ من الجُبن، وألهمْهُ الجرأه، وارزقه الشده... اللهم وايما مسلم خلف غازياً او مرابطاً فى داره، او تعهّد خالفيه فى غيبته، او اعانه بطائفه من ماله، او أمدّه بعتاد، او شحذه على جهاد، او اتبعه فى وجهه دعوه، او رعى له من ورائه حرمه، فأجر له مثل اجره وزناً بوزن، ومثلاً بمثل وعوّضه من فعله عوضاً حاضراً، يتعجل به نفع ما قدّم، وسرور ما أتى، الى ان ينتهى به الوقت الى ما اجريت له من فضلك، واعددت له من كرامتك. اللهم وايما مسلم اهمّه امر الاسلام، واحزنه تحزّب اهل الشرك عليهم، فنوى غزواً، او همّ بجهاد، فقعد به ضعف او أبطأت به فاقه، او أخّره عنه حادث، او عرض له دون ارادته مانع، فاكتب اسمه فى العابدين، واوجب له ثواب المجاهدين، واجعله فى نظام الشهداء والصالحين» [۹] . من منهج القرآن: هل من الممكن بالنسبه لعلى زين العابدين وهو من ائمه تفسير القرآن، وحليفه أن يغفل عن منهج القرآن، واسلوبه فى الادعيه والتوجه الى الله شداً للمجتمع، واخذاً بيديه الى الحق المطلق، او فى توجيه الحوارق والخوارق من الادعيه ضد المجرمين والمستبدين وعبد الطاغوت؟. فذاك نبيّ الله نوح يبتهل الى الله: (ربّ لا تذر على الارض من الكافرين ديّاراً – انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الاّ فاجراً كفّارا) [۱۰] وقال تعالى: (وما كان قولهم الا

ان قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فی امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا علی القوم الکافرین) [۱۱] ومفاد الایه الاخیره عام فی جماعات کثیره قاتلت الی جانب الانبیاء بدلیل الایه السابقه (وکأیّن من نبی قاتل معه ربّیون کثیر...) ای ان هنالک تلاحماً مصیریاً وتوجهات موحده بین الضمائر والافکار والابتهالات لمختلف الذین یجمعهم الدرب اللاحب للجهاد مع شتی الانبیاء. وقال علی لسان الحواریین: (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاکتبنا مع الشاهدین) [۱۲] . منار للامه: هذا من ناحیه التوجه العام لجمله من آیات الادعیه العامه فیه والتی کان الامام زین العابدین عارفاً بها بلا ریب کما اشرنا قبل قلیل، واما من ناحیه ثانیه فان من یعرف شخصیه علی زین العابدین (علیه السلام) او یطّلع علی الخطوط العریضه فیها یدرک بوضوح ذلک البعد النفسی الرائع بل اکثر من بُعد من حیث التضحیه والفداء والایثار وحب الانسانیه والرفق والتحنن لها. فهل شغلته نفسه وحدها واراد لها الخیر وحدها، تارکاً للاخرین من غیر التفات واحساس بحالاتهم، واوضاعهم، ومسار حیاتهم، وتوجهاتهم؟ کما ان زین العابدین منار للامه، وزعیم عقائدی، ورائد من رواد الخیر والفضیله. انه الامام، اذاً لیس من المتوقع ان یترک الامه سدیً، والانسانیه جانباً، فکما ان علیه ــ من منطلق المسؤولیه الکبری ــ ان یدلهم علی الصواب والاستقامه، ویأخذ بایدیهم الی حیث السیاسه الالهیه، والنزعه الروحیه، ویدعوهم الی الله، فکذلک علیه ان یدعو لهم بالتوفیق والخیر والصلاح. ما ارید ان اقوله: ینبغی للقاده المبدئیین ان یعینوا الله علی الناس، ویعینوا الناس علی الله. ان یعینوا الله علیهم، بان یرشدوهم الیه، ویعینوهم علیه بان یسترحموه لهم. اذ ان من الواضح وجوب الارشاد، والتربیه، والتوجیه ووجوب استرحام الله، واستعطافه. وبعباره

اخری: ان علی قاده الشعوب ان یـدعوهم الی الله ویـدعوا الله لهم. ومن امثله الادعیه العامه هذا الدعاء الذی دعا به زین العابدین فی الیوم الثالث عشـر من شـهر رمضان المبارک وهو دعاء علی الظالمین. ان شـهر رمضان افضل الشـهور عند الله وفیه لیله القدر التی هی خیر من الف شـهر وهو شـهر العباده والصـیام والانابه الی الله تعالی او کما قال زین العابـدین: «وهذا شـهر الصـیام وهذا شهر القیام، وهذا شـهر الانابه، وهذا شـهر التوبه وهذا شـهر المغفره والرحمه، وهذا شـهر العتق من النار والفوز بالجنه». فاذا اخذنا بنظر الاعتبار الایحاءات الروحیه والاجواء العبادیه لشـهر رمضان المبارک، وکذلک الاعمال العبادیه الخاصه، وألوان التزلف الی الله التی کـان یقوم بها الامام زین العابـدین فی شـهر رمضان؛ فان هـذا یکفی للتـدلیل علی ان زین العابـدین (علیه السـلام) وهو یـدعو الله علی الظالمین فی مثل هذا الشـهر انما کان یجمع بین التهجد والانابه الی الله، وبین التصدی والمقاومه، وبین الدعاء من جهه و بین السـیاسه من جهه ثـانیه. وهکـذا قـال الامـام زین العابـدین (علیه السـلام): «اللهم ان الظلمه جحـدوا آیاتـک، وکفروا بکتابـک، وکـذّبوا رسـلک، واسـتنکفوا عن عبادتـک، ورغبوا عن ملّه خلیلک، وبـدّلوا ما جاء به رسولک، وشـرعوا غیر دینک، واقتدوا بغیر هداک، واستنّوا بغیر سننک، وتعدّوا حدودک، وسعوا معاجزین فی آیاتک، وتعاونوا علی اطفاء نورک، وصدّوا عن سبیلـک، وکفروا نعمـاءک، وشـاقّوا ولاـه أمرک، ووالوا أعـداءک، وعـادوا أولیـاءک، وعرفوا ثم انکروا نعمتـک، ولم یـذکروا آلاءک، وأمنوا مکرک، وقست قلوبهم عن ذکرک، واجترؤوا علی معصـیتک، ولم یخافوا مقتک، ولم یحـذروا بأسک، واغترّوا بنعمتک. اللهم انهم اتخذوا دینک دغلاً، ومالک دولا، وعبادک خولا. اللهم افتت اعضادهم، واقهر جبابرتهم، واجعل الدائره

عليهم، واقضـض بنيانهم، وخالف بين كلمتهم، وفرّق جمعهم، وشتّت امرهم، واجعل بأسهم بينهم، وابعث عليهم عذاباً من فوقهم ومن تحت ارجلهم، واسفك بايدى المؤمنين دماءهم، وأورث المؤمنين ارضـهم وديارهم واموالهم. اللهم ضـلِّل اعمالهم، واقطع رجاءهم، وادحض حجتهم، واستدرجهم من حيث لا يعلمون، وائتهم بالعذاب من حيث لا يشعرون، وانزل بساحتهم ما يحذرون، وحاسـبهم حساباً شديـداً، وعـذّبهم عذاباً نُكرا، واجعل عاقبه امرهم خسـرا. اللهم انهم اشتروا بآياتک ثمناً قليلاً، وعتوّا عتواً كبيرا. اللهم انهم اضـاعوا الصـلوات، واتبعوا الشـهوات. اللهم ادفع عن وليـك، وابن نبيک، وخليفتک، وحجتک على خلقک، والشاهد على عبادک، المجاهـد المجتهد فى طاعتک...». ومن هذا الدعاء: «اللهم اشـعب به صدعنا، وارتق به فتقنا، والمم به شـعثنا، وكثر به قلتنـا، واعزز به ذلّتنـا، واقض به عن مغرمنـا واجبر به فقرنـا، وسـدَّ به خلّتنا، وأغن به عائلنا، ويسـر به عسـرنا، وكفّ به وجوهنا، وانجـح به طلبتنا، واسـتجب به دعاءنا، واعطنا به فوق رغبتنا، واشف به صـدورنا، واهـدنا به لما اختلف فيه من الحق، يا رب انک تهدى من تشاء الى صراط مستقيم. اللهم أمت به الجور، واظهر به العدل، وقوّ ناصره، واخذل خاذله، ودمِّر من نصب له، وأهلک مـن غشـه، واقتـل به جبـابره الكفر، واقصم رؤوس الضـلاله...» [١٣] . فضـح الهويه السياسـيه: يتصـدى هـذا الـدعاء لفضح الهويه السياسيه والعقائديه للظالمين، والكشف عن اساليبهم ومخططاتهم فى المجتمع والدوله. ويقصد بهم الجهاز الحاكم آنذاک اذ ان زين العابـدين معروف برؤيته السياسـيه والعقائديه لهم، وفى عده مواقع من هذا الكتاب ما يوضح ذلک لا سـيما فى بحث مواقفه من القياده السياسيه. ولكن الامام زين العابدين (عليه السلام) قد وصف الجماعه الحاكمه بالكفر: «وكفروا بكتابک» وهل يمكن ان يوصف بالكفر

من يشـهد ان لا اله الاّ الله وان محمداً رسول الله؟. والجواب أننا اذا عرفنا رؤيه زين العابدين (عليه السـلام) لمعاصريه من الحكّام لاـ نسـتغرب اطلاـقه الكفر عليهم أخـذاً بقوله تعـالى: (ومن لم يحكم بمـا انزل الله فاولئك هم الكافرون) [۱۴] . واما أداء شـعائر اسـلاميه من قبيل الصلاه والصيام والحج، فقد قال وهو يصف الجماعه: «اللهم انهم أضاعوا الصلاه واتّبعوا الشهوات». والظاهر انه يقصد من ذلک ان لا اعتبار بأداء الشعائر بعد تفريغها من المحتوى، وقد قال تعالى: (ان الصلاه تنهى عن الفحشاء والمنكر) [۱۵] ، فـاذا لم تنه عن الفحشـاء والمنكر فليست بصـلاه. ومن قبيـل السؤال السـابق حول وصف الجمـاعه بـالكفر وصـفه لهـا بتكـذيب الرسل، «وكـذبوا رسـلک». والجواب ان التكذيب قسـمان: القسم الاول: هو الاعتقاد بان الله تعالى لم يبعث الرسل وانما ادّعوا امراً ليس لهم، اى نفى اصل الرسالات الالهيه. القسم الثانى: هو عـدم الاقتـداء بهم والعمل على خطهم وسـنتهم وهـداهم، او كما قال زين العابدين (عليه السـلام): «ورغبوا عن مله خليلک، وبدّلوا ما جاء به رسولک». لم يكن الحكّام فى عصـر الامام زين العابدين (عليه السـلام) كلهم على وتيره واحده من جميع الجهات الاعتقاديه والعمليه، فلذا لا نعرف على وجه القطع والتفصيل ماذا يقصد بأبعـاد فقره «وكـذبوا رسـلک». فربما قـد جعل بعض الحكّام ضـمن القسم الاول وجعل بعضـهم ضـمن القسم الثانى. بين سياسـه الـدعاء وسـياسه القرآن: ان محـاربه الظـالمين وفضـح مخططـاتهم التـآمريه جزء لاـ يتجزأ من رسـاله المسـلم. ان عـداء الظـالمين والتصـدى لهم سـياسه قرآنيه، لاـ لبس فيها، ولا غبار عليها. فى القرآن الكريـم آيات كثيره فى القـدح بالظالمين ولعنهم والـدعوه الى اعلان الحرب عليهم. رساله الامام زين العابدين (عليه السلام)

وسياسته انما تستند الى مبادئ من رساله القرآن وسياسته فى مواجهه الظالمين. بخصوص الدعاء على الظالمين المذكور قبل قليل نلاحظ عليه سيماء القرآن، فهو بين فقرات مستمده من سياسه القرآن وبين فقرات منسجمه معها، وبين فقرات ناظره اليها. وتفصيل ذلك: ١ ـ سياسه الدعاء: ان الظلمه حجدوا آياتك. سياسه القرآن: (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) [١۶] . ٢ ـ سياسه الدعاء: وكفروا بكتابك. سياسه القرآن: (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) [١٧] . ٣ ـ سياسه الدعاء: وتعدّوا حدودك. سياسه القرآن: (ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون) [١٨] . ۴ ـ سياسه الدعاء: واقطع دابرهم. سياسه القرآن: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا الحمد لله رب العالمين) [١٩] . ۵ ـ سياسه الدعاء: واشف صدور المؤمنين. سياسه القرآن: (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) [٢٠] . ويمكن ان نضيف لما سبق الدعاء التالى. ۶ ـ سياسه الدعاء: وحاسبهم حساباً شديداً وعذّبهم عذاباً نكرا واجعل عاقبه امرهم خسرا. سياسه القرآن: (وكأين من قريه عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكرا - فذاقت وبال امرها وكان عاقبه امرها خسرا) [٢١] .

تنبيهات

١ ـ فى دعاء الامام زين العابدين (عليه السلام) على الظالمين من قوله «اللهم ادفع عن وليك وابن نبيك» الى آخر الدعاء.. انما يقصد بذلك المهدى المنتظر. وفى الدعاء الذى ذكرنا مختاره توجد عده فقرات تدل عليه سواء من التى ذكرت او التى لم تذكر. وقد ذكر هذا المقدار من الفقرات حوله باعتباره اكبر مصداق مؤمل يظهر الله تبارك وتعالى به العدل ويبير به الظالمين. ٢ ـ فى عباره: «وفى

خصوص الدعاء على الظالمين المذكور قبل قليل نلاحظ عليه سيماء القرآن».. ينبغى ان يفهم ان عليه سيماء القرآن لا من حيث التعبير والبيان فحسب، بل من حيث المحتويات السياسيه والاهداف كذلك. ٣ _ قُدّمت الامثله من سياسه الدعاء على الامثله من سياسه القرآن لسبب فنى. وإلّا فان كلام الله تعالى مقدم على كلام البشر كما هو واضح.

المنجزات السياسيه لادعيه الامام زين العابدين

اشاره

والان ينبغى ان نذكر اهم المنجزات السياسيه لادعيه الامام زين العابدين (عليه السلام).

تحديد الخط القيادى

اشاره

ايتها الامه ان كان اختلافك رحمه فى تعيين القائد، فان غلبه الاشرار ليست من الرحمه فى شىء. نعم ربما كان الاختلاف فى تعيين القائد رحمه ولكن لا ينبغى التأكيد على هذا المعنى. فاذا كان رحمه فى بعض الاحايين، ودليلًا على الوعى واليقظه، فانه طالما كان مصدراً للشرور ونجوم النفاق والضعف والهوان، وتصاعد الخلافات الفرعيه. واذا كان اختلاف الرأى لا يفسد فى الود قضيه _ كما يقال _ فمن غير الصحيح التركيز على هذا التوجه فانه لا يصحّ إلّا فى حالات قليله، وغالباً ما يكون اختلاف الرأى مدعاه للفساد والتدهور، وتفخيم الاحقاد الكوامن، لا سيما فى اكثر بلدان الشرق فان الحريه فى الرأى والسلوك هى الغالبه عليها. لقد قال تعالى وقوله الحق _ والحق احق ان يُتّبع _: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين). فالايه المباركه تقرر ان التنازع آيه الفشل، وذهاب القوه. وقال تعالى: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات). لقد استشهد الامام على زين العابدين (عليه السلام) بالايه الثانيه ناعياً على الامه تشتت الكلمه وانعدام الوحده [٢٢] . ان الخلافات فى القضايا السياسيه والحيويه ظاهره طبيعيه ولكن ليس كل ظاهره طبيعيه يُستشف منها القوه او الجمال: الاستغلال والجشع فى المستعمرين ظاهره طبيعيه. الاستلاب الحضارى ظاهره طبيعيه. تبرير مواقف الظالمين والمستبدين ظاهره طبيعيه. الكذب، الغدر، التملق الذليل، كلها من الظواهر الطبيعيه. ولو لا خشيه الابتعاد عن صلب الموضوع لكان التفصيل مرغوباً فيه، فهل ترى فى شىء من هذه الظواهر الطبيعيه عنصراً من عناصر القوه او النفع او الجمال للمبادئ او الانسانيه؟ انت وما

ارتأيت.

الوان قياديه

هذا الحديث عن الخلافات السياسيه من حيث كونه فكره سياسيه عامه وامّا عن خصوص عصر الامام زين العابدين _ اى العصر الاموى _ فنستطيع ان نلاحظ عليه انفجار الاوضاع الامنيه، وارتفاع الخط البيانى للخلافات الفكريه والنزاعات المسلحه حول طبيعه الحكم ومَن الحاكم. لقد شحنت الرقعه الجغرافيه الواسعه للعالم الاسلامى بالوان القيادات. أ _ منها القياده السفيانيه. ب _ ومنها القياده المروانيه. ج_ _ ومنها القياده الزبيريه. د _ ومنها القياده الخارجيه بل قيادات الخوارج اذ أصبحوا فئات ولكل فئه قائد. ه_ _ ومنها قياده عبيد الله بن الحر الجعفى [۲۳] . فى خضم هذه الاجواء السياسيه والعسكريه المتناقضه لابد لمثل الامام زين العابدين (عليه السلام) من ان يبصّر بالحقيقه ويدل على سواء السبيل لان مثل أمر تعيين القياده لا يمكن ان يُترك سدىً، او يسكت عن اعطاء وجهه النظر الشرعيه حوله. وباعتبار ان زين العابدين (عليه السلام) إمام من ائمه الاسلام وفى اعلى درجات العلم والمعرفه بالمفاهيم الاسلاميه وأحكام القرآن والسُّنه حتى ان من يعدون فى الخط الموازى له تمام الموازاه يذعنون الاذعان الكامل بانه العالم الاوحدى فى عصره. ومن كلام لعبد الملك بن مروان يخاطب به الامام زين العابدين (عليه السلام): ولقد اوتيت من الفضل والعلم والدين والورع مالم يؤته احد مثلك ولا قبلك إلّا من مضى من سلفك.

خلفاء الارض

فلننظر الان من خلال ادعيه الامام زين العابدين (عليه السلام) الى من كان يشير بالقياده من بين الامه الاسلاميه. المثال الاول: «ربّ صل على اطايب اهل بيته الذين اخترتهم لامرك، وجعلتهم خزنه علمك، وحفظه دينك، وخلفاءك فى ارضك، وحججك على عبادك، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بارادتك، وجعلتهم الوسيله اليك، والمسلك الى جنتك» [۲۴]

. المثال الثانی: «ومتقرب الیک بنبیک (صلی الله علیه وآله وسلم) احب خلقک الیک، وأکرمهم لدیک، وأولاهم بک، واطوعهم لک، واعظمهم منک منزله، وعندک مکانا، وبعترته صلی الله علیهم الهداه المهدیین الذین افترضت طاعتهم، وامرت بمودتهم.. وجعلتهم ولاه امرک بعد نبیک (صلی الله علیه وآله وسلم). اسألک بحق نبیک محمد (صلی الله علیه وآله وسلم)، واتوسل الیک بالائمه (علیهم السلام) الذین اخترتهم لسرِّک، واطلعتهم علی خفیک، واخترتهم بعلمک، وطهرتهم، واخلصتهم، واصطفیتهم، واصفیتهم، وجعلتهم هداه مهدیین، وائتمنتهم علی وحیک، وعصمتهم عن معاصیک ورضیتهم لخلقک، وخصصتهم لعلمک، واجتبیتهم، وحبوتهم، وجعلتهم حججاً علی خلقک، وامرت بطاعتهم علی من برأت بمعنی (خلقت)» [۲۵] .

وتوجد لزین العابدین ادعیه اخری فی هذا المضمار تکشف عن الجهاز القیادی الذی ینبغی ان یکون علی رأس الامه الاسلامیه ویقود الساحه.

نشر الاخلاق الرسالیه

اشاره

اضافه شرط (الرسالیه) اضافه ضروریه تمییزاً للون الاخلاقی و تحدیداً لفلسفته ومفاهیمه. فثم فارق ملحوظ فی کثیر من الاحیان بین اخلاق المسلم وبین اخلاق الرساله الاسلامیه. وقد تلتقی اخلاق المسلم فی جمله من المفردات الاخلاقیه مع اخلاق الرساله الاسلامیه. کان زین العابدین فی الذروه العلیا من الطبقه الواعیه استجلاءً لاخلاق القرآن ونشراً لها بین المجتمع، وتحدیداً لمفاهیم الاسلام وتعالیمه فی التربیه والسلوک. ومن اجل التأکید علی الاهمیه القصوی للاخلاق والتربیه فی الرساله الاسلامیه کان سلام الله علیه یقول: ان احبکم الی الله احسنکم عملا، وان اعظمکم عند الله عملاً اعظمکم فیما عند الله رغبه، وان انجاکم من عذاب الله اشدکم خشیه لله، وان اقربکم من الله اوسعکم خلقاً، وان ارضاکم عند الله اسبغکم علی عیاله، وان اکرمکم عند الله اتقاکم لله. ولزین العابدین (علیه السلام) کلام طویل یعدد فیه الذنوب وانعکاساتها السلبیه

فی الحیاه الدنیا علی الفرد والمجتمع ومن ذلک قوله: الذنوب التی تنزل البلاء: ترک اغاثه الملهوف وترک معاونه المظلوم، وتضییع الامر بالمعروف والنهی عن المنکر. والذنوب التی تدیل الاعداء: المجاهره بالظلم، واعلان الفجور، واباحه المحظور، وعصیان الاخیار والانقیاد الی الاشرار. لقد فصل الامام زین العابدین (علیه السلام) فی الاخلاق الاسلامیه التی لابد ان یتحلی بها المسلم او یستقی منها باعتبارها منهلًا عذباً قلیل النظیر. لقد جاء تفصیله للاخلاق الاسلامیه فی نصوص کثیره جداً والذی یهمنا منها الان النصوص التی وردت بصوره ادعیه ومناجاه اذ انها موضوع البحث. النصوص الدُعائیه فی الاخلاق والتربیه عند الامام زین العابدین (علیه السلام) علی قسمین: قسم ورد ضمن ادعیه اخری، وقسم ورد نصوصاً مستقله. ونسوق لک الان منها مثالین فحسب:

المثال الاول

اللهم صل علی محمد وآله، وسددنی لان أُعارض من غشنی بالنصح، وأجزی من هجرنی بالبر، واثیب من حرمنی بالبذل، واکافی من قطعنی بالصله، واخالف من اغتابنی الی حُسن الذکر، وان اشکر الحسنه، واغضی عن السیئه. اللهم صلی علی محمد وآله، وحلّنی بحلیه الصالحین والبسنی زینه المتقین فی بسط العدل، وکظم الغیظ، واطفاء النائره وضم اهل الفُرقه، واصلاح ذات البین، وافشاء العارفه، وستر العائبه، ولین العریکه «الطبیعه» وخفض الجناح، وحسن السیره، وسکون الریح، وطیب المخالقه، والسبق الی الفضیله، وایثار التفضل، وترک التعییر، والافضال علی غیر المستحق، والقبول بالحق وان عزّ، واستقلال الخیر وان کثُر من قولی وفعلی، واستکثار الشر وان قلّ من قولی وفعلی، وأکمل ذلک لی بدوام الطاعه، ولزوم الجماعه، ورفض اهل البدع، ومستعملی الرای المخترع [۲۶] .

المثال الثانی

«وهو دعاؤه لجیرانه» «اللهم تولنی فی جیرانی باقامه سنتک، والاخذ بمحاسن ادبک، فی ارفاق ضعیفهم، وسد خلّتهم، وتعهّد قادمهم، وعیاده مریضهم، وهدایه مسترشدهم. ومناصحه مستشیرهم، وکتمان اسرارهم، وستر عوراتهم، ونصره مظلومهم، وحُسن مواساتهم بالماعون، والعود علیهم بالجِده والافضال، واعطاء ما یجب لهم قبل السؤال، والجود بالنوال یا ارحم الراحمین [۲۷] .
الجده: العطیه الواسعه التی تغنی، والامام زین العابدین (علیه السلام) کثیر التوظیف لهذه الکلمه فی ادعیته عموماً.

تنشیط الساحه الجهادیه

اشاره

رضا الله.. رضا الله.. إذا ما طلب الناس السلطه والجاه طلب زین العابدین رضا الله وإذا ما طلب الناس خزائن الاموال طلب زین العابدین رضا الله وإذا ما طلب الناس الریاء والسمعه طلب زین العابدین رضا الله نعم رضا الله.. رضا الله.. تلک الدائره المقدسه.. البیضاء الواسعه.. التی آثر الامام زین العابدین (علیه السلام) الخلود فیها ابدا. ولقد قال کلمه ذات یوم.. عمل بها کل یوم: لا والله أو یرانی الله لا یشغلنی شیء عن شکره وذکره فی لیل ولا نهار، لا سر ولا علانیه. ولو لا ان لاهلی علی حقاً ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علیّ حقوقاً لا یسعنی الا القیام بها حسب الوسع والطاقه حتی أؤدیها الیهم، لرمیت بطرفی الی السماء وقلبی الی الله ثم لا اردهما حتی یقضی الله علی نفسی وهو خیر الحاکمین. کیف لا یکون الجهاد معلماً مضیئاً فی تلک الدائره المقدسه

وهـذا كتـاب الله ينطـق علينـا بـالحق: (ان الله اشـترى من المؤمنين انفسـهم واموالهم بـان لهم الجنه يقـاتلون فى سبيـل الله فيقتلون ويُقتلون وعـداً عليه حقـاً فى التوراه والانجيـل والقرآن). الهـدف المنشود: لا يريـد الامام زين العابـدين (عليه السـلام) ان يجاهد إبرازاً للشجاعه النادره، وإن كانت الشجاعه النادره وسام الشرف

وعنوان المجد والكرامه. ولا كان الهدف من رغبه زين العابدين فى الجهاد ان يحافظ على التراث البطولى لابائه الكرام فرسان الوغى وابطال الميادين، وإن كانوا اهلاً للاحتفاظ بتراثهم وكان المرجو للادامه والاحتفاظ. انه يريد ان يجاهد لان الجهاد طريق حبيب ينتهى الى دار الحبيب. ان درب الجهاد صعب مستصعب ولكن الجدير بالفتى العقائدى مثل زين العابدين، ان يتحمل كل صعب مستصعب وصولاً الى الهدف المنشود. وهلّم الان الى مثالين فقط من ادعيته التى تبلور الدعوه الى الجهاد.

المثال الاول

«... واجعلنى ممن تنتصر به لدينك وتقتل به عدوك فى الصف الذى وصفت به اهله فى كتابك: (كأنهم بنيان مرصوص) فى احب خلقك اليك فى احب المواطن اليك، وارزقنى سفك دماء المشركين والناكثين والقاسطين والمارقين والفاسقين والنابذين والمبدلين. وثبت رجاءك فى قلبى وثبت قدمى وافرغ الصبر علىّ وعلى ذلك فقوّنى وفى صدور الكافرين فعظمنى..».

المثال الثانى

«... وأعنّى اللهم على جهاد عدوك فى سبيلك مع وليك، كما قلت جل قولك: (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله) وقلت جلت اسماؤك: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم). اللهم فأرنى ذلك السبيل حتى اقاتل فيه بنفسى ومالى طلب رضاك فاكون من الفائزين».

التنبيه الاول

عرفنا فيما سبق الوجهه العموميه فى ادعيه الامام زين العابدين سلام الله عليه والان ننبه انه لا يريد من الدائره المقدسه المذكوره قبل قليل ان تكون له خاصه دون سواه، بل هى ساحه واسعه لكل تائق اليها اذا اجتمعت فيه الشرائط الموضوعيه.

التنبيه الثانى

لقد راى الامام زين العابدين (عليه السلام) فى الدعاء ارضاً خصبه لغرس الفكر الجهادى ضد الطواغيت، سواء فى الجبهه الخارجيه التى تمثل الحرب ضد المشركين وامثالهم، ام فى الجبهه الداخليه التى تمثل الحرب ضد الفاسقين وامثالهم. اضافه لما تقدم من المنجزات السياسيه للدعاء تستطيع ان تضيف اليها عده منجزات سياسيه اخرى تزخر بها ادعيه الامام الموجوده فى الصحيفه السجاديه الاولى وغيرها من مختلف ادعيته الكثيره جداً. ومن تلك المنجزات السياسيه ايضاً.

دعم و اسناد المؤمنين – معالجه الفراغ

وتأتى ادعيه الامام زين العابدين (عليه السلام) فى طليعه الادعيه الباهره الجمال والابتهالات العاليه المضامين. وهب الله لها من هيبه الحكمه، ومنحها من اشراق المعرفه، وسكب عليها كؤوساً من البهاء والنور والنضره والرواء. ولو لم تكن لزين العابدين (عليه السلام) على سبيل الفرض «خصوصاً ادعيه الصحيفه السجاديه الكامله».. فلابد ان تكون لشخص آخر من ائمه التربيه والعرفان والسياسه والفلسفه. (وجعلنا منهم أئمه يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [٢٨] .

سياسه تحرير العبيد

النظام الاسلامی والرق

ان الاسلام بحق لم یشرع نظام الرق، فان هذا النظام موجود منذ العصور الغابره والعهود السحیقه. وانما شرع نظام العتق والتحریر، واوجد مبررات عده لها، وفتق کثیراً من الوسائل المؤدیه لها، لیس هنا محل تفصیلها فلتطلب من الکتب الفقهیه المبسوطه. هناک سلوک استعلائی فی المجتمع علی مر التاریخ الانسانی تقریباً ینظر الی طبقه المستضعفین ومن بینهم الممالیک نظره ازدراء، ویعاملهم من فوق الابراج العاجیه. والذی تستطیع ملاحظته بیسر من سیاسه الامام زین العابدین (علیه السلام) ذلک الرفض الحازم، والاستنکار العنید لهذا السلوک نظریاً وعملیاً. ومن الادله علی ذلک انه کان لا یمنعه شیء من مجالسه الطبقه المسحوقه حتی دهش منه نافع بن جبیر فقال له: انک تجالس اقواماً دونا، فقال علی بن الحسین: انی اجالس من انتفع بمجالسته [۲۹] . ومن رحمته بهم وعطفه علیهم انه کان یشتری العبید _ وهم من اضعف المستضعفین _ فیبرحون عنده قلیلاً ثم یطلقهم احراراً. وبلا ریب انه یترتب علی التحریر منهج سیاسی ایجابی ونظره انسانیه عالیه وحث عملی للاخرین علی التأسی، اذ الاسلام قد اکد تاکیداً عظیماً علی التحریر، ورسم ما لفاعله من الجزاء الوافر والاجر الجمیل ومن ذلک قوله تعالی: (وما ادراک ما العقبه -

فك رقبه). وعن ابى عبد الله الصادق (عليه السلام): ان فاطمه بنت أسد قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انى اريد ان اعتق جاريتى هذه فقال لها: ان فعلت اعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار [۳۰] . وفى هذا المعنى وردت عدّه احاديث [۳۱] . ولقد اعتق على (عليه السلام) الف مملوك من كدِّ يده [۳۲] . ان موقف الامام زين العابدين (عليه السلام) من المماليك هو خلاصه الموقف الاسلامى بما فيه من نظام دقيق، وقيم خلّاقه، واساليب تربويه وسياسيه رفيعه. فمما لا ريب فيه ان الفتره التى يلبث فيها المماليك عند الامام زين العابدين (عليه السلام) يلقّنهم فيها من التربيه والاداب والتوجيه والسداد ما يجعلهم احرار النفوس قبل ان يكونوا احراراً فى واقع الحياه. كان فى مستطاعه ان يطلق سراحهم من أوّل عقد الشراء، او حصوله عليهم من دون ان يلبثوا عنده. فما انتفاعه من الاشهر التى يقيمون فيها لديه ثم يطلقهم، ولا سيما ان العمليه تتكرر؟ ان مجموعه منهم لو بقوا لديه بغير تحرير فانهم يغنونهُ عما يليهم من المماليك بيد أن هنالك هدفاً اسمى من الخدمه والمعونه المتوخاه منهم... انه هدف التربيه والارشاد، هدف التعليم والتوجيه وغير ذلك. كانت لكل واحد من العبيد صحيفه اعمال يسجل فيها الامام سيئاته واخطاءه فإن حان وقت التحرير قرأ عليهم صحائف اعمالهم وهنا يعترفون بما ارتكبوا من الاخطاء فيعفو عنهم ثم يطلب منهم ان يعفوا عنه ويصفحوا فيقولون: قد عفونا عنكَ وما أسأتَ. ولا يخفى عليه ان المماليك يرغبون بعد تحريرهم ان يكتسبوا ويشقوا دربهم العملى فى الحياه فيعطيهم رؤوساً من الاموال على هيئه منح وهبات، ولا يسترد منهم ذلك ما

سمر سمير. هذه طريقته فى تحرير العبيد ذكرناها بشكل موجز ولكن عثرنا على وثيقه تاريخيه على جانب كبير من الاهميه. وثيقه تاريخيه: وهى تتعلق باطلاق سراح الارقّاء ننقلها بتفصيلها لانها تعبر عن روح الاسلام ونظرته للارقاء، ولانها ماده تربويه واخلاقيه واجتماعيه عاليه المضامين، كما انها جواب عميق عن الاسئله والاشكالات التى تطرحها فئه من المستشرقين حول الاسلام. نريد ان نقول لهم: هذا هو الاسلام فى نظرته واخلاقيته وجوهره متمثلاً ـ فى سياسه احد كبار قادته الميامين تجاه العبيد. عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام): كان على بن الحسين (عليه السلام) اذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمه. وكان اذا اذنب العبد والامه يكتب عنده: اذنب فلان، اذنبت فلانه.. يوم كذا وكذا ولم يعاقبهم.. فيجتمع عليهم الادب. حتى اذا كان آخر ليله من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم اظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يابن رسول الله، حتى يأتى على آخرهم ويقررهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا اصواتكم وقولوا: يا على بن الحسين ان ربك قد احصى عليك كل ما عملت، كما احصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادر صغيره ولا كبيره مما أتيت الا احصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فاعفُ واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب ان يعفو المليك عنك فاعفُ عنا.. تجدْهُ عفوّاً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً. كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا. لا يغادر صغيره ولا كبيره مما اتينا الاّ احصاها، فاذكر يا على بن الحسين ذلّ مقامك بين

يـدى ربك الحكم العدل، الذى لا يظلم مثقال حبه من خردل. ويأتى بها يوم القيامه وكفى بالله حسـيباً وشـهيداً، فاعفُ واصـفح يَعفُ عنـك المليك ويصـفح، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكى وينوح ويقول: ربّ انك أمرتنا أن نعفو عمن ظَلَمنا، وقد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت فاعف عنا، فانك أولى بـذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردَّ سائلاً عن أبوابنا، وقـد أتيناك سؤّالاً ومساكين وقـد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بـذلك علينا ولا تخيّبنا فانك أولى بذلك منـا ومن المـأمورين. إلهى كرمت فـأكرمنى إذ كنت من سُؤّالـك وجـدتَ بـالمعروف فـاخلطنى بأهـل نوالك يا كريم. ثم يقبل عليهم فيقـول: قـد عفوت عنكم فهـل عفوتم عنىّ ومما كـان منى إليكم من سوء ملكه؟ فـانى مليـك سوء، لئيم، ظـالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل. فيقولون: قد عفونا عنك يا سيّدنا، وما أسأت. فيقول لهم قولوا: اللّهم اعف عن على بن الحسـين كمـا عفـا عنـا، فـاعتقه من النـار كمـا أعتق رقابنـا من الرقّ. فيقولون ذلك. فيقول: اللّهم آمين ربَّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، واعتقت رقـابكم رجـاء للعفو عنى وعتق رقبتى فيعتقهم، فـاذا كـان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما فى أيـدى النـاس، ومـا من سـنه إلاّ ـ وكـان يعتق فيها فى آخر ليله من شـهر رمضان ما بين العشـرين رأساً إلى أقل أو اكثر، وكان يقول: ان لِله تعالى فى كل ليله من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلّ قد استوجب النار، فاذا كان آخر ليله من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق فى جميعه، وانى لاحب أن يرانى الله وقد اعتقت رقاباً فى ملكى

فی دار الـدنیا رجاء أن یعتق رقبتی من النار. وما اسـتخدم خادماً فوق حوله، کان اذا ملک عبداً فی أول السـنه أو فی وسط السـنه اذا کان لیله الفطر اعتق، واسـتبدل سواهم فی الحول الثانی ثم أعتق، کـذلک کان یفعل حتی لحق بالله تعالی، ولقـد کان یشتری السودان وما به الیهم من حاجه یأتی بهم عرفات فیسدّ بهم تلک الفرج والخلال فاذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال [۳۳].

المبررات السیاسیه والتاریخیه

لقـد کـان لمخطط الامام زین العابـدین (علیه السـلام) فی تحریر الممالیک مبررات ودوافع روحیه واخلاقیه لا ریب فیها، ولکن بالاضـافه الی ذلـک فـان له مبررات ودوافع سیاسـیه وتـاریخیه ینبغی الالتفـات الیهـا من خلال الامعان فی هـذه الوثیقه التاریخیه الاتیه. وبالمقارنه بین الوثیقتین من وثائق التاریخ السیاسـی، الوثیقه التی تسـتعرض صنیع زین العابدین ومنهجه القویم فی التعامل مع الارقّاء وتحریرهم، والوثیقه التی تسـتعرض استعباد القیاده السیاسیه للاحرار، یظهر اکثر من فارق جوهری بین مبدئیه علی زین العابـدین (علیه السـلام) وسیاسـته واخلاقیته المثلی وبین مبدئیه القیاده وسیاسـتها واخلاقیتها. کانت بنو أمیه تبیع الرجل فی الدَّین یلزمه وتری انه یصـیر بـذلک رقیقاً، کان معن ابو عمیر بن معن الکاتب حراً مولیً لبنی العنبر فبیع فی دین علیه، فاشتراه ابو سـعید بن زیاد بن عمرو العتکی، وباع الحجاج علی بن بشـیر بن الماحوز لکونه قتل رسول المهلَّب علی رجل من الازد. وکانت بنو امیه تختم فی أعنـاق المسـلمین علامه لاسـتعبادهم. وبـایع مسـلم بن عقبه أهـل المـدینه کافه وفیها بقایا الصـحابه واولادها وصـلحاء التابعین علی ان کلاًّ منهم عبد قِنٌّ لامیر المؤمنین یزید بن معاویه، إلاّ علی بن الحسین (علیه السلام) فانه بایعه علی أنه اخوه وابن

عمه ونقشوا اكف المسلمين علامه لاسترقاقهم [۳۴] . لقد جاء مخطط الامام زين العابدين فى تحرير المماليک فى عصر كانت القياده السياسيه فيه تستعبد الاحرار ايَّما استعباد فكأن زين العابدين (عليه السلام) أراد من مخططه السياسى والانسانى والرسالى أن يعكس لابناء عصره وللتاريخ معاً ان للانسان بما هو انسان قيمه عليا لا يصح أن يفرَّط فيها سواء كان رقاً أم حُرّا، واراد أن يثبت ــ بشكل قاطع ــ ان قيمه الرقيق فى المنهج الاسلامى اسمى وأرفع بمراحل من القيمه التى يتوخاها طواغيت الحكام للاحرار من المسلمين. (ان فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين) [۳۵] .

الاستراتيجيه التربويه

شدد الاسلام، على المربين... فى تهذيب طبائعهم، وتطهير توجهاتهم الروحيه، والسياسيه، والانسانيه... وفى تربيه انفسهم، تربيه مستقاه من روح السماء، وتعاليمها، فى سبيل ان يكونوا امثله عليا... يقتدى بها الجيل، ويعتمدها فى العمل والبناء، والجهاد فى معركه الحياه.ان رسل الله خير من يقتدى بهم، ويقتص اثرهم (اولئک الذين هدى الله فبهداهم اقتده...) [۳۶] (لقد كان لكم فى رسول الله اسوه حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا) [۳۷] وكذلک ائمه أهل البيت (عليهم السلام) ; فانهم قمه شماء فى التوجيه والتربيه الاسلاميه... فالالتزام بتربيتهم، والاخذ باوامرهم وتعاليمهم، هو الذى ينجى من التردى والسقوط، ويرتفع بالانسانيه الى حيث الافق المضىء المشرق. يقول الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما فى الحديث المشهور: «مثل اهل بيتى فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى». شموليه الخلاص: وهنا يفرض السؤال نفسه: هل ان اهل البيت (عليهم السلام) انقاذ للبشريه، وسفينه للنجاه، فى الشؤون الروحيه والعرفانيه والاخلاقيه وهكذا كل ما يصون الناس من الكفر والشرک.... فحسب، أم

انهم نجاه لما هو اشمل من ذلك؟ ولسنا نعتقد بصحه التسرع بالجواب، إلاّ من بعد ان ندرك ونستلهم، مفهوم الغرق والهوى. ان الانسان إذا ما تجافى والتربيه الروحيه; فانه يغرق ويهوى وإذا ما ابتعد عن المفاهيم الاخلاقيه; فانه يغرق ويهوى.وإذ ما كفر واشرك; فانه يغرق ويهوى.ولكن هل هذه هى المفردات والمصاديق الوحيده للغرق والهوى.كلا، والف كلا.فإن مفردات ومصاديق كثيره، تنصب فى السياق نفسه، ولا نرغب ان نقوم بعمليات احصائيه لها، لانها خارج موضوعنا، ولكن نريد ان نركز هنا، على ما يتساوق وبحثنا الحالى.اليست السياسه، بما هى سياسه، عالماً من الخير والشر، والهدى والضلال، والعداله والظلم، والحق والباطل. أو بعباره اخرى، نريد ان نقول:ان السياسه بحر عميق ما ينجو فى عبوره اناس، إلاّ والذين يغرقون اكثر واكثر. إذن، ومن منطلقات رساليه وانسانيه، لابدّ من التسارع الى عمليات الانقاذ. وفى هذه الحاله، يأتى دور السفينه أى دور اهل البيت (عليهم السلام). فهم، اهل الخير، والحاثون عليه. وارباب الهدى، والداعون إليه. ورمز العداله، والمرغبون فيها. ومستقر الحق، والناصحون به. يا اخى الكريم: إذا رأيت بحراً عميقا... متلاطم الامواج; فاعلم انه بحر السياسه، وإذا رأيت سفينه تمخر التيار، بعد التيار فاعلم ان ربانها من أهل البيت. المثل الاعلى للقائد الرسالى: ولم ينضب بحر من البحور، إلاّ وطفح الاخر، ولم يمت ربان، فى قياده السفينه، إلاّ واحتل موقعه ربان آخر. حتى جاء الدور للامام زين العابدين (عليه السلام) ; فقاد السفينه خير قياده، وانقذ من الهلاك جيلاً بعد جيل. لقد كان هذا الامام الهمام، القبس الهادى، والضوء المنير، والنبراس المشرق... لكل من اراد التربيه الصادقه، والطريقه المثلى، والمنهج القويم. ولقد كان المجتمع، يلحظ فيه هذه الايات الباهرات; لذا ان الكثير

من ابنـائه، يسـارعون الى الاخـذ بتربيته، معرفه بهـديه، وصـدق توجهاته، وانهم ما وجـدوا له زله، ولا شاهـدوا منه عثره، ولا رأوا فاصـلاً بين اقواله وافعاله.انه المثل الاعلى للقائـد الرسالى الـذى لا يأمر بشـىء إلاّ وقـد امتثله، ولا يحث على جميل إلاّ وقد عمله. (لمثـل هـذا فليعمـل العـاملون).فروع النظريـات التربويه: ان لكـل نظريه تربويه هـدفاً نهائياً Uitimate ain تصـبو إليه، وترمى لتحقيقه. سواء كـان الهـدف النهـائى على طريق الصواب أم كان على طريق الخطأ. ان النظريات التربويه الحـديثه، على الرغم من وجـود ثغرات تتخللهـا، وتكتنف جوانبهـا.. إلاّـ انهـا تعتـبر متطوره جـداً، وذات تفوق ملحوظ ـ بالقيـاس الى النظريـات الـتربويه القـديمه، إنْ من حيث المعانى والمضامين، وإنْ من حيث المناهـج. نعم تسـتثنى من هذا التعميم، نظريه القرآن الكريم، والرسول محمّـد (صـلى الله عليه وآله وسـلم)، وائمه الهـدى. ولسـنا الان بصـدد، دراسه النظريات التربويه القـديمه، ماعدا خطوطاً عريضـه للنظريه التربويه ـ القـديمه الجديـده ـ للامام زين العابـدين (عليه السـلام).كما لا نريد ان نتناول من النظريات إلاّ اشارات عابره من الاهـداف التربويه فيها. مقارنه بالاهـداف التربويه لـدى نظريه الامام زين العابدين. هناک ثلاثه فروع للنظريات التربويه، لكل منهـا انصـاره، فى الوقت الحاضـر، كمـا يقول الفيلسوف المعاصـر Bertrand Russell (برترانـد راسـل). الاـولى تبحث فى الهـدف الوحيد للتربيه، وهو تجهيز الفرص للنمو، وازاله نفوذ التخلف. والثانيه: تتمسک فى ان هدف التربيه: هو منح ثقافه للفرد، وتطوير امكانياته لاقصـى حد. والثالثه: تأخذ فى ان التربيه يجب ان تعتبر نوعا ما علاقاتها بالمجتمع، اكثر من علاقاتها بالفرد [۳۸] بين نظريّه الامـام والنظريّات الـتربويه: ولم يكن الهـدف، من النظريه التربويه، لـدى الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) يلتقى و واحداً من هذه الفروع فحسب. بل

يمكن القول: انه يلتقيها جميعاً. علماً بان النظريه الثالثه لا تتنافى والنظريه الثانيه وانما تعنى: ان نولى، العلاقات الاجتماعيه، العنايه والرعايه بصوره اكثر من ثقافه الافراد، والعنايه بهم. وتلتقى نظريه الامام زين العابدين بالنظريه الثانيه من حيث شده الاهتمام بالفرد، وعدم اهماله بذريعه العنايه والاهتمام بالمجتمع، أو اعطائه مجرد قسط من الرعايه فحسب. بيد ان الاختلاف ما بين الافراد اختلاف كثير... فمنهم من له الاستعداد الفكرى أو النفسى أو الارادى على السموّ والتحليق، ومنهم من ليس كذلك ومنهم من يرجى منه النفع العام والفائده الكبيره للمجتمع، والقدره الكبرى على التوجيه والتربيه، ومنهم دون ذلك بمرحله أو مراحل. وعلى هذا الاساس؛ فان بعض الافراد يحظون برعايه اكثر من غيرهم، عند الامام زين العابدين (عليه السلام)، كما سنشير الى عدد منهم، وإن كان قد فتح قلبه للجميع، وادلى برعايته لمختلف الافراد. الكيفيه الاليّه: اما الكيفيه الاليه للالتقاء مع النظريات الثلاث فنحن سوف نوضحها بايجاز. أ ـ اما الالتقاء مع النظريه الاولى، التى تركز على تجهيز الفرص للنمو، وازاله نفوذ التخلف. فهى واضحه من خلال التعاليم والمفاهيم التاليه: ١ ـ قال (عليه السلام): مجالس الصالحين داعيه للصلاح، وآداب العلماء زياده فى العقل [٣٩] . ٢ ـ الفكره مرآه ترى المؤمن حسناته وسيئاته [٤٠] . ٣ ـ فأما حقوق رعيتك بالسلطان، فان تعلم انك انما استرعيتهم، بفضل قوتك عليهم؛ فانه انما احلّهم محل الرعيه لك ضعفهم وذلهم، فما اولى من كفاكه ضعفه وذلّه، حتى صيره لك رعيه، وصيّر حكمك عليه نافذا، لا يمتنع منك بعزه ولا قوه، ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلاّ بالله.. بالرحمه، والحياطه، والاناه [٤١] . ب ـ واما الالتقاء مع النظريه الثانيه: التى تنصب على

ثقافه الفرد وتطوير امكانياته لا قصى حد، فنود ان نشير قبل ذلك الى امر مهم جداً وهو أن هذه النظريه صحيحه فى نفسها ولكن شريطه ان لا ـ تخلَّ بحقوق المجتمع، وتضر بالصالح العام. وباستطاعه _ القارئ الكريم _ تلمُّسُ الالتقاءِ ما بين النظريتين نظريه الامام زين العابدين والنظريه الثانيه، عن طريق الامرين التاليين: اولاً: الجهود الكثيفه التى كان يبذلها الامام زين العابدين فى سبيل تربيه الكثير من الافراد، والعنايه الخاصه التى كان يوليها لبعضهم. ومن بين هؤلاء الكثيرين، نضرب بعض الامثله: الامام محمد الباقر (عليه السلام):الشهيد السعيد زيد بن على زين العابدين (عليهما السلام).العالم الكبير مفسِّر القرآن الكريم الشهيد سعيد بن جبير (رحمه الله).خادم الامام زين العابدين العالم الجليل أبو خالد الكابلى (رحمه الله).الفقيه الكبير، الامر بالمعروف والناهى عن المنكر. سعيد بن المسيب رضوان الله عليه. محمد الزهرى، على الرغم من ان هذا الرجل، كان من المنتسبين الكبار لجناح السلطه التى كان الامام زين العابدين مقارعاً لسياستها ومقاصدها. إلاّ ـ انه قد حظى بتعاليم الامام وارشاداته، وتربيته الخاصه. وقد آتت هذه التربيه ثمارها، فكم لمحمد الزهرى من موقف ايجابى داخل اروقه النظام، وإن كان وجوده _ للاسف _ يستفاد منه لتمرير مخططات الحكام. ثانياً: يتلخص فى مفاهيم تربويه، عند الامام زين العابدين وافره جداً، ولا يسعنا الان إلاّ ان نذكر منها شيئاً يسيراً جداً. فمن ذلك قوله صلوات الله عليه: واما حق الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونه له والستر على جرائر حداثته; فانه سبب التوبه والمداراه له وترك مماحكته [۴۲] ; فان ذلك ادنى لرشده [۴۳] وقيل له (عليه السلام): من اعظم الناس خطراً؟ فقال: من لم ير الدنيا خطراً

لنفسه [۴۴] واما حق السمع فتنزيهه عن ان تجعله طريقاً الى قلبك، الا لفوهه كريمه، تحدث فی قلبک خیرا، وتکسبُ خلقاً کریماً فانه باب الكلام الى القلب يؤدى اليه ضروب المعانى على ما فيها من خير و شر [۴۵] من کتم علماً احدا، أو اخذ علیه صفدا، فلا نفعه ابدا [۴۶] متفقه فی الـدین اشـد علی الشیطان من عباده الف عابد. ثالثاً: واما اللقاء بین النظریه الثالثه التی تؤکد علی الابعاد الاجتمـاعیه فی التربیه، وبین نظریه الامام زین العابـدین (علیه السـلام) فانه لقاء واسع رحب، کثیر التشابک والتلاحم. بیـد انه من المسـتطاع ان یجمل ببعض المؤشـرات التربویه کما یلی:واما حق اهل ملتک عامه فاضـمار السـلامه، ونشـر جناح الرحمه، والرفق بمسـیئهم، وتألفهم، واستصـلاحهم، وشـکر محسنهم الی نفسه والیک; فان احسانه الی نفسه، احسانه الیک، إذا کفّ عنک اذاه، وکفـاک مؤونته، وحبس عنک نفسه. فعمَّهم جمیعاً بـدعوتک، وانصـرهم جمیعاً بنصـرتک، وانزلهم [۴۷] جمیعا منک منازلهم. کبیرهم بمنزله الوالـد وصـغیرهم بمنزله الولـد واوسـطهم بمنزله الاخ. فمن اتاک تعمـدته بلطف ورحمه، وصل اخاک بما یجب للاـخ علی اخیه [۴۸] والنص المتقـدم قبـل قلیل «فأما حقوق رعیتک بالسـلطان» مما یجری ضـمن سـیاقات الابعاد الاجتماعیه فی التربیه. بل یمکن القول: ان اکثر رساله الحقوق ــ وهی رساله طویله جـداً ــ هو مما یجری فی هـذه المسارات التربویه المحـدده وذلـک لانها تؤکـد علی الابعاد الاجتماعیه فی التربیه [۴۹] وعن الامام محمـد الباقر (علیه السـلام) قال: کان زین العابدین (علیه السـلام) إذا نظر الی الشـباب الـذین یطلبون العلم ادنـاهم إلیه و قـال: مرحبا بکم انتم ودائع العلم، ویوشک إذ انتم صـغار قوم ان تکونوا کبار آخرین.ساده الناس فی الدنیا الاسخیاء وساده الناس فی

الاـخره الاتقيـاء. لو يعلم النـاس مـا فى طلب العلم؛ لطلبوه ولو بسـفك المهـج، وخوض اللجـج. ان الله تبارك وتعالى اوحى الى دانيـال: ان امقت عبيـدى الىَّ الجاهـل المسـتخفُّ باهـل العلم، التارك للاقتـداء بهم، وان احب عبيـدى الى التقى الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحكماء.كلكم سيصـير حـديثا فمن اسـتطاع ان يكون حديثاً حسـناً فليفعل [۵۰] . من ركـائز التربيه الفاضـله: أ ــ مما لا ريب فيه ان الانسان إذا كان صاحب ايمان بالقيم التربويه، والمسارات الاخلاقيه التى يدعو لها الاخرين فعليه التطبيق الشخصـى، وان يعمـل بكل ما يـدعو له؛ وذلك لان الانسان فطريّا ــ وكما هو المعتاد ــ يأبى الانصـياع، أو الاسـتقاء من المناهل العذاب التى يستقى منها اربابها. كما ان الانسان ان كان مؤمنا بما يدعو له الاخرين؛ فلماذا لا يعمل بما يدعو له، وإن لم يكن مؤمنـا بـذلك فعلاـم الـدعوه له.يقول الله تعـالى ناقـداً بعض المؤمنين، وعائباً عليهم الفصل ما بين الاقوال والاعمال: (يا ايها الـذين امنـوا لِمَ تقولون مالاـ تفعلون - كـبر مقتـاً عنـد الله ان تقولوا مـا لاـ تفعلون) [۵۱] ومن هـذا المنطلق نرى الامـام علياً زين العابـدين سـلام الله عليه قـد قـام بـالتطبيق الشخصـى لكـل مـا ينصـح به سواه، ويـدعو له الاخرين، من قيم اخلاقيه، ومثل تربويه، وواجبات، ومستحبات، وآداب، وتقوى. لقد كان سلام الله عليه مجتهداً فى دين الله غايه الاجتهاد، ذائباً فيما يؤمن به، متعباً نفسه، مرهقـاً بـدنه، مسـهراً مقلتيه، وفى شـخصه الكريـم، تتجسـد النظريه التربويه التى ارادها خطاً فى مسار الحياه، حتى كأنه نسـخه من الاسـلام، أو انه إسـلام يمشـى على الارض.وليس شيئاً ادل على ذلك، من حياته الشخصيه، والعامه، وما كثر نقله عنه من فضائل ومكارم.

ب ـ الابتهال الى الله تعالى ان يربى نفسه ظاهراً وباطناً، فى مستسرالسر، وظاهر العلانيه، ويمده بالتوفيق فى ذلك. وابتهالاته المقدسه فى هذا المجال لا تكاد تحد بحد. فمن ذلك قوله سلام الله عليه: وهب لى التطهير من دنس العصيان، واذهب عنى درن الخطايا، وسربلنى بسربال عافيتک، وردِّنى رداءَ معافاتک، وجللنى سوابغ نعمائک، وظاهر لدىَّ فضلک وطوْلَک، وايدنى بتوفيقک وتسديدک، واعنى على صالح النيه، ومرضىِّ القول، ومستحسن العمل.ومن ذلک قوله: اللهم اقضِ لى فى الاربعاء اربعا:اجعل قوتى فى طاعتک، ونشاطى فى عبادتک، ورغبتى فى ثوابک، وزهدى فيما يوجب لى اليم عقابک. ج ـ تأنيب النفس ومعاقبتها، ومحاسبتها على الصغيره والكبيره، محاسبه شديده، والوقوف منها وقوفاً حازماً، لا تسامح فيه، ولا غض نظر، والالحاح عليها فى الابتعاد عن الخطايا والدنايا، وتنبيهها من الغفلات، وايقاظها من السبات. يقول سلام الله عليه: وحتى متى اصف محن الدنيا، ومقام الصديقين، وانتحل عزماً من اراده مقيم بمدرجه الخطايا، اشتكى ذل ملكه الدنيا، وسوء احكامها على، فقد رأيت وسمعت، لو كنتُ اسمع فى اداه فهم، أو انظر بنور يقظه: وكلا ـ الا ـ قى نكبه و فجيعه و كأس مرارات ذعافاً اذوقها و حتى متي اتعلل بالاماني، واسكن الى الغرور، واعبد نفسى للدنيا على غضاضه سوء الاعتداد من ملكاتها، وانا اعرض لنكبات الدهر علىَّ اتربّص اشتمال البقاء، وقوارع الموت تختلف حكمى فى نفسى، ويعتدل حكم الدنيا: وهن المنايا ايواد سلكته عليها طريقى أو علىَّ طريقها [۵۲] ويقول أيضاً فى هذا الصدد: يا نفس حتام الى الدنيا سكونک، والى عمارتها ركونک؟ اما اعتبرت بما مضى من اسلافک، ومن وارته الارض من أُلاّفک، ومن فجعت به من اخوانک ونقل الى الثرى من اقرانک؟... فحتّام الى الدنيا

اقبالک، وبشهواتها اشتغالک، وقد وخطک القتیر، واتاک النذیر، وانت عما یراد بک ساه، وبلذات یومک وغدک لاه؟ وقد رأیت انقلاب اهل الشهوات، وعاینت ما حلّ بهم من المصیبات [۵۳] ایاک اعنی واسمعی یا جاره:لیس من شک ان النفس الطهور الزاکیه للامام زین العابدین صلوات الله علیه لم تکن راکنه الی الدنیا، ولا مائله لزخارفها، ولا جانحه لقدر من بروق مطامعها.. ولکنه إذ یعاتب النفس; انما لسجیه من سجایا الروح العذبه التی ینطوی علیها اهل البیت علیهم الصلاه والسلام. ولا احسب إلاّ انه (علیه السلام) اراد ان یرکز فی قلوبنا عذل النفس الاماره بالسوء وتوبیخها ومحاسبتها، باعتبار ذلک اساساً من اسس التربیه المثلی. «ولیس منا من لم یحاسب نفسه...».واننا إذ یلازمنا العُجب والغرور بانفسنا، وإذ نزکی انفسنا، یربینا الامام زین العابدین (علیه السلام) علی کبح جماح الغرور، والاقلاع عن الترکیه المقیته. ومثله بالتربیه جدیر، وبالتلطف فی التوجیه حری مبین.نعم ان عذل النفس، والتشدید علیها ـ بنفسه ـ شیء جمیل، وإن کان صاحب تلک النفس طاهراً، امینا، زکیا، خالصاً، رضیا. أو بعباره اخری، وان کان صاحب النفس مثل ولیِّ الاولیاء، وصفیِّ الاصفیاء، ونور المتقین، ورمز السداد والاستقامه، اعنی علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب صلوات الله علیهم اجمعین.ان الکثیر الکثیر من الکم الهائل، والحشد العظیم، والکلمات الحسان، التی اطلقها النبی محمد (صلی الله علیه وآله وسلم)، واهل بیته الطاهرین (علیهم السلام) ینبغی ان تفهم وتستلهم، وتدرک اسرارها، وفق المنطلقات البعیده لـ «ایاک اعنی واسمعی یا جاره». بوصف ذلک اسلوباً بارعاً من الاسالیب التربویه الرائده، طبعاً لا اعنی انها الاسلوب الوحید، وانما اعنی انه من الاسالیب الرائعه والمتمیزه للاستراتیجیه التربویه عند الرسول محمد واهل بیته المیامین

سلام الله علیهم جمیعا. د ــ لفت الناس الی التربیه الـذاتیه، من خلال المربی الذی یدخل فی ترکیبها، ویوجهها من الداخل. ففی الخبر الشـریف: من لم یجعل الله له واعظاً من نفسه فان مواعظ الناس لا تغنی عنه.ان التربیه الذاتیه تعتبر بحق حجر الزاویه فی بناء الصرح التکاملی للانسان.یقول الامام زین العابدین (علیه السلام): الخیر کله صیانه الانسان نفسه [۵۴] ویقول (علیه السلام) أیضاً: یـا ابن آدم انـک لاـ تزال بخیر، مـا دام لـک واعـظ من نفسـک، ومـا کانت المحاسـبه من همک، وما کان الخوف لک شـعارا، والحزن دثـارا [۵۵] وهـذه مقتطفـات یـانعه، یسـیره العـدد، کثیره المنفعه، ممـا قاله الامام زین العابـدین (علیه السـلام) فی التربیه الذاتیه:عجبت لمن یحتمی من الطعام لمضـرته، کیف لا یحتمی من الذنب لمضرته.انما التوبه العمل، والرجوع عن الامر، ولیست التوبه بالکلام.ثلاـث منجیـات للمرء: کف لسـانه عن النـاس واعتیابهم، واشـغاله نفسه بما ینفعه لاخرته ودنیاه، وطول البکاء علی خطیئته.ان افضـل الاجتهـاد عفه البطن والفرج.اتقوا الکـذب الصـغیر منه والکبیر، فی کـل جـد وهزل; فـان الرجل إذا کـذب فی الصـغیر، اجترأ علی الکبیر. اما علمتم ان رسول الله (صـلی الله علیه وآله وسـلم) قال: لا یزال العبـد یصدق حتی یکتبه اللهُ عزّوجلّ صادقا، ولا یزال العبد یکذب حتی یکتبه الله کاذبا.ما یوضع فی میزان امرئ یوم القیامه افضل من حسن الخلق.ما من خطوه احب الی الله من خطـوتین: خطـوه یشـد بهـا صـفاً فی سبیـل الله، وخطوه الی ذی رحم قاطعه.ومـا من جرعه احب الی الله من جرعـتین: جرعه غیـظ ردهـا مؤمن بحلمه، أو جرعه مصـیبه ردها مؤمن بصبره.وما من قطره احب الی الله من قطرتین: قطره فی سبیل الله، أو قطره دمعه فی

سواد الليل، لا يريد عبد إلاّ الله عزّوجلّ.ثلاث من كنّ فيه، كان فى كنف الله، واظله الله يوم القيامه فى ظل عرشه، وآمنه فزع اليوم الاكبر: من اعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يقدّم يداً ولا رجلاً، حتى يعلم انه فى طاعه الله قدّمها، أو فى معصيه الله، ورجل لم يعب اخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه.لا حسب لقرشى ولا عربى إلاّ بالتواضع، ولا كرم إلاّ بالتقوى، ولا عمل إلاّ بالنيّه، ولا عباده إلاّ بالتفقه. ألا وإن ابغض الناس الى الله عزّوجلّ من يقتدى بسنه امام ولا يقتدى باعماله.

ه ـ ابعاد الناس عن اصدقاء الشر، وخلطاء السوء؛ لمضرتهم البالغه، وخشيه من تأثيراتهم السيئه؛ لئلا يقتبسوا منهم الخصائل الدنيئه، والشمائل المقيته؛ فان الانسان بنفسه ـ عادةً ـ له قابليه التأثر والتلقى، وإن كان هذا يختلف بدرجته صعوداً وهبوطاً من شخص الى آخر.وفى الجانب المقابل ركّزت النظريه التربويه للاسلام على اتخاذ اصدقاء الخير والصلاح، واصفياء الفضيله والشمم فى بيانات كثيره، ليس هنا موضع تفصيلها. ان الخير والشر يغرسان كما تغرس النبته، واقدر الناس على هذا الغرس هم الاصدقاء.يقول الامام زين العابدين صلوات الله عليه وهو ينصح ولده الامام محمداً الباقر (عليه السلام) بل المجتمع الانسانى أجمع بالابتعاد عن اصناف من الاصدقاء:يا بنى انظر خمسه فلا تصاحبهم، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم فى طريق:فقال: يا ابه من هم؟قال: اياك ومصاحبه الكذاب، فانه بمنزله السراب؛ يقرب لك البعيد، ويبعد لك القريب.واياك ومصاحبه الفاسق؛ فانه يبيعك باكله أو اقل منها.فقال: يا أبه وما اقل منها؟قال: يطمع فيها ولا ينالها.واياك ومصاحبه البخيل فانه يخذلك فى ماله، احوج ما تكون إليه.واياك ومصاحبه الاحمق فانه يريد ان

ينفعک فيضرک.واياک ومصاحبه القاطع لرحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله [۵۶] وقال (عليه السلام) وهو يربي المجتمع الانساني ويوجهه من خلال مخاطبه ولده الامام محمد الباقر عليه الصلاه والسلام:اياک يا بنی أن تصاحب الاحمق، أو تخالطه، واهجره ولا تحادثه; فان الاحمق هجنه عبن غائباً كان أو حاضرا ان تكلّم فضحه حمقه وان سكت قصر به عيّه، وان عمل افسد، وإن استرعى اضاع، لا علمه من نفسه يغنيه، ولا علم غيره ينفعه، ولا يطيع ناصحه، ولا يستريح مقارنه، تود امه انها ثكلته، وامرأته انها فقدته، وجاره بعد داره، وجليسه الوحده من مجالسته إن كان اصغر من في المجلس أعنى من فوقه، وان كان اكبرهم افسد من دونه.لقد ذكر الامام زين العابدين صلوات الله عليه خمسه من الاصدقاء الذين قد اوصى بتجنبهم، والابتعاد عن ساحتهم. والحقيقه ان الذين يجدر بالانسان السوی مجانبتهم ومهاجرتهم، اكثر من ذلک بكثير، من قبيل: الظالم، وصاحب الازدواجيه في الشخصيه، والوضيع النفس. ولا ينبغي الارتياب في انهم اكثر من خمسه.بيد ان الامام (عليه السلام)، لم يرد ان يقول: ان هؤلاء هم فحسب الذين يجتنبون، ولا ـ مانع من مجانبه الاصناف الاخرى كافه، وانما قد اكّد على هؤلاء الخمسه فحسب; لغرض من الاـغراض، ولحكمه ما.وعلى هذا الاساس; فان حصر مجانبه الاصدقاء بهؤلاء الخمسه، انما هو حصر اضافي، وليس حصراً حقيقياً، بمعنى انه لا ـ مانع ان يكون الاصدقاء غير المرضيين اكثر من هذا العدد، ومثل هذا الحصر الاضافي كثير الوجود في الاحاديث وفي اقوال الحكماء.وفي عقيدتي ان الاصدقاء الذين يجدر الابتعاد عنهم كثير، ولكن الاحمق من هؤلاء هو الاولى بالابتعاد عنه، ومفارقته.ان الفاسق قد يتوب من فسقه، والكاذب قد ينزع عن كذبه، والقاطع لرحمه قد

يصلهم بعد القطع، والبخيل قد يخف بخله بنسبه ملحوظه، ولكن الاحمق لا يرجى لتوبه أو نزوع.ان الاحمق، لا توقظه النوائب، ولا تحنكه التجارب.وكفى الاحمق خزيا ان يصفه الامام زين العابدين بعدم القدره على نفع الاخرين حتى وإن اراد ذلك. يقول (عليه السلام): فإنه يريد ان ينفعك فيضرك. كما يقول: ان كان اصغر من فى المجلس اغناهم من فوقه، وإن كان اكبر افسدهم من دونه.وليس يرجى من الاحمق ان ينفع سواه، أو ان يحفظ لصديق أو عشير أو جماعه شيئاً ما، بل لا يرجى منه ان ينفع نفسه أو ان يحفظها، ولقد اجاد كثيراً الاحنف بن قيس إذ يقول: الاحمق يحفظ من كل شيء إلّا من نفسه، أى بالامكان حراسته من كل الاضرار والمفاسد الخارجيه وحمايته منها، ولكن من اين يحمى من نفسه وسفاهه رأيه.ومما قد قلناه حول الاحمق هذه الكلمات القصيره:حكيم يرتجل الامر خير من احمق يطيل الفكر.الاحمق لا يترك عاده سيئه إلّا التحف اخرى.إذا قصر تفكير الاحمق فخافوه على نفسه، وان طال فخافوه على انفسكم.يضطرب قلب الحكيم فيفتح له المسالك، ويطمئن قلب الاحمق فيورده المهالك.بمعنى انه على رغم الظروف القاسيه والحرجه، التى تنتاب الحكيم فى بعض الاحيان، فانه يستطيع ايجاد حلول مناسبه بصوره وبأخرى، ولكن الا-حمق حتى فى ظروف طمأنينته، واستقراره النفسى يتخبط خبط عشواء.ان الاحمق فى حاله طمأنينته، كالنعامه البليده فى حاله خوفها. و ـ التركيز على تعيين مشرف تربوى، ومستشار مقتدر، على كل فرد، أو شريحه اجتماعيه. ولا نقصد بالتعيين ان يُعيّن من قبل جهه عليا رسميه أو غير رسميه، بل لابد ان يوجد مثل هذا المشرف التربوى أو المستشار بأيه صوره من الصور سواء عن طريق التعيين الفوقى، أو ان الانسان

أو الشريحه بنفسها تتخذ هذا المستشار أو المشرف التربوى، وتسعى للاستفاده والانتفاع من تربيته وتوجيهه. ويقوم هو بدور الارشاد، ورسم خط الاستقامه والسداد.يقول الامام زين العابدين: ذلَّ من ليس له حكيم يرشده. وهذا من مشهور كلامه (عليه السلام). ز ـ توجيه البشريه نحو كتاب الله العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ودعوتهم لتدبر آياته، والتأمل فى احكامه، ودقائقه، ومراميه الفكريه والاخلاقيه والاجتماعيه، وحثهم على استخراج كنوزه.يقول الامام زين العابدين (عليه السلام): آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزينه فينبغى لك ان تنظر ما فيها.ويقول (عليه السلام) مؤكداً على مصاحبه القرآن، والاستئناس به، وملازمته كملازمه الظل: لو مات مَن بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معى.ويقول (عليه السلام) تشويقاً لقراءه القرآن، ومشجعاً على تلاوته وملازمته:عليك بالقرآن; فان الله خلق الجنه بيده لبنه من ذهب، ولبنه من فضه، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن; فمن قرأ منها قال له: اقرأ وارق. ومن دخل منهم الجنه، لم يكن فى الجنه أعلى درجه منه، ما خلا النبيين والصديقين [۵۷] ومما لا ريب فيه ان التوجيه نحو كتاب الله الحكيم توجيه فى نفس الوقت للسنه الزكيه. قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) [۵۸] وروى العلامه الكلينى فى الكافى عن الامام زين العابدين (عليه السلام) مؤكداً على السنه «ان افضل الاعمال ما عمل بالسنه وإن قل». ح ـ التوعيه السياسيه، ولا نقصد بالتوعيه السياسيه ان يكون الفرد أو المجتمع على اطلاع على ما يجرى فى الساحه الخاصه أو الساحه الدوليه. أى ان يكون ملمّاً بالاخبار فحسب، فان

هـذه توعيه مبتوره جداً، وهي لا تمثل إلّا جانباً واحدا فقط من التوعيه المذكوره.وانما نعنى بالتوعيه السياسـيه ان يمتلك الفرد أو المجتمع الرؤيه الواضحه والموقف المحـدد ازاء الاحـداث والاخبـار أو بعبـاره اوضـح واوسع اطـاراً ان التوعيه السياسـيه مركب يتـألف من الاـجزاء التـاليه:اولاً: الحصـيله الحـدثيّه والخبريه.ثانياً: تحليل الحوادث والاخبار.ثالثاً: الموقف المحـدد ازاء الاحـداث والاخبـار.ويشترط فى هـذا اللون الرفيع من التوعيه السياسـيه ان تكون صـحيحه على المسـتويات الثلاـث صـحه الاخبار، وصـحه التحليـل، وصـحه الرؤيه والموقف.وهـذا لا يعنى بالضـروره لكى يكون الانسان أو المجتمع واعيا سياسـيا ان يكون محيطاً بجميع الاخبار والتحليلات، وانما يعنى ان يكون الحد الادنى من الوعى السياسـى أى اليقظه فى الخط العام للاخبار والتحليلات والرؤى. وهى شـىء كيفى فى الـدرجه الاولى لاكمى أو بتعير ادق وابعـد غوراً، وهو ما يقوله الامام زين العابـدين سـلام الله عليه: يكتفى اللبيب بوحى الحـديث، وينبو البيـان عن قلب الجاهـل.ان الاضـرار التى تنجم عن الوعى السياسـى بـالمعنى المشـهور، أو المبتور اضـرار جسـيمه، شديـده الخطر. ومن بين ذلك ان الفرد أو المجتمع قـد يصدّق بالاخبار الزائفه والباطله أو يعتبر التحليل الخاطئ لها تحليلا صائبا ومعتمدا، فهو ينساق معه انسـياق التابع للمتبوع. ومن ثم ينحرف أو ينجرف مع التيار الزائغ من حيث يشعر أو من حيث لا يشـعر. والله تبارك وتعالى يقول: (قل هل ننبئكم بالاخسـرين اعمالا – الذين ضلَّ سـعيهم فى الحياه الدنيا وهم يحسبون انهم يحسـنون صـنعا) [٥٩] ومن المفردات الحيويه الناشـطه الـتى قـد رامهـا الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) هـذه المقولاـت والفِكَر.اولاً: ان فى الناس من خسـر الدنيا والاخره; بترك الدنيا للدنيا، ويرى ان لذه الرياسه الباطله افضل من لذه الاموال، والنعم المباحه المحلله; فيترك ذلك اجمع، طلباً

للریـاسه، حتی إذا قیـل له اتق الله اخـذته العزه بالاثم [۶۰] ثانیاً: وقال (علیه السـلام) فی تصـحیح مسار غیر سدید لبعض الشـیعه: وددت انی افتدیت خصـلتین فی الشیعه لنا ببعض ساعدیّ وهما: النزق، وقله الکتمان [۶۱] ثالثاً: قال القاسم بن عوف: کنت آتی علی بن الحسین (علیه السلام) مره، ومحمد بن الحنفیه مره، فلقینی علی بن الحسین (علیهما السلام) فقال لی: ایاک ان تأتی اهل العراق فتخبرهم ما استودعناک علما، فانا والله ما فعلنا ذلک، وایاک ان تترأس بنا فیضعک الله وایاک ان تستأکل بنا فیزیدک الله فقرا.واعلم انـک تکون ذنبـاً فی الخیر، خیر لـک من ان تکون رأسـاً فی الشـر.واعلم ان من یحـدث عنا بحـدیث سألناه یوماً; فان حـدَّث صـدقا، کتبه الله صـدیقاً، وإِن حـدّث کـذبا، کتبه الله کـذاباً.وایاک ان تشـد راحله ترحلهـا فانما ها هنا تطلب العلم، حتی یمضـی لکم بعـد موتی سـبع حجـج، ثم یبعث الله لکم غلاما من ولـد فاطمه (علیها السـلام) تنبت الحکمه فی صدره، کما یُنبت الطلُّ الزرع [۶۲] رابعاً: العامل بالظلم، والمعین له، والراضی به، شرکاء ثلاثه.خامساً: حدثوا الناس بما یعرفونه، ولا تحملوهم ما لا یطیقون فتغروهم بنـا [۶۳] سادسـاً: من رسـاله له علیه الصـلاه والسـلام الی احـد کبار العلماء وقـد کان منضـما فی سـلک النظام الحـاکم: جعلوک قطبـاً اداروا بـک مظـالمهم، وجسـراً یعبرون علیک الی بلایاهم، وسـلّماً الی ضـلالتهم، داعیاً الی غیهم، سالکاً سبیلهم، یـدخلون بـک الشـک علی العلمـاء، ویقتـادون بک قلوب الجهّال الیهم، فلم یبلغ اخص وزرائهم، ولا اقوی اعوانهم، إلاّ دون مـا بلغت من اصـلاح فسادهم، واختلاف الخاصه والعامه الیهم [۶۴] ط: فی ظل هـذه الشـجره الجمیله التی یوشک ان تقطع والتی تسمی عمر الانسان،

علینا ان نعمل ونکافح ونتحرک لما فیه النفع الخاص والعام.انها ایام قلائل، وساعات معدوده. فعلی الانسان ان یقدم الثمار الطیبه من کل ما یسمو ویجدر (یا ایها الانسانُ انک کادحٌ الی ربک کدحاً فملاقیه) [۶۵] وسواء اعمل الانسان خیراً أم لم یعمل فعما قلیل سوف لا نری داراً ولا دیّاراً وسوف ینقضی العمر، ویبقی العمل.یقول الامام زین العابدین (علیه السلام): اعلم ان الساعات تذهب عمرک، وانک لا۔ تنال نعمه إلّا بفراق اخری، فایاک والامل الطویل; فکم من مؤمل مالا یبلغه، وجامع ما لا یاکله ومانع ما سوف یترکه، ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه.ویقول أیضاً:تعز فکل للمنیه ذائق و کل ابن انثی للحیاه مفارق فعمر الفتی للحادثات دریئه تناهبه ساعاته والدقائق کذا نتفانی واحداً بعد واحدوتطرقنا بالحادثات الطوارقالی ان یقول: فالشباب للهرم، والصحه للسقم، والوجود للعدم، وکل حی لا شک مخترم.ولکن العمر علی الرغم من قصر مدته، من المستطاع ان یتخذ سلماً الی خیر کثیر، ومرقیً الی دار لا۔ تفنی ولا تبید. وما انفع التجاره واروعها فی هذه الایام القلیله. أو کما قال الامام زین العابدین (علیه السلام):الدنیا سوق الاخره، والنفس تاجره، واللیل والنهارُ رأس المال [۶۶] وإذا کانت النفس تاجره فعلیها ان تعد البضائع النفیسه، وتهییء المستلزمات الکافیه، من اجل الربح الوافر، کما ان علیها الالتزام بشؤون التجاره، ومراعاه نظام الاسواق، وعلیها ان تعرف جیدا ان النظام دقیق، والرقباء اشدّاء.وفی هذا المنحی من مراعاه النظام، الی تحمل المسؤولیه یقول الامام زین العابدین:لیس لک ان تقعد مع من شئت لان الله تعالی یقول: (وإذا رأیت الذین یخوضون فی آیاتنا فاعرض عنهم حتی یخوضوا فی حدیث غیره واما ینسینک الشیطان فلا تقعد بعد الذکری مع

القوم الظالمين) [۶۷] وليس لـک ان تتكلم بمـا شـئت لان الله تعالى يقول: (ولا تقف ما ليس لک به علم) [۶۸] وقال رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم): رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صـمت فسـلم.وليس لک ان تسمع ما شئت لان الله تعالى يقول: (ان السمع والبصر والفؤاد كل اُولئک كان عنه مسؤولاً) [۶۹] ضياع الوقت قديماً وحديثاً:لقد كان النظام الحاكم ابان عهد الامام زين العابدين (عليه السـلام)، مشـجعاً للفراغ وضـياع الوقت، داعياً للهو والعبث; من اجل ان يتحرک ذراع السياسه باى اتجاه اراد، ولا يجـد من يمنع حركته ووجهته.ولاـ نعتقـد ان قصه مجنون ليلى بـالقصه الحقيقيه، ومـا نراهـا إلّا اسـطوره اختلقتها ووضـعتها اخيله سياسه النظام الحاكم، وانتزعت لها الاشـعار المختلفه من هنا وهناک; فى سبيل اشغال الناس عن الشؤون الرئيسيه للدوله، وتمرير مخططـات النظـام سـالمه آمنه.ولو كان الامر يقتصـر على الضـياع البرىء للوقت، لكان اخف وطأه، واقل شـراً. بيـد انه قـد فتحت ابواب واسعه للموبقـات والمنكرات. وكـان الاخطـل التغلبى شاعر البلاط يـدخل على عبـدالملک بن مروان، وإن قطرات الخمر على لحيته.ولقد اسـتمرت هذه السـياسه، بل وما هو شـر منها واخطر الى هذا اليوم، فما اكثر مساحات الفراغ وما اوسعها، وما اتفه الوحده الزمنيه قصـرت أو طالت فى هذا العصـر الضائع.ولقد احسن المفكر المعاصر هتشنس Hutchins الرأى حيث يقول:ان لم يهلک انسان هذا العصر نفسه بالقنبله الذريه والهيدروجينيه، فسوف يدمر نفسه بوقت الفراغ الطويل، الذى سيخلفه هذا العصر الـذرى، وإذا لم توجّه اوقات الفراغ وجهه سويه مخططه انتشـرت الجرائم، وسـيطر الترويج التجارى المنحرف على امزجه الناس. ى ــ التأكيد على ذلک الفاتک الشرس، القاهر المفترس، هادم اللذات وفاجع الانسان بأخيه الانسان، اعنى

الموت.إذ ان التفكير بـالموت والاتعـاظ به، والتأمـل بمآل اخواننا وآبائنا، الـذين اطفأ الموت قبس حياتهم، فـذهبوا غير عائـدين، كـذهاب الامـس الـذاهب؛ فلاـ عوده لهم، ولاـ زيـاره ترجى منهم حـتى يوم التنـاد.ان التفكر بـالموت واحواله، واتسـاع حركته، والاتعاظ به عامل من عوامل تهذيب المجتمع، وتشذيب الغرائز، وتصـحيح توجهات الانسان، وكبح نفسه الجموح.كما انه عنصر من عناصر مضاعفه النشاط الخير، والسعى الهادف، والاستكثار من صالح العمل، والتزود من وافر المتاع؛ إذ ان لكل انسان فرصه للانجـازات النظريه والتطبيقيه. فـإذا دق الموت سـاعه الصـفر، واقبل يزحف فلا يقف فى وجهه شـىء؛ فان الفرصه تأذن بالوداع، وتنقطع المهله أى انقطاع.وعلى هـذا لا يصـح ولا يمكن ابعاد ذكر الموت، والاعتبار به، عن مجمل المنهـج التربوى فى الاسـلام. كما ان من الخطأ اعتبار التأكيد على الموت، داعياً ومحفزاً للكسل، بل ان العكس هو الصحيح.أُكمل الخير فى الصباح لئلا يهبط الموت فى هبوط المساءِ ترقد الروح والضـمير إذا مانسيا الموت مقلق الاحياءِ رفرف الموت فاهتزت اباءً أنْ يوافى ولم يتم بنائى فـاذا الموت ذكره وخطـاه فيه خصب الحيـاه روح النمـاءِ نعم ان الموت داعيه الى الخمول التام، والكسل الكامل عن ممارسه أى لون من الوان الانشـطه التى تحرف الانسـان عن الـدرب اللاـحب، والخـط القويم، أو على حـد تعبير الامـام زين العابـدين (عليه السـلام):وفى ذكر هول الموت والقبر والبليعن اللهو واللذات للمرء قاصـرُوفى المنهج التربوى لاهل البيت (عليهم السـلام) حشـد من الخطب والكلمـات، وغرر الحكم، الكاشـفه عن فلسـفه المـوت، واجـوائه، المركزه على التفكير فيه، المؤكـده على الانزجـار خشـيه نزوله، والتوبه قبـل وروده. ولهم فى ذلـك وصف دقيق، والتفاتـات حيّه وتعـابير ملهمه، تخشع لها القلوب، وتضـطرب من هولها الارواح.فمن ذلك قول الامام زين العابدين

(عليه السـلام): انظر الى الامم الماضـيه، والملوك الفانيه، كيف افنتهم الايام; ووافاهم الحمام، فانمحت من الدنيا آثارهم وبقيت فيها اخبارهم.واضـحوا رميماً فى التراب وعُطلت مجالس منهم اقفرت ومعاصروحلوا بدار لا تزاور بينهم وانى لسكان القبور تزاور فما إن ترى إلاّ جثىً قـد ثووا بها مسـطحه تسـفى عليها الاعاصـركم من ذى منعه وسـلطان، وجنود واعوان، تمكن من دنياه، ونال فيها ما تمنّاه وبنى فيها القصور والـدساكر، وجمع الاعلاق والذخائر.فما صـرفت كف المنيه إذاتت مبادره تهوى إليه الذخائرُ و لا دفعت عنه الحصون التى بنى وحف بهـا انهارها والـدساكرُ ولا قارعت عنه المنيه حيله ولا طمعت فى الـذبّ عنه العساكرُ اتاه من الله مالا يرد، ونزل من قضائه مالا يصـد [٧٠] . ويقول (عليه السـلام) فى هـذا المجـال أيضاً من كلام له: ويحك يابن آدم الغافل وليس مغفولاـ عنه، ان اجلك اسـرع شـىء اليك. قـد اقبل نحوك حثيثاً [٧١] ، يطلبك ويوشك أن يـدرككَ، فكأن قـد اوفيت اجلـك، وقـد قبض الملـك روحـك، وصـيرَّك الى قبرك وحيـدا; فردَّ عليـك روحـك، واقتحم عليـك ملكـاك منكر ونكير لمساءلئك وشديـد امتحانك. الا وإن اول ما يسألانك عن ربك الـذى كنت تعبده، وعن نبيك الذى ارسل اليك، وعن دينك الـذى كنت تـدين به، وعن كتابك الـذى كنت تتلوه، وعن امامك الـذى كنت تتولاه، وعن عمرك فيما افنيت، وعن مالك من اين اكتسـبته وفيمـا انفقته، فخـذ حـذرك، وانظر لنفسـك، واعـدَّ الجواب. ك ــ التنـبيه المتواصـل، ويـاله من تنبيه كـأنه صـعقه كهربائيه; فلا يمكن تجاهلها فى حال من الاحوال. ينسـكب هـذا التنبيه فى مجارى قلوب الامه وعقولها. ان يا ايتها الامه احذرى من احابيل الدنيا وتصاريفها. يعاضد ذلك ابراز خصائصها وطبائعها الذاتيه والعرضيه، والتعريف

بقدرها وختلها، ووعودها السرابيه، والدعوه الى الزهد فيها، والابتعاد عن نزواتها.يقول سلام الله عليه: وما عسيت ان اصف من محن الدنيا، وابلغ من كشف الغطاء، عما وكل به دور الفلك من علوم الغيوب، ولست اذكر منها إلاّ قليلا افنته، أو مغيب ضريح تجافت عنه، فاعتبر ايها السامع بهلكات الامم، وزوال النعم، وفظاعه ما تسمع، وترى من سوء آثارها، فى الديار الخاليه، والرسوم الفانيه، والربوع الصموت.وكم عالم افنت فلم تبک شجوهو لابدَّ ان تفنى سريعاً لحوقُها فانظر بعين قلبك الى مصارع اهل البذخ، وتأمل معاقل الملوک ومصانع الجبارين، وكيف عركتهم الدنيا بكلاكل الفناء، وجاهرتهم بالمنكرات، وسحبت عليهم اذيال البوار، وطحنتهم طحن الرحى للحب، واستودعتهم هوج الرياح تسحب عليهم اذيالها فوق مصارعهم فى فلوات الارض.مما هو جدير بالذكر أَن للدنيا ساحتين: ساحه للخير والفضيله، وساحه للشر والرذيله. ففى الساحه الاولى ينبغى لاولى الالباب التزود منها، والسعى الجاد فيها، والتسابق الى المزيد من الاعمال الصالحه. وفى الساحه الثانيه ينبغى لاولى الالباب التنزه عنها وعدم التلوث فيها والترفع عن صعيدها الشائن.اللهمَّ إلاّ من زاويه دفع الشر بالشر، أو كما قال الامام على بن ابى طالب (عليه السلام): ردوا الحجر من حيث جاء فان الشرَّ لا يُدفع إلاّ بالشرِّ.بيد ان هذا اللون من الشر خير ورحمه وفضيله.ومما لا ريب فيه ان فلسفه الزهد فى الاسلام، التى تنتظم خيوطها فى الكتاب والسنه الزكيه، انما تدعو الى الزهد فى الدنيا، بمعنى الزهد فى الشر والرذيله وما يمت اليهما بصله وارتباط، وليس الزهد فى الساحه الاولى، اى تدعو وتؤكد على الزهد فى الساحه الثانيه فحسب.ولكن ثله من ذوى التفكير العقيم، والجمود الكامل على النص المقدس قد انكبوا على مفهوم الزهد على انه زهد

بالـدنيا بكـل آفاقها وميادينها ومسـتوياتها.وإذا ما اخـذنا بهـذا الفهم الخاطئ للزهـد لا يبقى مجال أو لا يبقى معنىً لتنفيـذ الايات القرآنيه المبـاركه، والاحـاديث الوافره، التى تحث وتـدعو الى الاعمال الصالحه بشتى ضـروبها وافانينها. إن الفكره الخاطئه حول الزهد كانت سـبباً من الاسـباب الرئيسـيه لتخلف المسـلمين فى عده أحقاب تاريخيه. ل ـ كشف الاقنعه السياسيه. قال الامام زين العابدين صلوات الله عليه من جمله رساله طويله: ايها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت واتباعهم، من اهل الرغبه فى الدنيا، المائلون اليهـا، المقبلون عليهـا وعلى حطامهـا الهامـد، وهشـيمها البائـد غداً.واحـذروا مـا حـذركم الله منها، وازهـدوا فيما زهّـدكم الله فيه منها.ولا تركنوا الى ما فى هذه الدنيا ركون من اعدَّها داراً وقراراً، وبالله إن لكم مما فيها عليها دليلاً من زينتها، وتصـريف ايامها، وتغير انقلابها ومثلاتها، وتلعابها باهلها... انها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد النار اقواماً غدا; ففى هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه.وإن الامـور الـوارده عليكم فى كـل يـوم وليله من مضـلات الفتن، وحـوادث البـدع، وسـنن الجـور، وبوائـق الزمـان، وهيبه السـلطان، ووسوسه الشـيطان لتثبـط القلوب عن نيتها وتـذهلها عن موجود الهـدى، ومعرفه اهل الحق، إلاّ قليلاً ممن عصم الله جلَّ وعزَّ; فليس يعرف تصـرف ايامها، وتقلّب حالاتها، وعاقبه ضرر فتنتها إلاّ من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم اسـتعان على ذلك بالزهد; فكرر الفكر، واتعظ بالعبر وازدجر; فزهد فى عاجل بهجه الدنيا، وتجافى عن لذاتها.إن من المعالم الرئيسه لمعرفه الدنيا الزهدُ فيها.وإن من المعالم الرئيسـيه للزهد فيها عدم الركون لطواغيتها.وإن من المعالم الرئيسيه لعدم الركون لطواغيتها تعريه خططهم، وكشف اقنعتهم، وجهادهم جهاداً كبيرا.فمعرفه الـدنيا معرفه صادقه وعميقه تسـتدعى فى نهايه المطاف خوض غمار سياسه إسلاميه هادفه وتستلزم

الجهاد الكبير.ومن هنا نرى أنَّ التدخل فی السیاسه الإسلامیه، والاشتراک بالجهاد فی سبیل الله سبحانه وتعالی لا یکون باباً مفتوحاً علی مصراعیه، لکل من رغب أو اشتهی الولوج فیه.بل ینبغی أن نستدعی لهما «السیاسه والجهاد» من تربّی تربیه رسالیه صادقه.ومن وسائل هذه التربیه:تبصیر الاعضاء المرشّحین للسیاسه والجهاد بالدنیا، وحثّهم علی الزهد فیها. وإذا کان التبصیر بالدنیا والحث علی الزهد، وسیله ممهّده للسیاسه والجهاد فلابد من دیمومه التربیه التبصیریه المذکوره. أعنی حتی أثناء خوضهما.إننا نری فی تأریخ الاسلام الکثیرین ممن اشترک فی السیاسه والجهاد الاسلامی، فبرع فیه، واحتلّ المراکز الحساسه من غیر أن یکون له نصیب وافر من تربیه التبصیر المذکوره آنفاً. فحوّل المجری الطبیعی للسیاسه والجهاد الی مجری شخصی أو فئوی أو اسری، وحرّف المقاییس الاسلامیه وقرعها فی الصمیم.فیا أیّها الرسالیون تیقظوا. م ــ التثقیف الوحدوی: إن الاسلام دین الاستیعاب والاحتضان، لا دین الجفاء والعدوان. وإذا ما اراد الانسان الاعتناق الحقیقی للاسلام فعلیه ان یتمثل تطلعاته، وابعاده، واهدافه، ومن الطبیعی سوف یکون حینئذ، رحیب الصدر، وسیع الافق، قوی الکسب، شدید الجاذبیه. ینظر الی الاخرین بروح شفافه کریمه معطاء، تمور بالحنان والعطف والتآخی ولکن قد رأینا ــ ویا للاسف العمیق ــ من المسلمین من یتعصبون لمذهبهم، اکثر مما یتعصبون لقرآنهم الکریم، وسنه نبیهم (صلی الله علیه وآله وسلم)، وإذ ما رأوا فارقاً بین القرآن والسنه وبین مذهبهم فانهم یؤولون القرآن والسنه وکل شیء لصالح المذهب.ولو اقتصر الامر علی الجهّال لکان الشر اقل، ولکن عدداً غیر قلیل من الکتاب واصحاب الخلفیه العلمیه المرموقه سائرون علی هذا المنوال، من حیث یشعرون أو لا یشعرون.فیا ربِّ هل إلا بک النصر یرتجی ویا ربِّ هل الاعلیک المعوَّل [۷۲] ولابدَّ لنا

ان ننقـد انفسـنا نحن المسـلمين نقـداً موضوعياً بناءً فنقول بوضوح ان الثقافه الوحدويه ما بين المسـلمين ثقافه ضـعيفه ومحدوده، ومن الجـدير جـداً بالرساليين من ذوى الهمم العاليه النهوض بهـذا العبء الثقيل (ولا ينهض بالعبء الثقيل إلّا اهله).ليست الثقافه الوحـدويه كتاباً يقرأ مره واحـده ثم يلقى جانباً بـل من الضـرورى ان تشـكل حيّزاً كبيراً من المساحه الثقافيه للفرد المسـلم.ومن واجباتنا الاساسـيه ان نبث الاشعاع الوحدوى فى احاديثنا ولقاءاتنا ومحاضراتنا وكتبنا ومختلف الوسائل الاعلاميه، وان ذلك ليس بالشـيء الكثير.والان فلنصغ الى امـام من أئمه المسـلمين لنستلهم منه شـيئاً من الافكـار والتطلعـات الوحـدويه.يقول الامـام زين العابـدين (عليه السـلام): ان عرض لك ابليس لعنه الله بأن لك فضـلاً على احد من اهل القبله; فانظر ان كان اكبر منك فقل: قد سبقنى بالايمان، والعمل الصالح فهو خير منى، وان كان اصـغر منك فقل: قد سـبقته بالمعاصى والذنوب فهو خير منى، وان كان تِربك [٧٣] فقل: انا على يقين من ذنبى، وفى شك من امره; فما ادع يقينى لشـكّى.وإن رأيت المسـلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك، فقل: هذا اخذوا به، وان رأيت منهم جفاءً وانقباضاً، فقل: هذا الذنب احدثته; فانك إذا فعلت ذلك سهل الله عليك عيشـك، وكـثر اصـدقاؤك; فقـلَّ اعـداؤك، وفرحت بمـا يكـون من برهم، ولم تـأسف على مـا يكـون من جفائهم.وقـال (عليه السـلام): واما حق اهل ملتك عامه فاضمار السلامه ونشر جناح الرحمه والرفق بمسيئهم، وتألفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم الى نفسه واليـك... فعمهم جميعـاً بـدعوتك، وانصـرهم جميعاً بنصـرتك، وانزلهم جميعاً منك منازلهم، كبيرهم بمنزله الوالـد، وصـغيرهم بمنزله الولـد، واوسـطهم بمنزله الاخ، فمن اتاك تعاهدته بلطف ورحمه. وصل اخاك بما يجب للاخ على اخيه. ن ــ
ضروره التفاعل مع قضيه الامام الحسين

بن عليّ (عليهما السلام) فى القضيه الكبرى.إن قضيه الامام الحسين انما هى قضيه الخط الاسلامى الصاعد قوه وشموليه واصاله وازدهاراً. إن ثوره الامام الشهيد الحسين بن على (عليهما السلام) انما هى ثوره الكلمات المقاتله، والافعال الجريئه، والقضيه العادله. لقد روّى الامام الحسين شجره الاسلام بدمه الزاكى ودماء اهل بيته واصحابه الكرام حتى عادت باسقه، وارفه، معطاء.إن علماء الاسلام ومفكريه الاجلاء ينظرون الى الامام الحسين انه القدوه المثلى فى الاستقامه والفضيله، والمثل الاعلى فى التضحيه والفداء.لقد علَّم الامام الحسين بن على (عليهما السلام) المفكرين على التضحيه من اجل فكرهم،والعلماء على ان يقرنوا العلم بالعمل،والزهاد على الزهد بحياه الذل والهوان،والاحرار على ان يستعبدوا الموت الاحمر،والابطال على عدم التنازل حين الانفراد بالمعركه،و الانسانيه على ان تحترم نفسها امام وحشيه الطغاه والمستبدين.إن وحشيه السباع بافتراسها، ووحشيه الانسان بصلفه وطغيانه وجبروته. ومما لا ريب فيه ان اكبر وافضل تفاعل مع قضيه الامام الحسين انما يكمن فى الاقتداء بسيرته وهديه بالصوره الشامله. واما الاقتداء ببعض شؤونه ومنطلقاته فهو من شأن احرار وابطال كثيرين، بل ان عدداً منهم لم يكن يلتقى الامام الحسين (عليه السلام) فى الخط والتوجه. فمن اولئک مصعب بن الزبير بن العوام والى العراق من قبل اخيه عبد الله بن الزبير; فانه لما خذله العراقيون، وبقى فى قله من الانصار، لم يرضخ لمساومه جيش عبد الملک بن مروان، ولم يشأ ان ينقاد للهوان والتنازل، واشار الى قبر الامام الحسين قائلاً: ما ترک لنا صاحب هذا القبر من عذر، وتمثل بقول سليمان بن قته.وإن الالى بالطفِّ من آل هاشم تأسوا فسنّوا للكرام التأسيا و إذا كان مصعب بن الزبير قد اقتفى اثر الحسين (عليه السلام) من جهه عدم التساوم والخضوع،

فـان الزعيم الروحى للهنـد المهاتمـا غانـدى قـد اقتفى اثر الحسـين واقتـدى به من جهه استيعاب المظلوميه فى سبيل الوصول الى الاهـداف الساميه. قال غاندى:تعلّمت من الحسـين ان اكون مظلوماً لكى انتصـر. ونشـر مبادئ ثوره كربلاء والدعوه اليها، والدفاع عنهـا، ودرء الشـبهات عنهـا كـل ذلـک من التفاعـل مع الامـام الحسـين فى قضـيته.وبيان مسـاوئ اعـداء الامام الحسـين وآثامهم وجرائرهم، كل ذلک من التفاعل مع الامام الحسـين فى قضـيته.وزياره مرقـده (عليه السـلام)، والدعوه الى الزياره، وبذل الاموال الطائله فى سبيل ذلک، من التفاعل مع الامام الحسين فى قضيته أيضاً.ولقد ذكرنا فى بحث «مع الامام الحسين فى الثوره الخالده» تفصـيلات حول مواقف الامام زين العابدين من قضـيه الامام الحسين وآثاره فيها، وتفاعله العظيم معها.والان نشير الى شىء يسير مما لم نكن ذكرناه فى ذلک البحث: قال له مولاه: يا مولاى أما آن لحزنک ان ينقضـى؟ فقال (عليه السلام): ويحک ان يعقوب نبى ابن نبى، كـان له اثنـا عشـر ولـدا; فغيب الله عنه واحـداً منهم; فبكى حتى ذهب بصـره، واحـد و دب ظهره، وشاب رأسه من الغم، وكان ابنه حيا يرجو لقاءه، فإنى رأيت ابى واخى واعمامى وبنى اعمامى ثمانيه عشـر مقتلين، صـرعى، تسـفى عليهم الريـح، فكيف ينقضـى حزنى وترقـأ عينى.لاـ يوم كيوم الحسـين ازدلف اليه ثلاثون الف رجل، يزعمون انهم من هـذه الامه، كلّ يتقرب الى الله عزّوجـلّ بـدمه، وهو بـالله يـذكرهم فلاـ يتعظون، حتى قتلوه بغيـاً وظلمـاً وعـدواناً.ثم قال: رحم الله عمى العباس فلقـد آثر وابلى، وفـدى اخـاه بنفسه حتى قطعت يـداه، فابـدله الله عزّوجلّ جناحين يطير بهما مع الملائكه، كما جعل لجعفر بن ابى طالب، وإن للعباس عند الله تبارک وتعالى منزله، يغبطه بها جميع الشهداء يوم

القیامه [۷۴] عن ابی عبدالله الصادق (علیه السـلام) قال: بکی علی بن الحسین علی ابیه حسین بن علی صلوات الله علیهما عشرین سنه أو اربعین سـنه، ومـا وضع بین یـدیه طعـام إلّا بکی علی الحسـین، حتی قال له مولیً له: جعلت فـداک یا ابن رسول الله، انی اخـاف علیـک ان تکون من الهـالکین. قال: (انما اشـکو بثی وحزنی الی الله واعلم من الله ما لا تعلمون) انی لم اذکر مصـرع بنی فاطمه الا خنقتنی العبره لـذلک [۷۵] قال (علیه السـلام) لاحـد اصـحابه: بلغنی یا زائده [۷۶] انک تزور قبر ابی عبـد الله الحسـین (علیه السـلام) احیانا. فقلت: ان ذلک لکما بلغک. فقال لی: فلماذا تفعل ذلک، ولک مکان عند سـلطانک الذی لا یحتمل احداً علی محبتنـا وتفضـیلنا، وذکر فضائلنـا، والواجب علی هـذه الامه من حقنا؟.فقلت: والله ما اریـد بـذلک إلّا الله ورسوله، ولا احفل بسـخط من سخط، ولا یکبر فی صدری مکروه ینالنی بسببه. فقال: والله ان ذلک لکذلک؟ فقلت: والله ان ذلک لکذلک، یقولها ثلاثا واقولها ثلاثا. فقال: ابشـر، ثم ابشر، ثم ابشر الحدیث [۷۷] ومما تقدم وغیره یعلم ان الامام زین العابدین (علیه السـلام)، اراد ان یدخل ـ بحق ـ قضیه الامام الحسین (علیه السلام)، ضمن اساسیات التربیه الاسلامیه، وفی اطارها الاستراتیجی الذی لا یحول ولا یزول. والحق کل الحق لابدَّ ان یقال: إن ثوره الامام الحسین حد صقیل لکلِّ سیف یُمتشق من اجل العداله والفضیله والحریّه والکرامـه.إن ثـوره الامـام الحسـین تلقـن الشـمس المضـیئه کیـف تزداد تألقـاً وضـیاء.وتعلّم القمر الجمیـل کیـف یزداد نـوراً وجمالا.وتربّی السماء الرفیعه کیف تزداد سموّاً وارتفاعاً.

سیاسه التعامل الاجتماعی

الوان التعامل

قیمه التعامل

اشاره

یعتبر التعامل الکاشف الواقعی عن جوهر المسلمین ومدی تمسکهم بالاسلام. وهو الرکیزه

الاكثر تأثيراً فى تعميق الاسلام بنفوس مختلف الجماهير، ونشره عقيده وتشريعاً ومنهجاً تبشيرياً عالمياً. ان التعامل يترك بصماته الواضحه على النفوس ان خيراً فخير وإن شراً فشر. بالكلمه الطيبه وبالتعامل بالحسنى دانت بالاسلام مناطق واسعه من ارجاء المعموره وعلى سبيل المثال اندونيسيا ودول البلقان. انهم حينما رأوا الخُلق العاطر للتجار المسلمين، والمسامحه فى التعامل، و المساهله فى البيع والشراء، والاخلاص فى العمل، والابتعاد عن الغش والتطفيف فى المكيال والميزان.. رغبوا فى دين الاسلام واعتنقوه. اما سوء التعامل وقبحه من قبل كثير من المسلمين فقد أثر التأثير السلبى على الاسلام فنتيجه لسياسه عده عصور من التاريخ الاسلامى تلك السياسه الشنعاء الشوهاء التى انطوت على ألوان من التعامل المقيت بما لا يرتضيه القرآن الكريم والسنه المطهره.. قد انسحب بعض الذين اسلموا الى عقائدهم الاولى غير الاسلاميه. كما ان حركه الاسلام فى الكسب الى حظيرته عاشت نوعاً من الفتور او الجمود فى ازمان مختلفه للسبب ذاته. كما ان بعض المسلمين قد انسحبوا من حظيره الاسلام للسبب ذاته ايضاً ولقد سأل الحجاج شاباً ان يقرأ القرآن فقرأ: اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله افواجاً، فقال: ويحك يدخلون. وليس يخرجون فأجاب بأن ذلك الدخول فى الاسلام كان فى الزمن السابق اما فى زمان الحجاج فيخرجون. ان كل قيمه للتعامل بالحسنى ــ مع صدق الطويَّه ــ اضافه الى آثارها الايجابيه سياسياً واجتماعياً فى الحياه الدنيا فانها تعكس آثارها النافعه على المتعاملين فى الدار الاخره، بشكل عجيب. وحسبنا ان بعض المتعاملين بالحسنى يدخلون الجنه بغير حساب. يقول الامام زين العابدين (عليه السلام) وهو ينشر سياسه التعامل بالحسنى ويحث عليها وهذه احدى اساليبه فيها: إذا كان يوم القيامه

نـادى منـاد ليقم اهـل الفضـل، فيقوم نـاس من النـاس فيقال: انطلقوا الى الجنه فتتلقاهم الملائكه فيقولون: الى اين؟ فيقولون: الى الجنه. قـالوا: قبـل الحساب؟ قالوا: نعم قالوا: ومن انتم؟ قالوا: اهل الفضل. قالوا: وما كان فضـلكم؟ قالوا: كنا اذا جُهل علينا حلمنا، واذا ظلمنا صبرنا، واذا اسـىء الينا غفرنا، قالوا: ادخلوا الجنه فنعم أجر العاملين. ثم ينادى مناد: ليقم جيران الله فى داره. فيقوم ناس من النـاس وهم قليـل، فيقال لهم: انطلقوا الى الجنه، فتلقاهم الملائكه فيقال لهم مثل ذلك. قالوا: وبِمَ جاورتم الله فى داره؟ قالوا: كنا نتزاور فى الله ونتجالس فى الله، ونتباذل فى الله، قالوا: ادخلوا الجنه فنعم اجر العاملين [٧٨] .

مصدر التعامل

إنّ المعتقـد الـذى يؤمن به الفرد او المجتمع لهو أهمّ مصـدر ينطلق منه التعامل. لا نعنى بالمعتقـد المعتقـد الـدينى فحسب، وانما نعنى جميع المبادئ والاسـس الايمانيه. سواء كانت دينيه أو سياسيه او اجتماعيه. صحيحه كانت أو خاطئه، حتى تلك الغارقه فى الخطيئه والطغيـان كـذلك التعامـل الـذى يجرى فى ارجاء من الولايات المتحـده الامريكيه; فنتيجه لاعتقاد الكثيرين من الجنس الا ـبيض انـه اسـمى عرقـاً وأنقى دمـاً واطهر نفسـاً مـن الزنـوج السـود ومن الهنـود الحمر لـذلك اضـطهدوهم وضـيقوا عليهم فى المشـاركه فى مقـادير من المرافق الحيويه والشؤون العـامه للبلاد، دع عنك كلمات الاسـتهزاء التى تطلق مجاناً وبغير حساب. وما يجرى اليوم فى اسرائيل فى تعاملها السياسى والاجتماعى مع الفلسطينيين انما هو على أساس الشموخ النوعى، والاستعلاء العبرى، الـذى يشـكل فيـه اعتقـادهم انهـم شـعب الله المختـار حجر الزاويـه فى مجـال التعامـل السياسـى والاجتمـاعى مـع الفلسـطينيين المضـطهدين. ان التعامل عنـد الامام زين العابـدين (عليه السـلام) منبثق من المعتقـدات كـذلك، بيـد أنها المعتقدات الصـحيحه الاصيله

التى لا تشوبها شائبه; اذ ان معرفته بالمعتقدات الاسـلاميه واصول التعامل السياسى والاجتماعى فى الاسلام انما هى معرفه كامله، واستيعابه لجوانبها استيعاب محيط، وهو بعد على بيّنه من ربه وبصـيره من عقيدته. فاذا كانت بعض الرهوط الاجتماعيه والقيادات السياسـيه تتعامـل وفق الاساس الاعتقادى فقـد يكون تعاملهم منبجساً من المعتقـدات الزائغه أو الخاطئه. او مسايره ومـداهنه لمثل تلك المعتقدات حذراً من ضـغط سياسـى أو خشـيه من بعض القيود الشـعبيه، أما الامام زين العابدين (عليه السلام) فى منطلقاته التعـامليه فلم يكن يصـدر إلاّـ عن طريق الايمان بها، والاخلاص لها، والـذوبان فيها. إنه الرسالى العظيم الـذى يتحرك فى تعامله ضمن رسالته ومعتقداته مستمراً فى خطته، دائباً فى عمله البنّاء.

طبيعه التعامل

لم يرد التعامـل عنـد الامام زين العابـدين (عليه السـلام) فى صـيغه انجازيه لمسؤوليته الفرديه ـ وان كان هـذا من خطها ـ وانما يـذهب بعيـداً الى حيث الهموم السياسـيه والاجتماعيه الى حيث أن يرغب المجتمع ويوجه السياسـيين فى طريق التعامل بالتى هى اَحسن. يقول (عليه السـلام): ان اَسـرع الخير ثواباً البِرّ، واَسـرع الشر عقاباً البغى، وكفى بالمرء عيباً أن ينظر فى عيوب غيره ويعمى عن عيوب نفسه، أو يؤذى جليسه بمـا لاـ يعنيه، أو ينهى الناس عما لا يسـتطيع تركه. وقال (عليه السـلام): افعل الخير الى كل من طلبه منـك; فـان كـان له أهلاً فقـد أصـبت موضـعه، وان لم يكن بأهل كنت أنت أهله. أى أنه صـلوات الله عليه لم يجعل تبادل المصالح الدافع الوحيد لعمل الخير، بل فى نظريته ان عمل الخير لابد منه، فلئن لم يكن المقابل مستحقاً له فينبغى أن يكون فاعل الخير مستعداً لاسدائه، مؤهَّلًا لهبته. ومن نثره الدر أو نطقه بالكلمات المضيئه فى هذا

الصدد هذه الدره اليتيمه: عليكم بأداء الامانه، فوالذى بعث محمداً بالحق نبياً لو أن قاتل أبى الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام) ائتمننى على السيف الذى قتله به لادّيته اليه. إنَّ للامانه قيمه ذاتيه وعلى الرسالى تأديه الحق فيها والوقوف منها وقوفاً التزامياً سواء كانت لاقرب الناس اليه سلوكاً ومعتقداً أم لابعدهم عنه؛ لان بُعد المؤتمن عقيدياً أو سلوكياً لا يغضَّ من القيمه الذاتيه للامانه، وها هو الامام زين العابدين (عليه السلام) يضرب لاداء الامانه مثلاً هو سيف ابغض السيوف اليه، من أجل أن يؤكد على القيمه الكبيره لها. وفى هذا الصدد أو قريب منه جاء الحديث ليؤكد: ائتمن من ائتمَنك ولا تخن من خانك. اِنَّ الامانه فى نظريه الامام زين العابدين لم تكن شاذه فى مجمل التعامل والخط العام للسلوك الاجتماعى والسياسى، انها لا تشكل غير جزء واحد من الاطار الشامل للقيمه الذاتيه لكل المحاسن الخلقيه كالوفاء والانتصار للحق. ما المثال المتقدم الا حلقه من سلسله ذهبيه لاقواله وأفعاله التى خلّفها للاجيال قدوه حسنه لمن اراد الاقتداء، واسوه مثلى لكل عشاق الرفعه، والسمّو، والخير، والجمال. لقد كان والى المدينه يؤذيه كثيراً، وعندما أُقيل من منصبه، وأُقيم للناس ليأخذ كل من ظُلم حقه منه كان جُل هم الوالى وخوفه من زين العابدين لانه (عليه السلام) قد لقى منه ظلماً كثيراً. ولكنه (عليه السلام) قد تقدم لاتباعه ومريديه بأَن لا يتعرّضوا إليه بمكروه. ومرّ (عليه السلام) بجانبه غير أنَّ شيئاً من خشونه التعامل لم يظهر منه، فبُهت الوالى من هذا التعامل الاسلامى البنّاء والسياسه الباهره فنادى: الله اعلم حيث يجعل رسالته. لا احسب ذلك النداء إلاّ نداء الضمير وحركه الوجدان هزّته اليها جاذبيه المعامله

المعطار فاستفاق هاتفاً بالحقيقه الغراء.

مراتب التعامل

اَدنى مراتب التعامل الاجتماعى مرتبه العُرف، وقد وصفتها بـاَدنى المراتب لان العرف الاجتماعى لا يكتسب درجه عاليه من الديمومه. فان الجيل اللاحق قد يرفضه من الاساس، ويقلبه رأساً على عقب، وثانياً لان العرف الاجتماعى فى كثير من الاحايين لا ينمو الا فى ساحه بعض العقول البشريه والنفسيّات المختلفه ثم على تعاقب الليالى والايام يتّخذ العرف صيغاً متَّبعه عند مجتمع ما. ان العقول البشريه مع اكبارنا لها ـــ من عده جوانب ـــ عرضه للخطأ، والاشتباه. اريد ان اقول: العقل مارد جبار يقفز فوق كثبان من الرمال. وفى هذه القفزات كثيراً ما تغوص قدماه بالرمال، اما النفسيات فانها كثيراً ما تداعبها الاهواء والامزجه الدنيئه والامراض المختلفه، الظواهر منها والكوامن. ومع هذه المؤاخذات على العرف فان منه ما يسمو بالمجتمع الى الغايه النبيله والرتبه السامقه. وان من العرف ما يبنى صرحه على اساس فطرى سليم، وغريزه انسانيه فاضله. واسمى من مرتبه العرف مرتبه التشريع الاسلامى، والتقنين الربّانى. ان النعتين السلبيين اللذين تطرّقا الى العرف بعيدان عن التشريع، إذ اِنه منحه الرب عزوجل، ولم يكن من صنيع العقل البشرى، وما يؤاخذ على النفس الانسانيه لا يُذكر عند التعرض لتشريع الرّب تبارك وتعالى. ان التعامل وفق التشريع الاسلامى يتكفل بسعاده المجتمع وخلاصه ضمن أطره، وليس فى التعامل ضمن التشريع ما يزرى بالانسانيه ويحط من قدرها والعكس صحيح. لقد تطرقنا لمرتبتين من التعامل ولابد من التطرّق للمرتبه الثالثه منه ألا وهى التعامل وفق الخلق الاسلامى. قد يبدو هذا العنوان غريباً أول وهله فان التشريع الاسلامى بما فيه من التعامل مستند على الركائز الاخلاقيه فى مناحيه كافه، فكيف يدرج عنوان للتعامل الخلقى الاسلامى مستقلاً عن التعامل

الثانى (التشريع) ورابياً عليه، ومتربعاً فوقه؟ الجواب: لا اشكال بسمو التعامل الثانى وخلقيته، ولكن التعامل ضمن دائرته فحسب يجعل المتعاملين «مع تمسكهم بالتشريع» يتقاربون فى المستوى العملى لانهم يتعاملون وفق ارضيه واحده لا يرتفع بعضها على البعض الاخر الا قليلا، اما التعامل الخلقى فهو اولاً لا يعنى غير الخلق الاسلامى وثانياً انه غير واجب على معتنقى الايمان الالتزام به فرضاً حتمياً. وفى الارتقاء لمرتبه الخلق ثم التصاعد فوق مدارجه يتميز الصالحون والصديقون والصفوه من المتقين ما بين درجات عليا من الايمان حتى الحد الادنى منه ما تصدق عليه العداله. ولمزيد من الايضاح نضرب لذلك مثالاً عن الامام زين العابدين (عليه السلام). كان يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبّه فثارت اليه العبيد والموالى، فقال لهم على زين العابدين (عليه السلام): مهلًا كفوا، ثم اقبل على ذلك الرجل فقال له: ما ستر عنك من امرنا أكثر. ألك حاجه نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه زين العابدين خميصه كانت عليه وامر له بالف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: اشهد انك من اولاد الرسل. اذا أراد الامام زين العابدين (عليه السلام) ان يأخذ حقه من هذا الرجل العادى عليه فان هذا مما لا شبهه فيه تشريعاً لان الاسلام لم يحرم على الفرد المسلم اخذ حقه ممن ظلمه، بيد ان الامام زين العابدين (عليه السلام) اتبع الخطوات التاليه: اولًا: نهيه اتباعه عن ا لتعرض بسوء للمعتدى. ثانياً: لطفه وتواضعه فى مقابله الرجل بقوله: ما سُتر عنك من امرنا اكثر. ثالثاً: عرضه على الرجل القيام باعانته على حاجته. رابعاً: الهديتين اللتين قدمهما له. ان شيئاً من هذه الخطوات لا تجب فى التشريع الاسلامى، فلو اراد الامام زين العابدين (عليه السلام)

او أى انسـان آخر ان يتركهـا لم يكن عليه بـأس، ولم يقترف خطيئه، غير أن اتباعهـا او بعضـها شـيء محبب، مُرغّب فيه، دعا اليه الخلق الاسـلامى ونهض به اعـاظم الصـالحين و سـاده المتقين، يقول تبـارك وتعالى: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) [٧٩] ويقول تعالى كذلك: (ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوه كأنه ولى حميم) [٨٠] .

وجهه التعامل

قبل التوغل فى وجهه التعامل لابد لنا ان نعرف الاصـناف التى نتعامل معها لان المجتمع لم يكن طبقه واحده من حيث السـلوك والتوجّه، ولو أنه كذلك اذن يصح الاتيان بصيغ من نمط واحد نطبقها على الطبقه الواحده، بل يختلف اختلافاً بيّناً واختلافه على نحوين: النحو الاول: اختلاف بين الانحراف وعدم الانحراف. النحو الثانى: اختلاف فى نفس ظروف الانحراف من حيث المسار. يقول الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) فى طبقـات المجتمع وهو ينعت عصـره إلاّ انه ليس ثمَّ فـارق كبير بين طبقـات عصـره وطبقـات العصـر الراهن. يقول: النـاس فى زماننـا على ست طبقـات: اسـد وذئب وثعلب وكلب وخنزير وشاه. فاما الاسـد فملوك الدنيا يحب كل واحد ان يغلب فلا يغلب. واما الذئب فتجاركم، يذمّون اذا اشتروا، و يمدحون اذا باعوا. واما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ولا يكون فى قلوبهم ما يصـفون بالسـنتهم. واما الكلب فيهرّ على الناس بلسانه، ويكرمه الناس من شر لسانه. واما الخنزير فهؤلاء المخنثون وأشـباههم لا يُدعون الى فـاحشه إلا اجـابوا. وامـا الشـاه فهم المؤمنون الـذين تُجز شـعورهم، وتؤكل لحـومهم، ويُكسـر عظمهم، فكيـف تضع الشـاه بين اسـد وذئب وثعلب وكلب وخنزير؟ [٨١] . ان التعامـل مع هؤلاء يكون تـاره باعتبارهم مسلمين واخرى بما لهم من حقوق وثالثه بكونهم بشراً

لهم القابليه للانحراف. فاما الخط العام للتعامل معهم بالاعتبار الاول أى أنهم مسلمون فهذا الذى يستعرض الامام زين العابدين (عليه السلام) جوانبه بكلماته: فأما حق اهل ملتک فإضمار السلامه، ونشر جناح الرحمه، والرفق بمسيئهم، وتألفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم الى نفسه واليک فان احسانه الى نفسه احسانه اليک اذا كف عنک، وكفاک مؤونته وحبس عنک نفسه. فعُمَّهُم جميعاً بدعوتک، وانصرهم جميعاً بنصرتک، وانزلهم جميعاً منک منازلهم، كبيرهم بمنزله الوالد، وصغيرهم بمنزله الولد، واوسطهم بمنزله الاخ فمن أتاک تعاهدته بلطف ورحمه، وصِل اخاک بما يجب للاخ على اخيه [۸۲] . قد يرى الرائى ان هذا اللون من التعامل فى الدستور الذى وضعه الامام زين العابدين (عليه السلام) مع طبقات المجتمع كافه بما فيهم الكلاب والذئاب لا يؤدى الا الى نتائج سلبيه من حيث تجرئتهم على سوء العمل، وتشجيعهم على الخلق الدنىء، واضافه لهذا الاشكال قد يرى الرائى ان هذا اللون من التعامل ايضاً يتخذ من طيب القلب الركن الوحيد مستنداً له، وطيب القلب وحده لا يمكن التعامل على ركنه فحسب فى مجتمع يضم شتى أنماط السلوک المهين. اقول اننا اذا اخذنا حق اهل المله عامه بالدستور الذى رسمه الامام زين العابدين (عليه السلام) مع قطعه عن دساتيره الاخرى للتعامل الاجتماعى فالامر يكون كما رآه الرائى. بيد ان الفرق كبير بين ان يكون الاسلوب التعاملى فكره مستقله مبتوره، و بين ان يكون الاعتماد عليه فى ضمن اعتبار معين من اعتبارات شتى فى التعامل. فهذا النمط التعاملى «حق اهل ملتک عامه» باعتبارهم مسلمين بقطع النظر عن اى شىء آخر، اما من حيث اعتبارهم بشراً فيهم القابليه الانحرافيه فقد حدد الامام زين العابدين (عليه السلام) الدستور التعاملى معهم، ومن أمتن

بنوده الامر بالمعروف والنهى عن المنكر. اذ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر احكم درع يقى الامه من الانحراف وياخذ بايديها الى الصراط المستقيم إذا طُبق وفق شرائطه التى رسمها الاسلام. فمن كلامه (عليه السلام): التارك للامر بالمعروف والنهى عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره، الا ان يتقى تقاه، فقيل: وما تقاته؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه او ان يطغى [٨٣] . وهذا الاعتبار الثانى يختلف كذلك عن الاعتبار الثالث، اقصد معاملتهم باعتبارهم مجتمعاً له حقوق، فأمر المجتمع بالمعروف ونهيه عن المنكر الذى يبلغ احياناً درجه القتل لا يعنى ان تُسلَب حقوقه او تُهدر. ففى الوقت الذى يؤمر فيه المجتمع باشياء ويُنهى عن اشياء اخرى يُعطى له حق غير منقوص. ان الحقوق المعطاه له تأخذ اشكالاً متباينه تختلف من فرد لاخر، ومن جهه لاخرى كما تختلف من ظرف لظرف آخر بالنسبه للفرد ذاته. وهذا الشكل الاخير يختلف اختلافاً نسبياً بين واهب الحق وبين آخذه. ومثال ما اختلف نسبياً بين واهب الحق وآخذه ما جاء فى كلام الامام زين العابدين (عليه السلام) من ذكر حق الكبير يقول (عليه السلام): واما حق الكبير فان حقه توقير سنّه واجلال اسلامه اذا كان من اهل الفضل فى الاسلام بتقديمه فيه وترك مقابلته عند الخصام ولا تسبقه الى طريق ولا تؤمه فى طريق ولا تستجهله وان جهل عليك تحملت واكرمته بحق اسلامه مع سنّه فانما حق السن بقدر الاسلام [٨٤] . فالفرد فى المجتمع يُعَدُّ كبيراً بالنسبه لبعض، فاذاً له حقوق الكبير على من هو اصغر منه، ويُعَد الكبير فى اكثر الحالات صغيراً بالقياس لكبير آخر، بل فى كل الحالات يعد الكبير صغيراً بالنسبه الى انسان آخر باستثناء

شخص واحد فى المجتمع كله وهو الذى يعتبر فيه الاكبر على الاطلاق.

الخصائص الذاتيه للتعامل

فى الطليعه منها ما يلى: أ ــ التعامل على اساس تشريعى، وقد ألمحنا اليه. ب ــ التعامل على اساس خلقى، وقد ألمحنا اليه. ج ــ ــ العداله فى التعامل. نقصد بالعداله ان لا يُرجّح بعض المجتمع على بعض وفق موازين غير معتبره كميزان الغنى، فيُعظَّم الغنى لغناه، ويُحتقر الفقير لفقره، اذ ليس للغنى فى الاسلام ميزه للتفاضل لنفسه، بل يُفضل الغنى والفقير احدهما على الاخر بسبب شىء خارجى يكون معتبراً فى التفضيل، فيفضل الغنى على الفقير مثلاً اذا كان الفقير غير صابر و كان الغنى متفضلاً مُنعماً، جواداً مكرماً. ويكون الفقير افضل من صاحبه اذا كان الفقر لا يؤدى به الى اجتراح المآثم، واقتحام المنكرات، فهو يفضل على الغنى الزائغ عن الحق، العادل عن سواء السبيل. اذن الغنى بنفسه لم يكن ميزاناً للتفاضل. ومن هذا القبيل التفاضل وفق ميزان الرتبه الاجتماعيه فى اكثر الاحيان، فإنه غير معتبر ايضاً. اللهم الا ان تكون الرتبه الاجتماعيه بعينها داله على الافضليه كأن تكون التقوى او العلم هى العله فى الرتبه تلك. ان الموازين السديده لتنقم على بعض الحضارات المتخلفه روحياً ونفسياً تعاملهم وفق اسس منبوذه، ففى السوره السابعه والاربعين من الزبور: اتدرى يا داود لِمَ مسختُ بنى اسرائيل، فجعلت منهم القرده والخنازير؟ لانهم اذا جاء الغنى العظيم ساهلوه، واذا جاء المسكين بادنى منه انتقموا منه. وجبت لعنتى على كل متسلط فى الارض لا يُقيم الغنى والفقير باحكام واحده. كم كانت تؤلم رسول الانسانيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك الموازين القائمه على تفاضل الناس من حيث الفقر والغنى والشرف الاجتماعى، ولقد أعلن صلوات الله عليه

ثورته عليها، فكان مما صرح به «لو سرقت فاطمه بنت محمد لقطعت يدها». لقد امتد نفوذ العداله فى التعامل الاجتماعى فى نظريه الامام زين العابدين (عليه السلام) الى تلك الغايه البعيده حتى شمل لوناً من اشد الفعاليات ضغطاً على النفس الانسانيه وهى العداله فى اعطاء حقوق الخصم الذى يدّعى عليك جنايه أو جريمه قد تؤدى الى بالغ الضرر على علم منك بذلك، يقول (عليه السلام): «واما حق الخصم المدّعى عليك، فان كان ما يدعى عليك حقاً لم تنفسخ فى حجته ولم تعمل فى إبطال دعوته وكنت خصم نفسك له والحاكم عليها، والشاهد له بحقه دون شهاده الشهود، فان ذلك حق الله عليك وان كان ما يدّعيه باطلاً رفقتَ به وروّعته وناشدته بدينه وكسرت حدّته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغطه الذى لا يردّ عنك عاديه عدوك بل تبوء باثمه وبه يشحذ عليك سيف عداوته، لان لفظه السوء تبعث الشر، والخير مقمعه للشر» [٨٥] .

المجتمع بين الواجبات والحقوق

شموليه قانون الواجبات والحقوق

ما من خلق على ظهر هذا الكوكب الا وله حقوق معينه. وهذا قانون عام يشمل البشريه كافه وحتى اولئك الذين يُحرمون ــ بحق وعدل ــ من بعض الحقوق لاسباب موضوعيه يجب تأمين بقيه الحقوق لهم. فمن حقوق الكافرين والمشركين فضلاً عن المسلمين الحكم لهم او عليهم وفق مقاييس العدل؛ لان العدل مطلوب لذلك، ولا فرق بين ان يكون المحكوم له او عليه مسلماً او غير مسلم. ومن حقوق الكافرين والمشركين فضلاً عن المسلمين حق عدم الافتراء؛ لان عدم الافتراء مطلوب لذاته فمن حق اى انسان الا يفترى عليه مسلماً كان او غير مسلم بل ظالما كان او ليس بظالم. فالكافر يوصف بأوصافه الحقيقيه وليس من حق احد ان يتعداها.

ولک ان تنعت الظالم او المجرم بشتى النعوت السلبیه التى توشح بها عامداً والتى هى محض الصدق والواقع. بید انه لیس من حق احد ان یقول عمن اغتصب حقوق ألف انسان اَنه اغتصب حقوق اَلفین من البشر مثلاً ـ؛ لا ـن مثل هذا الکلام من الکذب الصّراح والکذب قبح وشین. ومن لا یصدق فى حقوق الاعداء، لا یصدق فى حقوق الاولیاء، إذ إن الکذب عاده کما یجرى نهرها الاسن فى ارض العدو یجرى کذلک فى أرض الصدیق. ومن حقوق الکافرین والمشرکین فضلًا عن المسلمین حق الوفاء بالعهد، فانه یلزم الوفاء بشروط العهد ما بین الطرفین ما دام العدو ملتزماً بشروطها آخذاً بمقرراتها. واذا کانت لکل انسان حقوق فان على کل انسان واجبات وهذا الامر اشبه بالقانون الفطرى او الطبیعى الذى لا ینبغى الارتیاب فیه، ولا یحتاج الى مزید إیضاح وهو شامل حتى لاولئک الصفوه المختاره من الانبیاء والصدّیقین، اِذ ان خصوصیه انسان لنبوه او فضل او علم او غیر ذلک لا تجعل منه انساناً تعطى له الحقوق على طبق من ذهب دون اَن یؤدى ما علیه من مختلف الواجبات والمهام الملقاه على عاتقه.

تقدیم الواجبات على الحقوق

غالباً ما یهفو المجتمع الى الحقوق مطالباً بها فى الوقت الذى ینسى او یتناسى الواجبات التى یتعین علیه القیام بها تجاه رسالته أو تجاه ابناء جنسه. کلما کان المجتمع اوسع اِدراکاً وثقافهً، واکثر تطوراً کان المرجّى منه القیام بالواجبات بما لا یقل عن المطالبه بالحقوق. کما ان للتربیه الروحیه والنفسیه والسیاسیه الصائبه آثارها البعیده فى العمق الاستراتیجى للمجتمع فى الموازنه بین الواجبات والحقوق. بل فى تقدیم اَداء الواجبات على التّلفت المشتاق الى الحقوق. اى تقدیم العطاء على الاخذ و الاستلام وهذا من معانى

الايثار الـذى بينه سـبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بقوله: (ويؤثرون على انفسـهم ولو كان بهم خصاصه). فما الكرم فى مفهومه القويم الا التقـديم السـمح للواجبات على الحقوق. إن أولى الناس بتقديم الواجبات على الحقوق، فى كل زمان ومكان، هم قاده الامم، ولكن الواقع ــ عبر التاريخ ــ خلاف هذه الحقيقه فى اكثر الاحايين. القائد اَب وقدوه للمجتمع ولا خير فى اَب لا يضـحى فى سبيل ابنائه ولا فى قـدوه تقودها الانانيه والشـهوات. ولـذا كان على زين العابـدين (عليه السـلام) ــ باعتباره اِماما هادياً وقائداً رسالياً ــ متفانياً فى سبيل الامه مقدِّماً مصلحتها العامه على مصلحته الخاصه. لقد كانت تحزن قلبه تلك المآسى الداميه التى تحلّ بالامه جماعات واَفراداً فكان يسـعى جاهداً لتضـميد الجراح النازفه فى قلوب المستضـعفين والمحرومين. وكم كانت تؤلمه تلك الحالات التى لا يَسـتطيع اِزاءها ان يكون جبراً للكسور، او بلسماً للجراح. ولقد روى أنه جاءه رجل عليه دين ثقيل ولما لم يستطع الامـام رفع كـابوس الفقر فى تلـك السـاعه عن المسـكين لم يكن منه الاـ ان ينفجر باكياً وحربه الالم تحزّ فى قلبه اَن لا يسـتطيع انتشال ضـعيف نكيب اَزرت به الدنيا الفجوع. واذا كان تألمه وشـجنه لفرد من الامه قد حل بساحته الخطب الجلل، فما هو مقدار تألمه (عليه السلام) وشجنه وتفكيره للبشريه جمعاء وهى تكتنفها النوائب الشداد؟

رساله الحقوق

فى عصـر الطغيان والجبروت، وتفشّـى الاوضاع الماديه، واستعلاء الانحراف والفساد، اعنى العصر الذى استهلكت فيه المقدسات كلهـا او كـادت ان تسـتهلك وتـأرجحت فيه القيم الانسـانيه حتى أوشـكت على السـقوط، وتعفّر جبين الموازين الصـحيحه على ابواب السلطه الحاكمه حتى عظِّم الصغار اكباراً لعروشهم، وبُجِّل السَّقَطه خشوعاً لاَموالهم، وكبت حق الضعيف، واستُصغر الاَبى، واندكت

حرمه الشرفاء والابرار. فی مثل هذا العصر لابد من تذکیر الناس بأیام الله. وحملهم علی قصد السبیل المشرق. وردِّهم الی منابع الشرف والکرامه. فألف الامام زین العابدین (علیه السلام) دستوراً فی السیاسه. ومنهجاً عاماً فی الاخلاق الاجتماعیه. ومقاییس محکمه فی القیم. فی بیان عذب، وتعبیر سهل شفیف، مع ما فی العرض من قوه، وما فی الافق من اتساع. فی کتاب اطلق علیه: رساله الحقوق. تحتوی هذه الرساله العظیمه علی فنون من العلم، ودقائق من السیاسه، ونفائس من المعارف. فی اسلوب جمیل. ووضوح کانه اعمده من نور. وفکر یکادسنا برقه یذهب بالابصار. اِذا ما کان عصر الامام زین العابدین (علیه السلام) هو السبب المباشر فی تألیف رساله الحقوق فان مضامین الرساله تبقی المنهاج السدید، والقانون السامی لکل الازمنه والاجیال؛ إذ انها تنطوی علی افکار عامه، و ماده قانونیه تبقی القاسم المشترک لتلبیه حاجات مختلف العصور، ما بقیت العصور.

نصوص من رساله الحقوق

ذکر الامام زین العابدین (علیه السلام) توطئه لاطروحته ثم عقّب بذکر الحقوق واحد بعد آخر وهی خمسون حقاً. ومما جاء فی التوطئه: اعلم رحمک الله ان لله علیک حقوقاً محیطه لک، فی کل حرکه تحرکتها، او سکْنَه سکنتها، او منزله نزلتها، او جارحه قلبتها، او آله تصرّفت بها، بعضها اکبر من بعض. واکبر حقوق الله علیک ما أوجبه لنفسه تبارک وتعالی من حقه الذی هو اصل الحقوق ومنه تفرع. الی ان یقول (علیه السلام) ختاماً للتوطئه: فطوبی لمن اعانه الله علی قضاء ما اوجب علیه من حقوقه ووفقه وسدّده. ومن هذه الحقوق التی بیّنها الامام زین العابدین (علیه السلام) ما سوف نذکره ولکن لا علی سبیل التسلسل الوارد فی الرساله. ۱ _ فأما حق سائسک بالسلطان فان

تعلم انـک جعلت له فتنه وانه مبتلیً فیـک بمـا جعله الله له علیـک من السـلطان وان تخلص له فی النصـیحه وأن لاـ تماحکه وقد بسـطت یـده علیـک فتکون سـبب هلاـک نفسـک وهلاکه. وتـذلل وتلطف لاعطائه من الرضا ما یکفه عنک ولا یضـر بـدینک وتسـتعین علیه فی ذلـک بـالله ولاـ تعـازه ولاـ تعانـده، فانک ان فعلت ذلک عققته وعققت نفسک فعرضـتها لمکروهه وعرضـته للهلکه فیک وکنت خلیقاً أن تکون معینا له علی نفسک وشـریکاً له فیما اتی الیک ولا قوه الا بالله. ۲ _ واما حق سائسک بالعلم فـالتعظیم له والتوقیر لمجلسه وحسن الاسـتماع الیه والاقبـال علیه والمعونه له علی نفسک فیما لا غنی بک عنه من العلم بأن تفرغ له عقلک وتحضـره فهمک وتـذکی له قلبک وتجلی له بصـرک بترک اللذات ونقص الشـهوات وان تعلم انک فیما ألقی الیک رسوله إلی من لقیـک من اهـل الجهـل فلزمـک حسن التـأدیه عنه الیهم ولا تخنه فی تأدیه رسالته والقیام بها عنه اذا تقلـدتها ولا حول ولاـ قوه الا بالله. ۳ _ وامـا حق سائسـک بالملک فنحو من سائسک بالسـلطان الا ان هـذا یملک ما لا یملکه ذاک تلزمک طـاعته فیمـا دق وجل منک الا ان تخرجک من وجوب حق الله ویحول بینک و بین حقه وحقوق الخلق، فاذا قضـیته رجعت الی حقه فتشـاغلت به ولا قوه الا بالله. ۴ _ فامـا حقوق رعیتک بالسـلطان فأن تعلم انک انما استرعیتهم بفضل قوتک علیهم فانه انما احلهم محـل الرعیه لـک ضـعفهم وذلهم، فمـا اولی من کفاکه ضـعفه وذله حتی صـیره لک رعیه وصـیر حکمک علیه نافـذاً، لا یمتنع منک بعزه ولا قوه ولا یستنصر فیما تعاظمه منک الا بالرحمه

والحياطه والاناه وما اولاک اذا عرفت ما اعطاک الله من فضل هـذه العزه والقوه التی قهرت بها ان تکون لله شاکراً ومن شـکر الله اعطاه فیما انعم علیه ولا قوه الا بالله. ۵ ــ واما حق رعیتک بالعلم، فأن تعلم ان الله قـد جعلک لهم فیما آتاک من العلم وولاک من خزانه الحکمه، فـان احسـنت فیمـا ولاـک الله من ذلک وقمت به لهم مقام الخازن الشـفیق الناصـح لمولاه فی عبیـده، الصابر المحتسب الـذی اذا رأی ذا حاجه اخرج له من الاموال التی فی یـدیه کنت راشـداً وکنت لـذلک آملاً معتقداً وإلا کنت له خائناً ولخلقه ظالماً ولسلبه وعزه متعرضاً. ۶ ــ واما حق إمامک فی صـلاتک فان تعلم انه قد تقلد السفاره فیما بینک وبین الله والوفاده الی ربـک وتکلم عنـک ولم تتکلم عنه، و دعـا لـک ولم تـدعُ له، وطلب فیک ولم تطلب فیه، وکفاک همّ المقام بین یـدی الله والمسـأله له فیـک. ولم تکفه ذلـک فان کان فی شـیء من ذلک تقصـیر کان به دونک، وان کان آثماً لم تکن شـریکه فیه ولم یکن لـک علیه فضل، فوقی نفسک بنفسه، ووقی صـلاتک بصـلاته فتشـکر له علی ذلک ولا قوه الا بالله. ۷ ــ واما حق الجلیس فـأن تلین له کنفـک، وتطیب له جانبـک، وتنصـفه فی مجاراه اللفظ، ولا تغرق فی نزع اللحظ إذا لحظت، وتقصـد فی اللفظ الی افهـامه اذا لفظت، وان کنت الجلیس الیه کنت فی القیام عنه بالخیار، وإن کان الجالس الیک کان بالخیار. ولا تقوم الا بإذنه و لا قوه الا بالله. ۸ ــ واما حق الجار فحفظه غائبا، وکرامته شاهداً، ونصرته، ومعونته فی الحالین جمیعاً، لا تتبع له عوره،

ولا تبحث له عن سوأه لتعرفها، فان عرفتها منه عن غير اراده منك ولا تكلّف، كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً لو بحثت الاسنه عنه ضميراً لم تتصل اليه لانطوائه عليه. لا تستمع عليه من حيث لا يعلم. لا تسلمه عند شديده، ولا تحسده عند نعمه. تقبل عثرته وتغفر زلته، ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك. ولا تخرج ان تكون سلماً له تردّ عنه لسان الشتيمه، وتبطل فيه كيد حامل النصيحه، وتعاشره معاشره كريمه ولا قوه الا بالله. ٩ ـ واما حق الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت اليه سبيلاً، وإلا فلا أقل من الانصاف، وان تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه الى مكرمه، فإن سبقك كافأته ولا تقصر به عما يستحق من الموده، تلزم نفسك نصيحته و حياطته ومعاضدته على طاعه ربه ومعونته على نفسه فيما لا يهمّ به من معصيه ربه، ثم تكون عليه رحمه، ولا تكون عليه عذاباً ولا قوه الا بالله. ١٠ ـ واما حق الخصم المدعى عليك فان كان ما يدّعى عليك حقاً لم تنفسخ فى حجته ولم تعمل فى إبطال دعوته، وكنت خصم نفسك له، و الحاكم عليها، والشاهد له بحقه دون شهاده الشهود، فان ذلك حق الله عليك، وإن كان ما يدّعيه باطلاً رفقت به، وروعته، وناشدته بدينه، وكسرت حدّته عنك بذكر الله، وألقيت حشو الكلام ولغطه الذى لا يرد عنك عاديه عدوك، بل تبوء باثمه وبه ويشحذ عليك سيف عداوته؛ لان لفظه السوء تبعث الشر، والخير مقمعه للشر ولا قوه الا بالله. ١١ ـ واما حق الخصم المدعى عليه فان كان ما تدّعيه حقاً أجملت فى مقاولته بمخرج الدعوى، فان

للـدعوى غلظه فی سـمع المـدعی علیه. وقصـدت قصد حجتک بالرفق، وامهل المهله، وأبین البیان، والطف اللطف، ولم تتشاغل عن حجتـک بمنـازعته بالقیـل والقـال فتـذهب عنـک حجتک، ولا یکون لک فی ذلک درک، ولا قوه الا بالله. ۱۲ _ وامـا حق المستشـیر فان حضـرک له وجه رأی جهدت له فی النصـیحه، وأشـرت علیه بما تعلم انک لو کنت مکانه عملت به وذلک لیکن منـک فی رحمه ولین، فـان اللین یؤنس الوحشه، وان الغلـظ یوحش موضع الاُنس. وإن لم یحضـرک له رأی وعرفت له من تثق برأیه وترضـی به لنفسک دللته علیه، وارشـدته الیه فکنت لم تأله خیراً، ولم تدخره نصـحاً ولا قوه الا بالله. ۱۳ _ واما حق المشیر علیـک فلا تتهمه فیمـا یوافقک علیه من رأیه اذا اشار علیک فانما هی الاراء وتصـرف الناس فیها واختلافهم. فکن علیه فی رأیه بالخیـار إذا اتهمت رأیه، فاما تهمته فلا تجوز لک اذا کان عنـدک ممن یسـتحق المشاوره، ولا تـدع شـکره علی ما بـدا لک من اشـخاص رأیه وحُسن وجه مشورته، فـاذا وافقک حمـدت الله، وقبلت ذلک من اخیک بالشـکر، والارصاد بالمکافأه فی مثلها إن فزع الیـک ولا قوه الا بالله. ۱۴ _ وامـا حق أهـل ملتک عامه فاضـمار السـلامه، ونشـر جناح الرحمه، والرفق بمسـیئهم، وتألفهم، واستصـلاحهم، وشـکر محسـنهم الی نفسه والیـک؛ فـان احسـانه الی نفسه احسـانه الیـک اذا کفّ عنـک أذاه، وکفاک مؤونته، فحبس عنک نفسه، فعمهم جمیعاً بـدعوتک، وانصـرهم جمیعاً بنصـرتک، وانزلتهم جمیعاً منک منازلهم، کبیرهم بمنزله الوالـد، وصـغیرهم بمنزله الولـد، واوسـطهم بمنزله الاخ فان اتاک تعاهدته بلطف ورحمه، وصل اخاک بما یجب للاخ علی اخیه. ۱۵ _ واما حق اهل الذمه فالحکم فیهم ان تقبل

منهم ما قبِل الله، وتفی بما جعل الله لهم من ذمته وعهده. وتکلهم الیه فیما طلبوا من انفسهم، واجبروا علیه، وتحکم فیهم بما حکم الله به علی نفسک فیما جری بینک وبینهم من معامله، ولیکن بینک وبین ظلمهم من رعایه ذمه الله والوفاء بعهده، وعهد رسوله حائل؛ فانه بلغنا انه قال: «من ظلم معاهداً کنت خصمه» فاتق الله ولا قوه الا بالله [۸۶] .

مفردات حقوقیه

مضافه اِلی الرساله الخالده ــ رساله الحقوق ــ وردت مفردات حقوقیه کثیره عن الامام زین العابدین (علیه السلام) فی اکثر من حدیث من احادیثه. ومنها هذا الحدیث الذی سنذکره للتدلیل علی الاهمیه الخاصه التی یولیها الامام زین العابدین لمسأله الحقوق والواجبات کما اَنها دعوه روحیه وانسانیه للقیام بواجبات المستضعفین والمنکوبین واَداء حقوقهم. کما هی فی نفس الوقت اَداءٌ لحقوق سواهم من کل من له حق. عن ابی حمزه الثمالی عن علی بن الحسین (علیهما السلام) قال: من قضی لاخیه حاجه فبحاجه الله بدأ، وقضی الله له بها مئه حاجه فی احداهن الجنه. ومن نفس عن اخیه کربه، نفّس الله عنه کُربه یوم القیامه بالغاً ما بلغت. ومن اعانه علی ظالم له اعانه الله علی اجازه الصراط عند دحض الاقدام. ومن سعی له فی حاجه حتی قضاها له فسُرّ بقضائها فکان کادخال السرور علی رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم). ومن اطعمه من جوع اطعمه الله من ثمار الجنه. ومن کساه من عُری کساه الله من استبرق وحریر. ومن کساه من غیر عُرْی لم یزل فی ضمان الله ما دام علی المکسیّ من الثوب سلک. ومن کفاه بما هو یُمهنُه ویکفُّ وجهه، ویصل به یدیه اخدمه الله الولدان المخلدین. ومن

حمله من رحله بعثه الله يوم القيامه الى الموقف على ناقه من نوق الجنه يباهى به الملائكه. ومن كفَّنه عند موته فكأنما كساه من يوم ولدته أُمّه الى يوم يموت. ومن زوَّجه زَوجهً يأنس بها، ويسكن اليها آنسه الله فى قبره بصوره احب اهله اليه. ومن عاده عند مرضه حفَّته الملائكه تدعو له حتى ينصرف وتقول: طبت وطابت لك الجنه. والله لقضاء حاجته احب الى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما فى الشهر الحرام [٨٧] . لقد اومأ الامام زين العابدين (عليه السلام) بصوره مختصره فى المأثور عنه الى طائفه من الحقوق، فحق المكروب تنفيس كربته، وحق المظلوم اعانته على الظالم، وحق ذى الحاجه السعى فى قضائها. وهكذا تكون المواقف من اصحاب الحقوق الاخرين الذين تم التنصيص على اَداء حقوقهم.

نظره تقييميه

ما اقوم العداله فى وضع هذه الحقوق، وما أَنبل الانسانيه فى مضامينها.. ان هذا لهو الحق المبين. وما سنَّته حكومات وضعيه وسائرون على خطّهم ــ من مصنَّفات حقوقيه ــ اِنْ هى الاّ (كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب) [٨٨] . ولطالما تكون الحقوق التى تسنها الحكوماتُ لشعوبها مصدر الظلم والطغيان والسبب الاقوى فى مصادره الحقوق، اَو اخذها غير مستوفاه. ان من المآسى الكبرى فى التأريخ الانسانى ان يسنّ اعداء الشعوب قوانين لها، ويشرع ارباب الظلم والدكتاتوريه مبادئ للعدل والحريه والسلام. حتى كأن قوانينهم مبتناه على النقص والعدول عن العداله (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اَليم) [٨٩] . فمتى تستيقظ الشعوب من رقادها الطويل، وسباتها العميق، فتستلهم الدين الاسلامى الحنيف روحاً ونصاً، وتنفذ قوانين الله السميع العليم. لتنعم فى اكناف حكومه

العدل الالهی، وتسعد فی ریاض الحریه والسلام العالمی والاخاء الانسانی (هو الذی ارسل رسوله بالهدی ودین الحق لیظهره علی الدین کله وکفی بالله شهیداً) [۹۰] .

توظیف الشعر السیاسی

اهمیه الشعر السیاسی

اشاره

الشعر السیاسی اداه من الادوات السیاسیه النافعه للحکم العادل او الجائر علی حد سواء. التاریخ السیاسی حافل بهذا اللون من الشعر علی مرّ الاحقاب. الا انه قد انحسر انحساراً ملحوظاً فی القرن العشرین. لطالما ساهم الشعر السیاسی فی دعم نظریه القیاده حول الحکم والدوله، وتسهیل مهام السلطه. ولطالما کان الشعر السیاسی الوقود المتأجج للانتفاضه، والمؤید القوی لمقررات المعارضه. العصر الاموی من العصور التی ارتفعت فیها بورصات عملات واسهم الشعر السیاسی.. بل من اکثرها ارتفاعاً. ومن أسباب ذلک الارتفاع ان الغالبیه من حکّامه کانوا من الادباء او المتذوقین للادب وکثیر منهم کانوا من الشعراء المجیدین. ومن اسباب ذلک ایضاً ان الحس الشعری کان قویاً فی الامه بما فی ذلک الشعر السیاسی. ومن اسباب ذلک ان أمام السلطه شعراء بارعین من اعداء السلطه او ممن کان ینقدها ولو نقداً یسیراً أمثال: یزید بن مفرّغ الحمیری وعبد الرحمن بن الحکم الاموی والفضل بن العباس اللهبی والفرزدق وعمران بن حطان الخارجی وکعب الاشقری وعبد الله بن همام السلولی. علماً بأن من هؤلاء من کان یمدح الخلفاء، او بعض کبار المسؤولین فی الدوله مثل الفرزدق وکعب الاشقری شاعر المهلب بن ابی صفره. لقد واجه النظام السیاسی آنذاک خط أهل البیت المتمثل فی فتره طویله من فتراته بخط الامام زین العابدین (علیه السلام) مواجهه شدیده.. عنیفه.. صارمه.. حامیه الوطیس. بشکلها المباشر وغیر المباشر، المقصود وغیر المقصود. کما لقی الامام زین العابدین (علیه السلام) مجتمعاً فی الاعم الاغلب متهافتاً.. قاتم السلوک.. فاحم التصورات والرؤی.. مغایراً

للمقاييس الاسلاميه فى المجتمع الصالح. فلا بد له اذن من ان يرسم المنهج، وأن يحدد الخط. لما كان الكلام على ضربين: نثر وشعر.. فعلى هذا قال الامام زين العابدين (عليه السلام) كلمته وحددها على الصعيدين معاً. اذ ان الكلام على صعيد النثر له دوره البارز كما ان الكلام على صعيد الشعر له دوره البارز أيضاً. ان اليد الشعريه يد ساحره لها القدره على التأثير والفاعليه فى الصراع العقائدى والسياسى الدائر بين الحق والباطل. وهنا نستعرض امثله كثيره من شعر الامام زين العابدين (عليه السلام) السياسى.

تعريه المسار السياسى

أ ـ قُتل الامام الحسين بن على (عليه السلام) وسيّر أهل بيته من مكان الى آخر على اقتاب الجمال بلا وطاء وبحاله مأساويه، فقال الامام زين العابدين (عليه السلام) واوداجه تشخب دماً «بحر البسيط»: يا أمه السوء لاسقياً لربعكمُ يا امه لم تراع جدّنا فينا [٩١] . لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامه ما كنتم تقولونا تسيّرونا على الاقتاب عاريه كأننا لم نشيّد فيكمُ دينا بنى اميه ما هذا الوقوف على تلك المصائب لم تصغوا لداعينا تصفّقون علينا كفكم فرحاً وانتم فى فجاج الارض تسبونا أليس جدى رسول الله ويلكُم اهدى البريه من سبل المضلينا يا وقعه الطف قد اورثتنى حزناً والله يهتك استار المسيئينا ب ـ وهو الزمان فما تفنى عجائبهُ من الكرام وما تفنى مصائبهُ [٩٢] . فليت شعرى الى كم ذا يجاذبنا بصرفه والى كم ذا نجاذبُه يسرى بنا فوق اقتاب بلا وُطُؤ وسائق العيس يحمى عنه غاربه كأننا من اسار الروم بينهمُ أو كل ما قاله المختار كاذبه كفرتمُ برسول الله ويحكمُ فكنتمُ مثل من ضلّت مذاهبه ج ـ ساد العلوجُ فما ترضى بذا

العربُ وصار يقـدم رأسَ الامه الذَنَبُ ياللرجال لما يأتى الزمان به من العجيب الذى ما مثله عجبُ آل الرسول على الاقتاب عاريه وآل مروان تسـرى تحتهـم نُجُبُ سُيّر آل محمـد الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) وذووه تلـك المسافـات الطـويله بـالصوره المأساويه التى قد تقدّمت. وانت خبير بان قطع المسافات الطويله على الجمال بلا وطاء مرهق جداً على السليم بدناً فكيف بالامام زين العابـدين (عليه السـلام) الـذى كان مريضاً فى تلك الفتره بالخصوص، وكيف بالنساء والاطفال الـذين معه؟! هـذه من جهه الالام البـدنيه واما من جهه الالام النفسـيه فان مثل آل الرسول محمد يضـطهدون ويؤسـرون وينقلون على تلك الاقتاد العاريه بلا ذنب او سبب موجب، بينما ترى اعداءهم فى جو من الترف المعيشى والحياه الرغيده. .. ولا بد ان تكون هذه الواقعه التاريخيه قد رسـمت بيراع المأسـاه على قلب الامام زين العابـدين (عليه السـلام) الواناً من الصور الاليمه المحزنه جـداً، ولهـذا السـبب فانه قد ضمّنها فى عده مقاطع من شـعره. ان تضـمينها فى عده مقاطع من شـعره أمر جليل لافت للنظر بالقياس الى كميه شـعر الامام زين العابـدين (عليه السـلام). فلو لاـ أثرهـا البليغ عليه لاقـلّ من ذلـك. د ـ وهـذه صوره اخرى أومـأ فيهـا الامام زين العابـدين (عليه السـلام) الى تسييرهم من منطقه الى اخرى وهى من صور تعريه المسار السياسى للحكم القائم. «بحر الطويل» اُقاد ذليلًا فى دمشق كأننى من الزنج عبد غاب عنه نصير وجدى رسول الله فى كل مشـهد وشيخى امير المؤمنين أمير فيا ليت امى لم تلدنى ولم اكن يزيد يرانى فى البلاد اسير [٩٣] . هـ ـ وقال (عليه السلام) أيضاً «بحر البسيط»: ماذا تقولون ان قال النبىّ لكم ماذا

صنعتم وانتم آخر الامم [۹۴] . بعترتی وباهلی بعد منقلبی منهم أُساری ومنهم ضُرِّجوا بدمٍ ما كان هذا جزائی اذ نصحت لكم خلّفتمونی بسوء فی ذوی رحمی [۹۵] . هذه الابيات من الشعر المشهور قد نُسبت للامام زين العابدين (عليه السلام) كما انها نُسبت للسيده زينب بنت علی (عليهما السلام)، ولام لقمان بنت عقيل بن ابی طالب ولاختها زينب بنت عقيل، ولابی الاسود الدؤلی. ان نسبتها لابی الاسود الدؤلی بعيده جداً، وانما ذُكر ابو الاسود حينما تليت الابيات فتوهم بعض المؤلفين أنها له. وذلك انه حينما قيلت الابيات وفيها ماذا تقولون.. قال ابو الاسود: نقول ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال الله تعالى فی محكم كتابه الحكيم: (قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة فی القربی) فليت الامه آنذاك اذ لم تودّ قربی الرسول تركتهم وشأنهم فی بلاد الله العريضه فلا هی عليهم ولا هی لهم ولكنها عمدت إلى ظلمهم اشد الظلم وحسبك ان حفيد الرسول وريحانته الامام الحسين بن علی (عليهما السلام) كان مضرجاً بدمائه و قد قضی عطشاناً، وحسبك أن زين العابدين (عليه السلام) كان أسيراً فی البلاد مضطهداً حتی قضی بالسم قتلاً فهل اوصی الله بموده اهل البيت (عليهم السلام) ام اوصی بظلمهم واقصائهم وهل امر الرسول باكرامهم وإجلالهم والاخذ عنهم والاقتداء بهم ام اوصی بتجريعهم «نغب التّهمام انفاسا» [۹۶] . يقول الامام زين العابدين (عليه السلام): «والله لو ان النبی (صلی الله عليه وآله وسلم) تقدم اليهم فی قتالنا كما تقدم اليهم فی الوصايه بنا لما زادوا علی ما فعلوا بنا فانا لله وانا اليه راجعون من مصيبه ما اعظمها واوجعها واكظها وافظها وامرّها وافدحها».

ونعني بـذلك امرين: الاول، آراءه في حكّام عصـره. الثاني، ذكره لشـخصه ولاهل البيت باعتبارهم قياده بديله عن القياده الزمنيه آنذاك. وسـيأتي تفصـيل الامر الاول في البحث عن موقفه من القياده السياسـيه. أ ــ وهذه امثله من شعره السياسي حول الامرين معاً. «بحر الخفيف» ليت شـعري هل عاقل في الـدياجي بات من فجعه الزمان يناجي [٩٧] . انـا نجل الامام ما بال حقّي ضائع بين عصـبه أعلاج ب ــ وقال ايضاً «بحر الوافر» [٩٨] . لكم ما تـدّعون بغير حق اذا ميز الصـحاح من المراض عرفتم حقّنا فجحدتمونا كمـا عُرف السواد من البيـاض كتـاب الله شاهـدنا عليكم وقاضـينا الالـه فنعم قاضـي لاـ يجهـل من له ادنى اطلاع حق اهل البيت (عليهم السـلام) ومكانتهم العليا في الاسـلام ولكن الظالمين بآيات الله يجحـدون. ولقـد شاهد عمر بن عبدالعزيز اباه يتلكأ بعض التلكؤ في شـتمه علياً (عليه السـلام) وهو يخطب فسـأله عن ذلك فقال له: لو ان الناس يعرفون من فضائل علي كما نعرف لمالوا الي اولاده. وسب مروان بن الحكم علياً على منبر رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فقام اليه الامام الحسـين او زين العابدين (عليهما السـلام) راداً عليه: هذا الذي تسب شر أهلك؟ وهنا يصحر مروان بالحقيقه حين اضطر اليها قائلاً: بل هو خير اهلي.. مبيناً العله من السب او من اخفـاء الحقيقه بان الامر لا يسـتقيم لهم بغير ذلك. وهكـذا تكتم القياده السياسـيه حق اهل البيت ومكانتهم الا في احدى حالات ثلاث. ١ ــ اذا اُلجئوا الى ذلك عن طريق وقوفهم امام مناظره جريئه او نحوها. ٢ ــ اذا رأوا مصلحه سياسيه مؤقته ومن بعدها يعودون الى الاغلفه الاعلاميه المظلله. ٣ ــ او

مـا يصـدر منهم عفوياً وعن غير قصـد. وفى بعض الحالات يشترك عاملان من هـذه العوامـل فى اظهـار حق اهل البيت او حق أحدهم. ج ــ وقال (عليه السـلام) ايضاً «بحر المتقارب» [٩٩] . لنحن على الحوض روّادُه نذود ويسـعد ورّادُهُ وما فاز من فاز الّا بنـا ومـا خاب من حبُّنا زادُهُ ومَن سرّنا نال منا السـرور ومن ساءنا ساء ميلادُهُ ومن كان غاصـبنا حقنا فيوم القيامه ميعادُهُ فى البيت الاخير يريد أن يؤكد الامام زين العابدين (عليه السلام) ان اغتصاب الحق القيادى من اهليه ليس انتصاراً حقيقياً، او كما قال على (عليه السـلام): «مـا ظفر من ظفر الاثم به» فـان الانقلاب العسـكرى الغـاصب، والمؤامره السياسـيه الظلوم، متـاع قليل، وزاد كزاد المسـافر ويـوم القيـامه نعم الحكم العـدل والميعـاد الفيصـل. او كمـا قـالت الصـديقه الزاهراء: «فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعـد القيامه، وعنـد الساعه يخسـر المبطلون». د ــ وقال الامام زين العابـدين (عليه السـلام) كذلك «بحر المنسـرح» [١٠٠] . نحن بنو المصـطفى ذوو غصـص يجرعهـا فى الانام كاظمنا عظيمه فى الانام محنتنا اولنا مبتلىً وآخرنا يفرح هـذا الورى بعيـدهمُ ونحن اعيادنـا مآتمنـا والنـاس فى الامن والسـرور وما يأمن طول الزمان خائفنا وما خصصـنا به من الشـرف الطائل بين الانام آفتنا يحكم فينا والحكم فيه لنا جاحدنا حقنا وغاصـبنا هـ ــ وقال الامام زين العابدين (عليه السـلام) من قصيده «بحر الطويل» [١٠١] . حيارى وليل القوم داج نجومُه طوامس لا تجرى بطىء خفوقُها ولا يحرز السَّبق الرزاح وإن جرت ولا يبلغ الغايات الا سـبوقُها الى ان يقول: فمن الموثوق به على ابلاغ الحجه، وتأويل الحكمه، الا اهل الكتاب، وابناء ائمه الهـدى، ومصابيح الدجى، الذين احتج الله بهم على

عباده، ولم يدع الخلق سدىً من غير حجّه. هل تعرفونهم او تجدونهم الا من فروع الشجره المباركه، وبقايا الصفوه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وبرأهم من الافات، وافترض مودّتهم فى الكتاب. همُ العروه الوثقى وهم معدن التقى وخير حبال العالمين وثيقُها

التذكير بمآل الحكام

ومن الشعر السياسى لعلى زين العابدين (عليه السلام) ذلك الوصف الجميل لحكام عصره، وقد تساقطوا الواحد تلو الاخر فى شباك الموت. بعد ذلك الملك العظيم، والعزِّ القاهر. أ ــ فمن ذلك قوله (عليه السلام) «بحر الوافر» [١٠٢] . اذا بلغ امرؤ عليا وعزاً تولى واضمحل مع البلاغِ كقصر قد تهدم حافتاه اذا صار البناء على الفراغِ اقول وقد رأيت ملوك عصرى الا لا يبغين الملك باغِ وله ابيات شبيهه بهذه فى الهدف الذى ترمى اليه. وان كان قد يوجد بينهما فارق واحد بسيط وهو أَن الابيات الغينيه تصف حكام تلك الحقبه التأريخيه التى عاصرها على زين العابدين (عليه السلام) والابيات التاليه تشير الى تاريخ الحكّام والزعماء الماضين. او قد تشمل الماضين والمعاصرين معاً فى نفس الوقت من دون الاقتصار على المعاصرين. ب ــ قال (عليه السلام) «بحر الوافر» [١٠٣] . تفكر اين اصحاب السرايا وأرباب الصوافن والعشارِ واين الاعظمون يداً وبأساً واين السابقون لذى الفخارِ واين القرن بعد القرن منهم من الخلفاء والشمم الكبارِ كأن لم يخلقوا او لم يكونوا وهل حيٌّ يصان عن البوارِ لقد كان الامام زين العابدين (عليه السلام) يركز على هذا المنحى السياسى التبصيرى من ذكر مآل اصحاب القرار السياسى الاَعلى، وارباب الثروه والعزه والعظمه والمنعه. ولقد كان لا يألو جهداً فى وصف ذلك سواء فى تفسيره للقرآن الكريم، او فى الوان اَدبه، ولطالما كان ينتزع من

صفحات التأريخ ما يؤكد هذا المعنى، ويلفت الانظار اليه. ولم يكن ذلك سياسه ينتهجها لتبصير المعاصرين له فحسب بل سياسه تمتد فى اعماق التأريخ. ان على كل من يمكنه الله تعالى منا فى الارض ان يختط المنهج الذى اختطه الامام زين العابدين (عليه السلام)، وهكذا ستبقى سياسته على مر العصور، وامتداد الزمن. ج ـ ـ ومما قاله (عليه السلام) فى هذا المعنى وهو من كلام طويل: انظر الى الامم الماضيه، والملوك الفانيه، كيف افنتهم الايام، ووافاهم الحمام، فانمحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها اخبارهم. «بحر الطويل»: وأضحوا رميماً فى التراب وعطلت مجالس منهم اقفرت ومعاصر وحلوا بدار لا تزاور بينهم وانى لسكان القبور تزاور فما ان ترى الا جُثىً قد ثووا بها مسطحه تسفى عليها الاعاصر كم من ذى منعه وسلطان، وجنود واعوان، تمكن من دنياه، ونال فيها ما تمناه، وبنى القصور والدساكر، وجمع الاعلاق والذخائر: فما صرفت كف المنيه إذ أتت مبادره تهوى اليه الذخائر ولا ـ دفعت عنه الحصون التى بنى وحف بها انهاره والدساكر ولا ـ قارعت عنه المنيه حيله ولا ـ طمعت فى الذب عنه العساكر اتاه من الله ما لا ـ يرد، ونزل من قضائه ما لا ـ يصد، فتعالى الله الملك الجبار المتكبر القهار، قاصم الجبارين ومبير المتكبرين: مليك عزيز لا ـ يرد قضاؤه حكيم عليم نافذ الامر قاهر عنا كل ذى عز لعزه وجهه فكل عزيز للمهيمن صاغر لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت لعزه ذى العرش الملوك الجبابر [۱۰۴] .

وصف الواقع المادى

لقد اقام الاسلام توازناً دقيقاً بين حاجه الانسان بما له من جانب مادى وبين حاجته فى الاشواق، وخلجات القلب، وسمو النفس، وتطلعات الروح. وليس هذا بدعاً من الدين الاسلامى اِذ ان من الاساسيات فيه التى

لاـ تقبـل الريب اَنه دين الاـخره والاـولى. قال تعالى: (وابتغِ فيما آتاك الله الـدار الاخره ولا تنس نصـيبک من الـدنيا). بيـد اَنه لا ينبغى اَن يفهم من الايه المبارکه ــ فيما نعتقـد ــ ان النصـيب من الـدنيا کامن فى المشـتهيات الرخيصه، والنزعات الهابطه; فانها ليست نصـيب الانسـان خليفه الله فى الاـرض بـل هى نصـيب ابليس وذريته، وخلفـائهم فى البلاـد. ان فى الانتهال من معين الحق الصافى ما يغنى عن المسـتنقع الاسن. من لا يروه کأس الخير... اظمأه بحر الشـر. ليس من الباطل ان يشبع الانسان حاجته الطبيعيه من الماده بل الباطل اَن تطغى الماده على الروح. اِن الزهـد والسـمو الروحى لا يعنيان القضاء على الماديات واِنما يعنيان تشـذيبها وعـدم الوقوع فى اسـرها. لقـد اذهل الامام زين العابـدين ذلک الطغيان المادى الهائل، وانحسار المـد الروحى فى المجتمع. ١ ــ لقـد شاهـد الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) من يقـدم على قتـل ريحـانه الرسـول الحسـين بن على (عليه السـلام) فى مغـامره للحصول على الـذهب والفضه. فهذا قاتله يقول لعبيد الله بن زياد [١٠٥] . املا رکابى فضه أو ذهبا انى قتلت السيد المحجبا قتلت خير النـاس امّا وابا وخيرهم إذ يـذکرون النسـبا فغضب ابن زياد من قوله وقال: فاذا علمت انه کـذلک فلم قتلته؟ والله لا نلت منى خيراً ولاُلحقنک به. فقـدمه وضـرب عنقه [١٠۶] . ٢ ــ ولقـد شاهـد الامام زين العابـدين (عليه السـلام) وفود الاحنف بن قيس، والحتـات بن يزيـد على معاويه واعطاءه الاحنف خمسـين الف درهم مع مخالفته له فى الرأى والخط، فى الوقت الـذى اعطى فيه الحتات ثلاثين الف درهم مع انه يرى رأى الامويه. فصار الحتات الى معاويه وقال: يا امير المؤمنين تعطى

الاـحنف ورأيه رأيه خمسين الف درهم وتعطيني ثلاـثين الف درهم؟! فقال: يا حتات انى اشتريت بها دينه. فقال الحتات: يا اميرالمؤمنين تشترى منى ايضا دينى، فاتمها له والحقه بالاـحنف. فلم يأت على الحتات اسبوع حتى مات، وردَّ المال بعينه الى معاويه. ٣ _ لقد شاهد الامام زين العابدين (عليه السلام) هاتين اللمحتين الناشزتين من لمحات عباده الماديات الى ما هنالك من لمحات بل صفحات طويله من صفحات الطغيان المادى الرهيب. ولكن هذا لا يعنى فى حاله من الحالات عدم وجود العدد الجم ممن يحملون وسام الروح الصاعده، والنفسيه الكريمه الطهور. بناءً على ما تقدم من المشاهد الحزينه القاتمه، مشاهد الطغيان المادى على حساب الروح.. ما كان من الامام زين العابدين (عليه السلام) إلاـ اَن يندد بهذا الانحطاط المزرى، والانغماس الوضيع فى الماديات. وله فى ذلك شعر كثير ومن جملته هذه الامثله: أ _ قال (عليه السلام) «بحر الوافر» [١٠٧] . اخى قد طال لبثك فى الفسادِ وبئس الزاد زادك للمعادِ صبا منك الفؤاد فلم تزغه وحدت الى متابعه الفؤادِ وقادتك المعاصى حيث شاءت وألفتْكَ امرءاً سلس القيادِ لقد نوديت للترحال فاسمع ولا تتصاممن عن المنادى كفاك مشيب رأسك من نذير وغالب لونه لون السوادِ ب _ وقال (عليه السلام) ايضاً «بحر الوافر» [١٠٨] . ايعتز الفتى بالمال زهواً وما فيما يموت من اعتزازِ ويطلب دوله الدنيا جنوناً ودولتها مخالفه المجازى ونحن وكل من فيها كسفر دنا منا الرحيل على وفازِ جهلناها كأن لم نختبرها على طول التهانى والتعازى ولم نعلم بأن لا لبث فيها ولا تعريج غير الاجتيازِ ج _ _ ولزين العابدين (عليه السلام) ايضاً من قصيده طويله.. «بحر الطويل» [١٠٩] . تُخَرِّبُ ما يبقى

وتعمر فانيـاً ولا ـ ذاك موفور ولا ذاك عامرُ وهل لك ان وافاك حتفك بغته ولم تكتسب خيراً لـدى الله عاذر ارتضـى بأن تفنى الحياه وتنقضى ودينك منقوص ومالك وافرُ د ــ وله ايضاً «بحر الوافر» [١١٠] . فعقبى كل شىء نحن فيه من الجمع الكثيف الى الشتات وما حزناه من حلّ وحرم يوزع فى البنين وفى البنات وتنسانا الاحبه بعد عشر وقد صرنا عظاماً باليات كأنا لم نعاشرهم بودّ ولم يـك فيهمُ خـل مـواتِ هـ ــ ــ وله كـذلك هـذه الابيـات «بحر الوافر» [١١١] . لمن يـا أيّهـا المغرور تحـوى من المـال الموفَّرِ والاثاثِ ستمضى غير محمود فريداً ويخلو بعدُ عرسك بالتراث ويخذلك الوصى بلا وفاء ولا اصلاح امر ذى التباث

تدهور الاخلاقيه السياسيه والاجتماعيه

طالما يتلازم التدهور او التطور بين الاخلاقيه السياسيه وبين الاخلاقيه الاجتماعيه، اذ إن لسياسه الدوله لا سيّما اذا طالت بها المده اعظم التأثير على المجتمع سـلباً او ايجاباً; لانها المربّى الاكبر للمجتمع بما تمتلك من خطط واهداف معينه، وبما لها من الوسائل الاعلامـيه المختلفه ناهيك عن اسـتحواذها على الكثير من مصادر الثروه «طبقاً للنظريه الاقتصاديه للـدوله» كما ان للمجتمع بما له من اهـداف وعقائد ورؤىً صالحه او غير صالحه ذلك الاثر العميق فى رسم سـياسه الدوله قهراً او اختياراً حسب ما هو المعتاد ما بين الـدوله والمجتمع. ولكن يبقى اثر الـدوله على المجتمع اعمق وابعـد غوراً من اثر المجتمع على الدوله ــ فى الاعم الاغلب ــ لانها تمتلك من الوسائل والمؤثرات ما لا يمتلك او اقوى واشد مما يمتلك، ولان الناس على دين ملوكهم. فى التاريخ السياسى ماده خصبه لتوضيح التاثير المتبادل ما بين الدوله و المجتمع لا سيما أثر الدوله عليه. ففى حكومه

العدل النبوى نلحظ كيف تطورت اخلاقيه الحياه الاجتماعيه فى البلدان الاسلاميه لا سيما فى المدينه المنوره عاصمه الاسلام آنذاك. وكيف نرى الانعكاس الرائع للاخلاقيه السياسيه للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على المجتمع الذى اصبح المجتمع الامثل فى العالم. بينما فى زمن لاحق يخاطب احد الاعلام المعنيين بشؤون الامه الخليفه قائلاً: ملت فمالت الرعيه. فاعتدل تعتدل. وفى العصر الراهن ما يؤكد هذا المنحى من التأثير المتبادل بين الدوله والمجتمع أيّما تأكيد. وان هذه الظاهره من التأثير المتبادل واضحه للعيان فى العصر الاموى. وان شعر الامام زين العابدين (عليه السلام) الاتى خطاب للطرفين معاً أعنى الدوله والمجتمع. اى ان الفاظه تبقى على عمومها، من غير حاجه الى التخصيص، او الاقتصار على المجتمع او الدوله. لقد بلغ تدهور الاخلاقيه السياسيه والاجتماعيه فى عصر الامام زين العابدين (عليه السلام) حدّاً جعل المصلحين فى حاله من القلق والاهتمام والدهشه. ولقد مرّ علينا قول زين العابدين (عليه السلام): يا أمه السوء لا سقياً لربعكمُ يا أمه لم تراعِ جدّنا فينا فلما لم ترع الدوله ولم تهتم بحقوق المجتمع لا سيما حقوق اهل البيت انكفأ المجتمع على اهل البيت النبوى ظلماً واعتداءً. ثم صارت سنه جاريهً كل من امكنه الظلم ظلم [١١٢] . وتسابقت الدوله والمجتمع إلى الصفه الهجينه، صفه الغدر، ونكث العهود. فقد غدر قائد الدوله معاويه بن أبى سفيان بالامام السبط الحسن بن على (عليه السلام) قائلاً: وقد اعطيت الحسن بن على عهوداً كلها تحت قدمى. وغدر قائد الدوله الاخر عبد الملك بن مروان بابن عمه عمرو بن سعيد الاشدق وذبحه بيده كما تذبح الشاه. وغدرت أمه من المجتمع بالامام الحسين بن على (عليه السلام) بعد تلك المراسلات

الكثيره، والوعود السرابيه بالنصر والتأييد. كما غدرت بمصعب بن الزبير حتى قُتل واحتزّ رأسه. غدرت به مضر العرا قِ وامكنت منه ربيعه [١١٣] . على ان الامر فى تدهور الاخلاقيه السياسيه والاجتماعيه لا يقتصر على الظلم والغدر علماً بان الظلم وحده ينطوى على شعب كثيره من التدهور والامراض النفسيه والصفات المستهجنه. واضافه الى الظلم والغدر هناك اتباع الاهواء والشهوات، ومخالفه القوانين السماويه. وكان امراً سارى المفعول قياده وشعباً. وعلى سبيل المثال من القاده السياسيين من كان يقول: لا يأمرنى احد بتقوى الله الاّ ضربت عنقه. وقال الحجاج بن يوسف الثقفى وهو يذكر الذين يطوفون حول قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انما يطوفون حول اعواد ورمّه. هلاـ يطوفون حول قصر امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك. ومن أمثله الشعر السياسى لزين العابدين (عليه السلام) فيما يخص تدهور الاخلاقيه السياسيه والاجتماعيه قوله من أبيات «بحر الطويل»: [١١٤] . أ ـ ألم تر أن العرف قد مات أهلهُ وان الندى والجود ضمَّهما قبر على العرف والجود السلام فما بقى من العرف الا الرسمُ فى الناس والذكر ب ـ (صلى الله عليه وسلم) (رحمهما الله) [١١٥] . أفى السبخات يا مغبون تبنى وما يبقى السباخ على الاساس ذنوبك جمه تترى عظاماً ودمعك جامد والقلب قاسى واياماً عصيت الله فيها وقد حفظت عليك وانت ناسى فكيف تطيق يوم الدين حملاً لاوزار كبار كالرواسى هو اليوم الذى لا ودَّ فيه ولا نسب ولا احد مواسى من المعلوم هنا ان الخطاب بـ (يا مغبون) لم يكن خطاباً لشخص معين وانما هو خطاب للنوع. والفرق كبير بين كون الخطاب للمغبون شخصاً واحداً معيناً والخطاب له بما هو نوع الذى يعنى

ان الامـام يخـاطب المغبونين عمومـاً. ومثل ذلک ما مرّ علینا «اخی قـد طال لبثک فی الفساد» فانه لم یقصـد أخاً معیناً وانما یوجه الخطـاب لکل من طال لبثه فی الفساد ای ان الامام یعالـج داءً اجتماعیاً وسیاسـیاً وبیلاً ولیس داء شـخص معین فقط. ولا یمنع من ذلک ان ینادیه بـ «أخی» فهو اِن لم یکن اخاه فی الـدین فهو اخوه فی الانسانیه. علی أن الامام کان المرشـد والموَجّه، والدالّ علی سواء الصـراط. ومن لا یشعر من یرشدهم المحبه فی قلبه فقد افتقد عنصر التأثیر علیهم. جـ ـ ولزین العابدین (علیه السلام) هذه الابیات ایضاً «بحر الوافر» [۱۱۶] . وبـاد الامرون بکل عُرف فما عن منکر فی الناس ناهی وقعنا فی البلایا والخطایا وفی زمن انتقاص واشـتباهِ تفانی الخیر والصـلحاء ذلّوا وعزّ بذلهم أهل السّـفاهِ فصار الحر للمملوک عبداً فما للحر من قدر وجاهِ فهذا شـغله جمع ومنع وهذا غافل سکران لاهِ

حرکه الرسائل السیاسیه (نظره عامه للرسائل السیاسیه فی العهد الاموی)

التفوق الکمی

اتسعت رقعه العالم الاسلامی فی العصر الاموی، وتصاعدت الکثافه السکانیه للمسلمین، وتطورت الحیاه المادیه، وتنامت الاجهزه الاداریه، وکثرت الاعباء السیاسـیه. ان کل هـذه العوامل قـد تسـببت فی التفوق الکمی للرسائل السیاسـیه تفوّقاً کبیرا بالقیاس الی عصـر صـدر الاسـلام. فلو اخذنا اربعین سـنه من صدر الاسـلام، مقارنه باربعین سـنه من العصـر الاموی للحظنا البون البعید للکم الرسائلی. لا شک ان تعدد قوی المعارضه السیاسیه رکیزه اساسیه من رکائز وفره الکم الرسائلی، وتعدد اغراضه السیاسیه، وهو ما یری جلیـا فی خلافـه الامـام علی ابن ابی طـالب، والحیـاه السیاسـیه للـدوله الامـویه. ومن حیث الموضوع او الغرض من الرسـائل السیاسیه... یمکن القول: إن لکل خلیفه او امیر او سیاسی نزعاته وتوجهاته وظروفه الخاصه، واسالیبه فی معالجه الشؤون

السیاسیه.

الرسائل السیاسیه ما بین عهدین

واما من الجهات الاخری فنستطیع مشاهده التقارب ـ الی حد بعید ـ بین الرسائل السیاسیه فی عهد صدر الاسلام وبین الرسائل السیاسیه فی العهد الاموی. فمن جهات التقارب بینها: ۱ ـ سهوله البیان، ووضوح التعبیر. ۲ ـ قرب التناول وابتعادها غالبا عن التعمق. ۳ ـ کانت اللغه الدینیه تشوب الرسائل السیاسیه فی العهدین معا من الابتداء ب ـ (بسم الله الرحمن الرحیم) الی الاستشهاد ببعض آیات الذکر الحکیم، او بعض النصوص النبویه الی حمد الله وتقدیسه. وکان هذا جاریا متعارفا حتی من قبل من لا دین لهم ـ حسب الواقع ـ الا رفع الشعارات بعد تفریغها من المحتوی. ۴ ـ اکثرها من نوع الرسائل ذات النفس القصیر، باستثناء حالات غیر کثیره فلقد کانت للامام علی بن ابی طالب رسائل طویله، وکان هو الرائد فی الرسائل السیاسیه وغیر السیاسیه ذات النفس الطویل کعهده لمالک الاشتر، ورسالته الی عثمان بن حنیف وبعض رسائله الی معاویه، کما کانت رسائله متمیزه اکثر من غیرها فی قوه الاسر، وفخامه التعبیر، وجزاله الاسلوب. کما وقع استثناء آخر ـ فی الرسائل السیاسیه الطویله النفس ـ فی نهایه العهد الاموی وهی بعض رسائل عبد الحمید بن یحیی الکاتب الذی انتهج طریقه الامام علی سلام الله علیه فی طول النفس وفی السمو الادبی المتمیز، وکان یصرح باعتزاز بانه حفظ سبعین خطبه من خطب الامام علی [۱۱۷] ولقد ارسل عبد الحمید الکاتب رساله یقال انها وقر بعیر [۱۱۸] . ۵ ـ کانت الرسائل ـ عاده ـ فی صدر الاسلام وایام متفاوته من العهد الاموی تبتدأ بذکر اسم المرسل ـ بالکسر ـ قبل اسم المرسل الیه.. من عبد الله فلان الی فلان. فعلی سبیل المثال

ما جاء فی رساله النبی محمـد (صـلی الله علیه وآله وسـلم) الی ملک الحبشه [١١٩] . وکمـا جاء فی رسالته (صـلی الله علیه وآله وسـلم) ایضاً الی کسری: بسم الله الرحمن الرحیم من محمد رسول الله الی کسری عظیم فارس [١٢٠] . بید ان اکثر الرسائل التی کـانت تکتب الی المسؤولین الکبـار فی الـدوله الامویه... یشـرع فیها بـذکر المسؤول ثم ذکر اسم المرسل. وعلی سبیل المثال ما جاء فی رساله زیاد بن ابیه الی معاویه بن ابی سـفیان یؤلبه فیها علی قتل حجر بن عدی، واصحاب حجر: بسم الله الرحمن الرحیم لعبـد الله معـاویه بن ابی سـفیان امیر المؤمنین من زیاد بن ابی سـفیان. اما بعـد [١٢١] وکما فی رساله القائد الاسـلامی شـریح بن هانئ، الی معاویه بن ابی سـفیان یتبرأ فیها من ذکر زیاد لاسـمه ضمن قائمه الشهود علی حجر بن عدی رضوان الله علیه. بسم الله الرحمن الرحیم لعبـد الله معـاویه امیر المؤمنین من شـریح بن هـانئ. اما بعـد [١٢٢] . ۶ ـ والمخـاطب مهما کان منصبه القیادی یخاطب بعباره لیس فیها کبیر تفخیم وتعظیم، هکذا جری الامر فی العصـرین معا حتی جاء الولید بن عبدالملک إلی الخلافه سنه (٨۶هـ) فـاذا بالکتـابه الیه والی الخلفـاء من بعـده ذات طـابع یتّسم بألفاظ التفخیم والتعظیم بما لم یسـبق له مثیل. فاقتفی من جاء بعده من الخلفاء اسلوبه وطراز تفکیره، الاّ عمر بن عبدالعزیز فانه رفض الانصیاع او الاقتفاء لهذه الطریقه.

من روائع التراث

١ ـ ان ممـا یحز فی قلب کـل المخلصـین ان الامه الاسـلامیه الی هـذا الیوم، لم تؤدّ مسؤولیتها العظمی تجاه الروائع الخوالـد من تراثها العظیم. علما بان الامه لا تحقق نهضتها وتطورها فی الحاضر

والمستقبل حتى تستلهم الايات المشرقه من الماضى وتعتمدها فى عمليه البناء الحضارى. ولكن الامل وطيد ان ينهض حمله الوعى والبصيره لهذه المسؤوليه التاريخيه والواجب المقدس الخطير. ٢ ــ من الرسائل التى وصلتنا من العصر الاموى ثلاث رسائل سياسيه لعلى بن الحسين زين العابدين هى من اجود واسمى واتقن الرسائل السياسيه فى ذلك العصر. والرسائل هى: أ ــ رساله الحقوق. ب ــ رساله الى احد كبار العلماء. ج ــ رسالته الى اصحابه. واذا كانت الرساله الاولى منها قد توشحت ببعض العنايه والانتشار، فان الرسالتين التاليتين لم تزالا فى اضابير الغفله والنسيان. ولا يسعنا الوقت هنا لاستعراض رسائل سياسيه من العصر الاموى لنقارن بينهما وبين رسائل الامام زين العابدين (عليه السلام) فنحيل ذلك الى مراجعه القارئ الكريم فى مختلف الكتب المعتيّه، بما فى ذلك رسائل المعاصرين لزين العابدين (عليه السلام) من القاده السياسيين المجوّدين والبارعين فى البيان امثال عبدالملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفى وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وقطرى بن الفجاءه وغيرهم. ونعتقد ان القارئ الكريم اذا ما قارن بين الرسائل بدقه وامعان وموضوعيه فسوف يرى الرسائل السياسيه لزين العابدين (عليه السلام) بينها كالجبل الاشمّ بين التلال. ٣ ــ والرسائل السياسيه لزين العابدين (عليه السلام)، تعبير اصيل عن نشاط فعّال ناهض من الانشطه السياسيه الواعيه الكثيره، التى قام بها توعيه للاجيال، وخدمه للاسلام، واداءً للمسؤوليه. ۴ ــ لقد رام على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ايضاح رأيه من قضيه الحكم والسلطه آنذاك. كما اراد تفجير الروح الملحميه والتضحويه لدى طلائع الامه، ورجالاتها الافذاذ، وعدم الذوبان فى بوتقه الحكم القائم. وانّه لصراع مرير دائم امام حملات التضليل الفكرى، والغبش السياسى، وامواج الفتن والبدع.

يقول سلام الله عليه: ان الامور الوارده عليكم فى كل يوم وليله من مضلّات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبه السلطان، ووسوسه الشيطان، لتذر القلوب عن تنبيهها، وتذهلها عن موجود الهدى ومعرفه اهل الحق الاّ قليلاً ممن عصم الله [۱۲۳] . ولا تتم القدره على الصراع المرير الدائم بلا رسوخ العقيده والايمان، وتربيه النفس على المواجهه والتحدى، وكبح جماح الاهواء والنزوات امام المغريات المتعدده. وهذا لا يتيسر لكل صادر و وارد بل هو بمقدور من عصمه الله، ونهج سبيل الرشد، وسلک طريق القصد، ممن استعان على ذلک بالزهد، فكرّر الفكر، واتّعظ بالعبر وازدجر فزهد فى عاجل بهجه الدنيا، وتجافى عن لذاتها، و رغب فى دائم نعيم الاخره وسعى لها سعيها، و راقب الموت وشنأ الحياه مع القوم الظالمين [۱۲۴] . ۵ ـ لم تكن هذه الرسائل السياسيه لزين العابدين (عليه السلام) مقصوره النفع، او ان سببها مختصاً بالعصر الاموى او فى سبيل انتهاج سياسه وفق مقتضيات ومتطلبات مرحله سياسيه معينه، بل انها تربيه روحيه واخلاقيه، وتعاليم سياسيه، تصلح لكل مرحله، من المراحل التاريخيه. ما دام هناک صراع بين الحق والباطل، وما دامت هناک حاجه الى القائد البديل. ۶ ـ انّ طول النفس فى الرسائل الثلاث للامام زين العابدين (عليه السلام) هو من الفوارق بين رسائله السياسيه، وبين الغالبيه العظمى من الرسائل السياسيه فى عصره. امّا رساله الحقوق فهى من اطول الرسائل السياسيه آنذاک. واما الرسالتان الاتيتان فان طولهما طول نسبى، على الرغم من ان الرسالتين الواصلتين لنا قد وقع فيهما حذف بحجم ما وان كان غير مخلّ بموضوع كل منهما. فمن دلائل الحذف خلو احدى الرسالتين من عباره لازمه عند اهل البيت، وفى

صـدر الاسـلام والعصـر الامـوى من قبيـل الابتـداء بــ (بسم الله الرحمن الرحيم). ومن دلائـل الحـذف خلو الرسـالتين من تعبير مشـهور فى صـدر الاسـلام والدوله الامويه وهو (امّا بعد). وقد مرّ علينا هذا التعبير كما فى رساله زياد ابن ابيه، ورساله شـريح بن هانئ وكان التعبير هـذا يـذكر فى بـدايات كل رساله. نعم، ان رساله الامام زين العابدين (عليه السـلام) الى عالم دينى كبير كما ستأتى تتضـمّن تعبير (امّا بعد) ولكنه قد ورد فى اواخر الرساله وبعد ذكر عده مقاصد. وهو شـىء استدعاه سـياق الكلام يغاير ما هو متعارف ذكره فى اوائل الرسائل. ومن دلائل الحـذف عدم ذكر المرسل والمرسل اليه فى بدايات الرسالتين معاً. ٧ــ قد عرفنا أن الرسـالتين لم تـذكرا المرسل والمرسل اليه بما فى ذلك الرساله الى احـد كبار العلماء كما عنونّاها، والتى تعنون فى المصادر بــ (رسـالته الى محمـد بن مسـلمه الزهرى). فبنـاءً على عـدم ذكر المرسـل والمرسـل اليه لا نسـتطيع القول على سبيل الجزم انه ارسـلها الى الزهرى ام لغيره من العلمـاء خصوصـاً مع وجود عبـاره فيها يتسـرب من كوّتها الاحتمال الى عـدم كونها مرسـله اليه، والعباره هى: انک لست فى دار مقام انت فى دار قد آذنت برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه. وعباره ثانيه: اغفلت ذكر من مضـى من اسـنانک واقرانـک، وبقيت بعـدهم كقرن اعضب. وعبـاره ثـالثه: فـاذا كانت الـدنيا تبلغ من مثلك هـذا المبلغ مع كبر سـنّك ورسوخ علمك وحضور اجلك. وهذه العبارات الثلاث تدل على ان المرسل اليه شـيخ كبير السن، وهذا لا يتوافق مع سنّ محمد الزهرى وان كان من اصحاب زين العابدين (عليه السلام) لان ولاده الزهرى سنه (٥٨ هجريه) [١٢٥] بينما رساله زين

العابدين (عليه السـلام) على ابعد تقدير كانت سنه (۹۴ هجريه) عام وفاه زين العابدين (عليه السـلام)، وقيل عام (۹۵ هـ) فيكون سن الزهرى على ابعد تقدير لا يتجاوز ثلاثين عاماً الاّ ستيّات. واين هـذا من كون المرسل اليه شيخا كبير السن. وعلى هـذا الاساس تكون الرساله موجّهه ــ على ما يظهر ــ الى عالم دينى آخر. وعباره (ورسوخ علمك) تدلّ على ان الشخص المرسل اليه من كبار العلماء. ونحن نحتمل ان يكون هـذا العالم الدينى الاخر قبيصه بن ذؤيب الخزاعى وهو من الفقهاء الرسميين للدوله الامويه وكانت له مكانه كبيره فى الدوله وكان قد ولد فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالمقارنه بين شخصيتى قبيصه بن ذؤيب والزهرى ومعرفه السلوك السياسى لكل منهما يظهر ان قبيصه ابعد اثراً فى العمق الاستراتيجى للدوله واكثر تبريراً لسيناريو النظام. ٨ ــ لقد كان لقاء الجمهور لقاء سياسياً من الصعوبه بمكان ولا تكمن الصعوبه فى مواجهه قائد اللقاء فحسب بل حتى فى مواجهه الجمهور نفسه. لا سيما اذا كانت النظره القبليه اليه كأيه نظره الى قوى المعارضه. فجاءت طريقه الرسائل السياسيه اشبه باللقاء غير المرئى بل هو لقاء غير مرئى بالفعل. تستلهم القاعده الشعبيه فيه من قائدها الاعلى على زين العابدين (عليه السلام) التعليمات السياسيه والاوامر والتوجيهات. ومنها رساله مفصّله لزين العابدين (عليه السلام) ــ ستأتى ــ قد بعثها الى قاعدته الشعبيه يحذرهم فيها من اتباع الظلمه، والانضواء تحت رايه الحكم القائم، ويوجههم الى اتباع القياده البديله المتمثله به آنذاك.

النص الكامل للرسالتين

ونعنى بالنص الكامل جميع النّص الذى بلغنا منهما، بقطع النظر عما اعتقدناه من وجود اشياء محذوفه كما سلف الحديث عنها. علما بان الحذف من النصوص

ـ لسبب او لآخر ـ منهج الكثير من القدماء والمحدثين من الكتّاب. كما يعرف ذلك من نصوص كثيره جداً فی مختلف العصور. ويفهم الحذف من خلال قرائن معتبره كثيره لا ينبغی الارتياب فيها.

رسالته الی احد كبار العلماء

كفانا الله واياك من الفتن، ورحمك من النار، فقد اصبحت بحال ينبغی لمن عرفك بها ان يرحمك، فقد اثقلتك نعم الله بما اصحَّ من بدنك، واطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حمّلك من كتابه، وفقّهك فيه من دينك، وعرّفك من سنه نبيك محمد صلّی الله عليه وآله فرض لك فی كل نعمه انعم بها عليك، وفی كل حجّه احتجّ بها عليك الفرض فما قضی الاّ ابتلی شكرك فی ذلك، وابدی فيه فضله عليك فقال: (لئن شكرتم لازيدنّكم ولئن كفرتم انّ عذابی لشديد) [۱۲۶] . فانظر ایّ رجل تكون غداً اذا وقفت بين يدی الله فسألك عن نعمه عليك كيف قضيتها. ولا تحسبنّ الله قابلاً منك بالتعذير، وراضياً منك بالتقصير. هيهات هيهات ليس كذلك.. اخذ علی العلماء فی كتابه اذ قال: (لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه) [۱۲۷] . واعلم ان ادنی ما كتمت، واخفّ ما احتملت ان آنست وحشه الظالم، وسهلت له طريق الغیّ، بدنوّك منه حين دنوت، واجابتك له حين دعيت. فما اخوفنی ان تبوء باثمك غداً مع الخونه، وان تسأل عما اخذت باعانتك علی ظلم الظلمه. انك اخذت ما ليس لك ممن اعطاك، ودنوت ممن لم يردّ علی احد حقاً، ولم تردّ باطلاً حين ادناك، واحببت من حادّ الله، او ليس بدعائه اياك حين دعاك، جعلوك قطباً اداروا بك مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك الی بلاياهم، وسلّماً الی ضلالتهم، داعياً الی غيّهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك علی العلماء، ويقتادون

بـک قلوب الجهّال اليهم. فلم يبلغ أخص وزرائهم، ولاـ أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من اصـلاح فسادهم، واختلاف الخاصـه والعامه إليهم. فما اقلّ ما اعطوک فی قـدر ما اخذوا منک، وما ايسـر ما عمروا لک فی جنب ما خرّبوا. فانظر لنفسک فانّه لا ينظر لها غيرک، وحاسـبها حساب رجل مسؤول. وانظر کيف شکرک لمن غذّاک بنعمه صغيراً وکبيراً. فما اخوفنی ان تکون کما قال تعالی فی کتابه: (فخلف من بعـدهم خلف ورثوا الکتاب يأخذون عرض هذا الادنی ويقولون سـيغفر لنا) [۱۲۸] . انک لست فی دار مقـام، انت فی دار قـد آذنت برحيـل، فمـا بقـاء المرء بعـد قرنـائه. فطوبی لمن کـان فی الـدنيا علی وجل. يابؤس لمن يموت وتبقی ذنوبه من بعـده. احذر فقد نبئت، وبادر فقد اجّلت.. انّک تعامل من لا يجهل، وانّ الذی يحفظ عليک لا يغفل.. تجهّز فقد دنـا منک سـفر بعيـد، وداو ذنبک فقـد دخله سـقم شديـد. ولا تحسب انی اردت توبيخک وتعنيفک وتعييرک، لکنی اردت ان ينعش الله مـا فـات من رأيـک، ويردّ اليـک مـا عزب [۱۲۹] من دينـک. وذکرت قـول الله فی کتـابه: (وذکّر فـإن الـذکری تنفع المؤمنين) [۱۳۰] . اغفلت ذکر من مضـی من اسـنانک واقرانک، وبقيت بعـدهم کقرن اعضب. انظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت، ام هـل وقعوا بمثـل مـا وقعت فيه، ام هل تراهم ذکرت خيراً علموه، وعلمت شـيئاً جهلوه، بل حظيت بما حلّ من حالک فی صـدور العـامه، وکلفهم بـک، اذ صـاروا يقتـدون برأيـک، ويعملون بـامرک. ان احللت احلّوا وان حرّمت حرّموا، وليس ذلک عنـدک، ولکن اظهرهم عليک رغبتهم فيما لـديک ذهاب علمائهم، وغلبه الجهل عليک وعليهم، وحبّ الرئاسه وطلب الدنيا منک ومنهم. اما

ترى مـا انت فيه من الجهـل والغرّه، ومـا النـاس فيه من البلاـء والفتنه، قـد ابتليتهم وفتنتهم بالشـغل عن مكاسـبهم مما رأوا، فتاقت نفوسـهم الى ان يبلغوا من العلم مـا بلغت، او يـدركوا به مثـل الـذى ادركت، فوقعوا منك فى بحر لا يـدرك عمقه، وفى بلاء لا يقـدّر قـدره، فالله لنا ولك وهو المسـتعان. امّا بعـد، فاعرض عن كل ما انت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا فى أسـمالهم، لاصـقه بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجـاب، ولاـ تفتنهم الـدنيا، ولاـ يفتنون فيمـا رغبوا، فما لبثوا ان لحقوا. فاذا كانت الـدنيا تبلغ من مثلـك هـذا المبلغ مع كبر سـنّك، ورسوخ علمـك، وحضور اجلك، فكيف الحـدث فى سـنّه، الجاهل فى علمه، المأفون فى رأيه، المدخول فى عقله. انّا للّه وانّا اليه راجعون، على من المعوّل؟ وعند من المسـتعتب؟ نشـكو الى الله بثّنا، وما نرى فيك، ونحتسب عند الله مصـيبتنا بك. فانظر كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وكيف اعظامك لمن جعلك بدينه فى النـاس جميلاًـ وكيف صـيانتك لكسوه من جعلك بكسوته فى الناس ستيراً، وكيف قربك او بعـدك ممن امرك ان تكون منه قريبا ذليلاً. ما لك لا تنتبه من نعستك، ولا تستقيل من عثرتك فتقول: والله ما قمت للّه مقاماً واحداً احييت به ديناً، او امتّ له به باطلاـ فهـذا شـكرك من اسـتحملك؟ مـا اخوفنى أن تكون كما قال الله فى كتابه: (اضاعوا الصـلاه واتّبعوا الشـهوات فسوف يلقون غيّاً) [١٣١] اسـتحملك كتابه، واستودعك علمه، فاضعتهما، فنحمد الله الذى عافانا ممّا ابتلاك به. والسلام [١٣٢] . رسالته التاريخيه الى اتباعه عن ابى حمزه الثمالى قال: كتب الامام السجّاد (عليه السلام) الى اصحابه: بسم الله الرحمن الرحيم

كفانـا الله وايّـاكم كيـد الظـالمين، وبطش الجبـارين أيّهـا المؤمنون مصـيبتكم الطواغيت واتباعهم من اهل الرغبه فى هـذه الـدنيا المـائلون اليهـا، المفتونون بهـا، المقبلون عليها وعلى حطامها وهشـيمها البائـد غـداً. فاحـذروا ما حـذّركم الله منها، وازهـدوا فيما زهّـدكم الله فيه منهـا، ولا تركنوا الى ما فى هـذه الـدنيا ركون من اتخـذها دار قرار، ومنزل استيطان، وبالله ان لكم مما فيها عليها دليلاً ـ من زينتها، وتصـرف ايّامها، وتغير انقلابها ومثلاتها [١٣٣] وتلاعبهـا باهلها. انّها لترفع الخميل، وتضع الشـريف، وتورد النار اقواماً غـداً. ففى هـذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه. ان الامور الوارده عليكم فى كل يوم وليله، من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسـنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبه السـلطان، ووسوسه الشيطان، لتثبّط القلوب عن نيّتها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفه اهل الحق، الاّ ـ قليلاً ـ ممن عصم الله. وليس يعرف تصـرف ايامهـا وتقلب حالاتهـا، وعـاقبه ضـرر فتنتهـا الاّ ـ من عصم الله، ونهـج سبيل الرشـد، وسـلك طريق القصد، ممّن اسـتعان على ذلک بالزهد، فكرر الفكر، واتّعض بالعبر وازدجر، فزهد فى عاجل بهجه الدنيا، وتجافى عن لـذاتها، ورغب فى دائم نعيم الاخره، وسـعى لها سـعيها، وراقب الموت، و شَـنَأ الحياه مع القوم الظالمين. فعنـد ذلک نظر الى ما فى الـدنيا بعين نيّره حديده النظر، وابصـر حوادث الفتن، وضـلال البدع، وجور الملوک الظلمه. فقد لعمرى اسـتدبرتم من الامور الماضـيه، فى الايام الخاليه، من الفتن المتراكمه، والانهماک فيها، ما تستدلّون به على تجنّب الغواه واهل البدع والبغى والفسـاد فى الاـرض بغير الحق. فاسـتعينوا بـالله وارجعوا الى طـاعته وطـاعه من هو اولى بالطاعه من طاعه من اتبع واُطيع. فالحـذر الحذر من قبل الندامه والحسره والقدوم على الله، والوقوف بين يديه، وبالله ما صدر عن معصيه

الله الاّ الى عذابه، وما آثر قوم قط الدنيا على الاخره الاّ ساء منقلبهم وساء مصيرهم، وما العز بالله والعمل بطاعته الا إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه فحثّه الخوف على العمل بطاعه الله، وان ارباب العلم واتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له، ورغبوا اليه، وقد قال الله: (انّما يخشى الله من عباده العلماء) فلا تلتمسوا شيئاً ممّا فى هذه الدنيا بمعصيه الله، واشتغلوا فى هذه الدنيا بطاعه الله، واغتنموا ايامها، واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله، فان ذلك اقل للتبعه، وادنى من العذر، وارجى للنجاه. فقدموا امر الله وطاعته وطاعه من اوجب الله طاعته بين يدى الامور كلها ولا تقدموا الامور الوارده عليكم من طاعه الطواغيت، وفتنه زهره الحياه الدنيا بين يدى امر الله وطاعه أولى الامرِ منكم، واعلموا انكم عبيد الله ونحن معكم يحكم علينا وعليكم سيد حاكم غداً وهو موقفكم ومسائلكم فاعدوا الجواب قبل الوقوف والمساءله، والعرض على رب العالمين (يومئذ لا تكلّم نفس الا بإذنه) واعلموا ان الله لا يصدق كاذباً ولا يكذب صادقاً، ولا يرد عذر مستحق ولا يعذر غير معذور، بل للّه الحجه على خلقه بالرسل والاوصياء بعد الرسل، فاتقوا الله عباد الله. واستقبلوا من اصلاح انفسكم وطاعه الله، وطاعه من تولونه فيها، لعل نادما قد ندم على ما قد فرّط بالامس فى جنب الله، وضيّع من حق الله، واستغفروا الله وتوبوا اليه فانه يقبل التوبه ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون. وإياكم وصحبه العاصين، ومعونه الظالمين، ومجاوره الفاسقين، احذروا من فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم، واعلموا انه من خالف اولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبد بامره، دون امر ولى الله، كان فى نار تلتهب، تأكل ابداناً

قد غابت عنها ارواحها، وغلبت عليها شقوتها، فهم موتى لا يجدون حر النار، ولو كانوا احياء لوجدوا مضض حر النار، واعتبروا يا اولى الابصار، واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا انّكم لا تخرجون من قدره الله الى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ثمّ اليه تحشرون، فانتفعوا بالعظه، وتأدبوا بآداب الصالحين [۱۳۴] . لفت نظر: ان باستطاعه العالم الدينى ان يحتل دوراً كبيراً فى التربيه والاخلاق ونشر الفضيله ومقاومه الظلم والاستبداد. ليس حمل العلم الاّ مسؤوليه كبرى ترهق الحامل وتثقل العاتق والكاهل. يقول زين العابدين فى الرساله التى وجهها لاحد كبار العلماء: ولا تحسبنّ الله قابلا منك بالتعذير، وراضياً منك بالتقصير، هيهات هيهات ليس كذلك اخذ الله على العلماء فى كتابه اذ قال: (لتبيننّه للناس ولا ـ تكتمونه). وقد يستطيع العالم الدينى تحقيق المطالب الايجابيه ــ فى حالات استثنائيه ــ حتى وان انضمّ الى السلطه غير الشرعيه من اجل اصلاحها من الداخل، وتوجيهها لما فيه الصالح الحقيقى للاسلام والمسلمين والمستضعفين كما وقع ذلك لعلى بن يقطين فى الدوله العباسيه ولكن النظام الحاكم إبّان حياه الامام زين العابدين لم يكن بالذى يستجيب للناصح الشفيق. او كانت لسياستِهِ قابليه الهضم والتمثيل لكلمات العالم او المربّى. وهذا احد المربين والعلماء الرسميين ومن المقربين جداً للنظام ــ قبيصه بن ذؤيب ــ المعاصر لزين العابدين يذكر عدم قبول النظام لاى مشروع او انجاز يتقدم به الاّ ذلك الذى يعبر عن مقررات النظام او تطلعاته او ينسجم مع وجهه نظره. ولسنا نعتقد ان يتنكر الامام زين العابدين للدور الايجابى الاستثنائى للعالم الدينى فيما اذا اراد التحرك النبيل ضمن سلطه ما وان كانت ظالمه عاتيه فى سبيل الاهداف والمبادئ العليا. بيد انّ العالم الدينى

الـذی خاطبه الامام زین العابدین (علیه السـلام) کان علی خلاف ذلک، انه بدل ان یذیب الباطل ذاب فیه، وبدل ان یوجّهه انقاد لتوجیهاته «ودنوت ممّن لم یردّ علی احد حقاً، ولم ترد باطلاً حین ادناک»، «فلم یبلغ اخصّ وزرائهم ولا اقوی اعوانهم الاّ دون ما بلغت من اصـلاح فسـادهم، واختلاف الخـاصّه والعـامّه الیهم». ای ان وجوده فی اروقه النظـام الحاکم قـد اصـبح تبریراً للسیاسـه القمعیه، والسـیاده القبلیه، وطریقه تغریریّه یستزلّ بهـا الواهن والجهول. ومـا اکثر الواهن والجهول فی کـل مجتمع وفی کـل زمان ومکان. رفع التعارض: من الواضـح ان الامام زین العابـدین (علیه السـلام) قد خاطب برسالته رجلاً من العلماء وذلک بقوله: اخذ علی العلمـاء فی کتـابه اذ قال: (لتبیننّه للناس ولا تکتمونه) [۱۳۵] وقوله: وقامت علیک حجـج الله بما حمّلک من کتابه، وفقهک فیه من دینه، وعرفک من سنَّه نبیک محمد (صلی الله علیه وآله وسلم). وقوله: فاذا کانت الدنیا تبلغ من مثلک هذا المبلغ مع کبر سنّک، ورسوخ علمک (وفی نسـخه خطیه من الکافی: ورسوخ عقلک). بیـد ان بین اقواله هـذه وبین قوله: ذهاب علمائهم وغلبه الجهل علیک. وقوله کذلک: اما تری ما انت فیه من الجهل والغره، تعارضاً. فتاره یصفه بالعلم والفقه بل یفهم ان المخاطبه لاحد کبـار العلمـاء، وتـاره یصـفه بالجهـل. والجواب: فی الواقع انه لاـ تعـارض بین هـذه الاقوال اذ ان للعالم من بعض الوجوه معنیین. المعنی الاول الـذی قـد اخـذ من العلم الدینی بحظ وافر بقطع النظر عن الممارسه والتطبیق ای انه عالم دینی سواء اعمل بعلمه ام لم یعمل. ویا رب عالم جعل العلم خزانه مقفله لا ینفق منها علی اصلاح النفس او تربیه الجیل. المعنی الثانی العالم

هو خصوص من يعمـل بعلمه، ويسـتمسك بالعروه الوثقى التى لا انفصام لها نظرياً وتطبيقياً. وكثيراً ما تطلق الروايات لفظه العالم على خصوص المعنى الثـانى. ان احـد كبـار العلماء الـذى وجّهت الرساله اليه هو ممن يشـمله المعنى الاول فهو عالم بالمنطلقات الفكريه والفقهيه، وله القـدره على الاستيعاب للنظريه الاسـلاميه من القرآن والسـنّه المطهره. وهو فى نفس الوقت جاهل من جهه عدم تحقيق الانسـجام والتناغم بين النظريه والتطبيق. ومن كان عمله عمل الجاهل فهو جاهل وان كثر علمه. انّها التقوى التى تميّز بين البر والفاجر، لا النظريات وارتقاء المنابر.

المستلزمات القياديه

اشاره

لقد أُعطى النبى محمد (صـلى الله عليه وآله وسـلم) وأهل بيته (عليهم السلام) مواهب كبرى، وطاقات هائله، فى مجالات الابداع الانسانى الكثيره، بحيث تقصّر عنها قـدرات أكابر العباقره، وتتراجع اَمامها كل المواهب الخلّاقه، والامكانات المبدعه، فمن هذه الطاقات ما جاء فى خطاب الامام على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) الذى ألقاه فى دمشق عام «۶۱» هجريه: أيها الناس، أُعطينا سـتاً وفُضـلنا بسبع: أُعطينا العلم والحلم والسماحه والفصاحه والشجاعه والمحبه فى قلوب المؤمنين [۱۳۶] . ونكتفى بتحليل هـذه الطاقـات الست ومحـاوله سبر ابعادها بصوره ما لنسـتخلص من ذلک أهليه الامام زين العابـدين (عليه السـلام) لقياده العالم الاسـلامى. على أن فى مجمل البحوث الاخرى ما يـدل على الاهليه أيضاً. التـذكير بالمواهب الست، والفضائل السـبع فى خطاب الامام زين العابدين سـلام الله عليه فى عاصـمه الدوله الامويه، وفى محضـر يزيد بن معاويه، واستماع قادته، وحشد من الجماهير، ان كل ذلک للتـدليل على التفوق المعنوى، وتوفر الشـرائط القياديه لاهل البيت النبوى، فكأن الامام زين العابدين (عليه السـلام) يريد أن يقول إنى وأبى الحسين أولى منک بالمنصب المقدس الكريم، منصب الخلافه

الالهیه. لم یذکر الامام زین العابدین المواهب الست، والفضائل السبع، علی سبیل الحصر. بمعنی عدم وجود طاقات وتفضیلات إلّا تلک التی عددها، وانما ذکر ما کان یحتاج الیه المقام. ونحن نذکرها مقتصرین علیها الان:

العلم

اشاره

لابد لقائد الدوله الاسلامیه من معرفه غنیه بما نستطیع تسمیته بالعلوم القیادیه فی الاسلام کالقرآن، والفقه، والسیاسه، والمجتمع، وعلم التخطیط، الذی یستوعب العلوم السالفه، ویستوعب المشاکل الراهنه، من أجل أن یفرز المواقف المناسبه، والاسالیب الحکیمه. واما العلوم الاخری التی لا تتصل بالعلوم القیادیه، فهی من العلوم الکمالیه بالنسبه للقائد، کما ان الاطلاع علیها، أو التوسع فیها، لا یغنی ولا یسمن فی هذا الصدد اذا کان بمعزل عن معرفه العلوم القیادیه. لقد کانت معرفه الرسول وأهل بیته بالکثیر من العلوم، وعلی رأسها العلوم القیادیه، معرفه واسعه عمیقه، وکان الاصدقاء والاعداء یُقرّون لهم بالتفوق فیها علی غیرهم. ولقد قال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) بشأن أئمه أهل البیت (علیهم السلام): ولا تعلموهم فانهماَعلم منکم. وقال الامام علی (علیه السلام) کما فی نهج البلاغه: هم عیش العلم، وموت الجهل یخبرکم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حکم منطقهم... عقلوا الدین عقل وعایه ورعایه، لا عقل سماع وروایه، فان رواه العلم کثیر ورعاته قلیل. انه ما سُئل أهل البیت عن شیء فعجزوا عن جوابه، أو صدر الجواب عنهم خاطئاً، فی مسأله من المسائل، مهما کانت، ومهما کان المسؤول من أهل البیت، صغیراً أو کبیراً، ومن یراجع الحیاه العلمیه لابی جعفر الثانی «محمد الجواد (علیه السلام)» یر القدره العلمیه الفذه، التی تفوق فیها علی علماء عصره، وهو آنذاک لم یزل فی غضاره الصبا. ان الذی وصلنا مما صح من علوم أهل

البيت (عليهم السلام) فى القرآن والفقه والعقائد والسياسه.. الخ على الرغم من دقته، وسعه حجمه، وتعدد مناحيه ما هو الاّ قليل من كثير. وبقيت هناك علوم، وأشياء كثيره من علوم مااستطاعوا الافصاح عنها لقصر أهل زمانهم عن إدراكها واستيعابها، فضلاً عن رفض تصديقها من قِبل بعضهم. يقول الامام على (عليه السلام): بل اندمجتُ على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشيه فى الطوىّ البعيده. وجاءت عن الامام زين العابدين (عليه السلام) فى هذا المضمار أبيات من الشعر الجميل، تكشف عن واقع عصره، لا نستغنى عن ذكرها: انى لاكتم من علمى جواهره كى لا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم فى هذا أبو حسن الى الحسين واوصى قبله الحسنا فربَّ جوهر علم لو أبوح بهِ لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال صالحون دمى يرون اقبح ما يأتونه حسنا [۱۳۷] .

مصادره الحريه العلميه والفكريه

ولا يخفى ان الحريه العلميه والفكريه قد صودرت من قبل القياده السياسيه فى حياه اكثر أهل البيت مما ترک منطقه للفراغ حيل بين أهل البيت وبين ملئها بالحروف الواضحه، فكتبوا حروفها أحياناً كثيره بالمواقف الرمزيه، ومجموعه من الاحاديث غير المكشوفه. فينبغى تفهم تلک المواقف والاحاديث بعقليات واعيه مجربه ومبدعه تختلف عن العقليات التى درست الاحاديث، والمواقف العامه، وتفهمتها بروح باهته، وتفكير سقيم مبنى على الجمود والتقليد والتلقى. بيد أن أهل البيت (عليهم السلام) على الرغم من الملابسات الحاكمه، والظروف السياسيه الخانقه، فى أغلب الاحيان قد فتحوا أبواباً من العلوم، والافكار الاصيله على مصاريعها، وعلّموا خلقاً عظيماً، وأناسىَّ كثيرا. ولقد عكفت اُمه من كبراء العلماء والمحققين قديماً وحديثاً على معارفهم وعلومهم يتدارسونها ويحللونها، ويستنبطون منها النتائج العامه والخاصه خدمه للاسلام، وتشييداً للبناء

الحضـارى الشامـل. ولقـد قـال رجـل معروف بـالتعصب الاـعمى، وهـدر دمـاء أهل البيت، اَلا وهو يزيـد واصـفاً علم الامام زين العابـدين خصوصـاً وأهـل البيت عمومـاً: انه من أهـل بيت قـد زُقّوا العلم زَقّا [١٣٨] . وقـال رجـل آخر لاـ يقل تعصـباً عن الاول، وتعطشـاً لـدماء أهـل البيت (عليهم السـلام)، ولكن الظروف السياسـيه لم تتـح له ذلك، ألا وهو عبـدالملك بن مروان، قال لزين العابـدين (عليه السـلام): ولقـد أوتيت من الفضـل والعلم والـدين والورع مـا لم يؤته أحـد مثلـك، ولاـ قبلك، إلاّ من مضـى من اسـلافك. ولقد قال الشـيخ المفيد رضوان الله عليه مُشيداً بعلوم زين العابدين (عليه السلام): وقد روى عنه فقهاء العامه من العلوم مـا لاـ تحصـى كثره، وحُفـظ عنه من المواعـظ والاـدعيه، وفضائل القرآن، والحلال والحرام، والمغازى والايام ما هو مشـهور بين العلماء. ولو قصـدنا الى شـرح ذلك لطال به الخطاب، وانقضـى به الزمان [١٣٩] . وليست هـذه الكلمـات إلاّ غيضا من فيض من الاشاده بعلم الامام زين العابدين سلام الله عليه والابانه عن معارفه.

الحلم

الحلم ما يكون عن مقـدره، أما ما لم يكن عن مقـدره فهو ليس من الحلم فى شـىء. والحلم سـجيه يعظمها الناس عامه ويحبونها حباً جمّا، ولا يطبقها على نفسه إلا الاقلّون. ولقد قيل: انک تجد فى کل مائه عشـره من الشجعان، وقد لا تجد فى کل مائه حليماً واحداً. ما زالت سجيه الحلم کبيره فى النفوس، مهيبه فى القلوب فى الجاهليه والاسلام، حتى أراد أن يضفيها على خلقه من ليس لهـا بأهـل، ومـا يتعلق منهـا بشـروى نقير لينـال محبه واکبـار الخـاص والعام. ونظراً لاهميه الحلم وعظمه منزلته اکّـد عليه الکتاب العزيز، ورکّزتْهُ السنّه المطهَّره واکابر الفلاسفه والحکماء. يقول

الله تبارک وتعالى: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين). وقال تعالى: (خُذ العفو واؤمر بالعُرف واَعرض عن الجاهلين) [١٤٠]، وفى روايه ان جبرئيل صلوات الله عليه نزل على النبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً له: أتيتك بمكارم الاخلاق فى الدنيا والاخره (خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين). فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما هذا يا جبرائيل؟ فقال: لاـ أدرى حتى أسأل العالم. ثم عاد وقال: يا محمد ربّك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. وقال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): من كتم غيظاً ولو شاء أن يمضيه امضاءً ملا الله قلبه أمناً وايماناً. ولعلىّ (عليه السلام) عقود عسجديه عن الحلم والدعوه اليه نقتطف منها: ان لم تكن حليماً فتحلَّم، فانه قلّ من تشبّه بقوم الاّ أوشك أن يكون منهم. اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه. لقد تجلت سجيه الحلم بأروع صورها عند النبى وأهل بيته بلا استثناء، فمن النبى الاقدس، الى المهدى المؤمل، مروراً بالامام موسى بن جعفر، الذى غلب نعته بالحلم والصفح وكظم الغيظ على اسمه، فاصبح كظمه وحلمه مضرب الامثال. فتره مديده فيها من أنماط الحلم النزيه، وألوان الصفح الجميل ما يهش له العالَم. ويقف ذلك الحلم ذروه عليا «ينحدر عنها السيل ولا يرقى اليها الطير». ومن كلمات أهل البيت فى الحلم ما جاء عن على بن الحسين (عليه السلام): ما من جرعه احب الى الله من جرعتين: جرعه غيظ ردها مؤمن بحلمه، أو جرعه مصيبه ردها مؤمن بصبره. وقال: انّ علامات المؤمن خمس، وعدَّ منهن الحلم عند الغضب. وسبّه رجل فسكت عنه.

فقـال اِيـاک أعنی، فقـال: وعنک أغضـی. وکان عنـده (علیه السـلام) ضـیوف فاسـتعجل خادماً له بشواء کان فی التنور، فأقبل به الخادم مسـرعاً، فسـقط السّـفود منه علی رأس بُنیّ کان لعلی بن الحسـین تحت الـدرج فأصاب رأسه فقتله، فقال للغلام وقد تحیّر واضطرب: انت حرّ فانک لم تعتمده. وأخذ فی جهاز ابنه ودفنه. وجعلت جاریه تسکب علیه الماء لیتهیأ للصلاه فسقط الابریق من یـدها علی رأسه فشـجّه، فرفع رأسه الیهـا فقـالت له: (والکاظمین الغیظ) قال: کظمتُ غیظی، قالت: (والعافین عن الناس) قال لها: عفـا الله عنـک، قـالت: (والله یحب المحسـنین) قـال: أذهـبی فـأنت حره لوجه الله. وقیـل للاسـکندر: ان فلانـاً وفلانـاً ینتقصـانک ویثلبانـک، فلو عاقبتهمـا. فقـال: هما بعـد العقوبه أعـذر فی نقصـی وثلبی. إنَّ مقابله المسـیء بالاحسان اسـلوب فعال من أسالیب العقوبه والردع فی سـیاسه المجتمع وتربیته. رفع هذا الشـعار علی بن أبی طالب (علیه السلام) بقوله: عاتب اخاک بالاحسان إلیه، واردد شـره بالانعام علیه. اِنَّ احتیاج القیاده السیاسـیه للحلم والصـفح أحیاناً کاحتیاجها للعنف والشـده أحایین اُخر; فان الحکمه، تقتضی: أن تتخذ القیاده السیاسیه القرار المناسب لیناً أو شده فی کل واقعه من وقائع السیاسه والحکم. ویمکننا الاشاره الی بعض الفوائد القیادیه والسیاسـیه للحلم: أولاً: ان القیاده السیاسـیه بحاجه الی کثره الانصار والمؤیدین والحد من المسـّببات لذلک، قال الامام علی (علیه السـلام): «أول عوض الحلیم عن حلمه أنَّ الناس أنصاره علی الجاهل». ثانیاً: ان الحلم یـدل علی أفضـلیه الحلیم علی المعتدی ولو من بعض الجهات. وما أحوج القیاده السیاسـیه لان یُشار الیها بالافضـلیه والتقدم. ثالثاً: ان عدداً من الذین تحلم القیاده السیاسیه عنهم یشعرون بانهم المدینون لها وانها المتفضله علیهم وجزاء ذلک أن یکونوا من أعوانها

ومحبيهـا. ان للحلم ايجابيات وفيره، بيـد أنه اذا لم يُحسن الاخـذ به يكون عله لسـلبيات واخطاء لاتُحصـى، ولـذا يصـح أن نقول: خُلُقـان عظيمـان الاغراق فيهما نقص وهوان الحلم والتواضع. فان الاغراق بالحلم والتواضع يسـبب عـدم أخـذ القرارات السياسـيه موضع الجـد والحديّه، ويسـبب كثره الاعتداء عليها، والاقدام على هتكك حريم عزّتها، ولو كان الحلم محموداً فى جميع الحالات لحلم زين العابـدين عن قتله الامـام الشـهيد الحسـين بن على (عليهما السـلام) ولكنه (عليه السـلام) كان شَديـد التحريض عليهم والكشف عن مظـالمهم، وبتحريضه للمختـار الثقفى قُتـل عمر بن سـعد قائـد جيش ابن زيـاد. ومن حالاـت الفرز بين موقع الحلم وموقع الشده والردع يمكننا القول: عاقبوا الضعيف الذى يتبجّح بالشر، واحلموا عن القوى الذى تخجله الاساءه.

السماحه

اشاره

السـماحه هى البـذل فى اليسـر والعسـر عن كرم وسـخاء. وللسـماحه دوافع. فمنهـا التقرب الى الله تبـارك وتعـالى وابتغـاء رحمته ورضوانه لانه تعالى سـخى يحب السـخاء والكرم. ومنها دافع نفسى. ومنها دوافع الشفقه والرحمه بالمعوزين والمستضعفين الذين لا يجدون حيله ولا يهتدون سبيلًا. ومنها طلب الذكر العطر بين الناس. ومنها لشـراء الاصوات الانتخابيه، والتوصل الى منصب فى الدوله الوضعيه، او شبه الوضعيه. وقد يجتمع اكثر من دافع إلى السماحه.

من فلسفه السماحه فى الاسلام

و باعتبـار أن الـدين الاسـلامى يوجه الطاقـات كافه نحو العله الاولى، والغايه الكبرى لـذلك اراد أن يكون الكرم كرماً فى سبيله تعـالى خالصـاً لوجه ذى الجلال والاكرام. يقول تعالى: (من ذا الـذى يقرض الله قرضاً حسـناً فيضاعفه له) [۱۴۱] ، ويقول تعالى: (مثـل الـذين ينفقون فى سبيـل الله كمثـل حبه انبتت سـبع سـنابل فى كل سـنبله مئه حبه والله يضاعف لمن يشاء) [۱۴۲] . ويندد الـدين الاسـلامى بالسـماحه التى تكون فى سبيل اغراض دنيئه ويـذم العطاء من أجل الرياء والشـهره. يقول تعالى: (يا ايها الـذين آمنوا لاـ تبطلوا صـدقاتكم بالمن والاذى كالـذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صـفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صـلداً لا يقدرون على شـىء مما كسـبوا والله لا يهدى القوم الكافرين) [۱۴۳] ، صـفوان: حجر املس، واحدته صفوانه. ولمـا كـان الاسـلام ينظر الى الثروات على اَنهـا طـاقه عـاليه فـاعله فى الحيـاه حرص على ان يصب هـذه الطاقه فى مسار نظيف، ومرتع خصب، للخير، والفضـل، والرحمه، والكرامه، والسـناء والشـمم. فمن موارد توزيع المـاليه فى نظام الاسـلام بشـرط ابتغاء رضوان الله ما قاله الامام على (عليه السلام) كما فى نهج البلاغه: فمن آتاه الله ما لا فليصل به

القرابه، وليحسن منه الضيافه، وليفك به الاسير والعانى، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب; فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، ودرك فضائل الاخره ان شاء الله. ومن واجبات النظام السياسى فى الاسلام تربيه المجتمع تربيه حره كريمه معطاء، ولهذا اعتبر السخاء ما كان ابتداءً،اما ما كان عن مسأله فحياء وتذمم [۱۴۴] على حد تعبير الامام على (عليه السلام). ذلك لتخلص النيه فى الكرم والعطاء ابتداءً من اى باعث من البواعث غير النزيهه، ولكى يبادر الكريم بالعطاء دون تردد، ومن اجل ان يبقى المحتاج محتفظاً بماء وجهه.

جود النبى وأهل البيت

ولقد بلغ النبى واهل بيته فى الجود والسماحه شأواً بعيداً، وكطبيعتهم فى المسارعه الى كل الفضائل ادركوا قصب السبق فى السماحه والكرم. فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اعطى سفانه بنت حاتم من الانعام ما وصف بانه يسد ما بين جبلين. واشتهر بين مفسرى القرآن الكريم اَن هذه الايه نزلت فى على (عليه السلام): (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصَلاه ويؤتون الزكاه وهم راكعون) [۱۴۵] . وبعلى وفاطمه والحسن والحسين صلوات الله عليهم اشاد القرآن العزيز: (ويطعمون الطعام على حبه [۱۴۶] مسكينا ويتيماً واسيراً - انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) [۱۴۷] .

جود زين العابدين

وكان الامام زين العابدين (عليه السلام) يشترى المماليك، فيبرحون عنده قليلا ثم يعتقهم. وفى المجالس السنيه عن الباقر (عليه السلام) انه كان يخرج فى الليله الظلماء يحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام والحطب حتى يأتى باباً باباً فيقرع ثم يناول من يخرج إليه، وكان يغطى وجهه اذا ناول فقيراً لئلا يعرفه. فلما توفى (عليه السلام) فقدوا ذلك فعلموا انه كان على بن الحسين. وفى خبر انه كان اذا جنّه الليل وهدأت العيون قام الى منزله فجمع ما يبقى فيه من قوت اهله وجعله فى جراب ورمى به على عاتقه وخرج الى دور الفقراء وهو متلثم ويفرّق عليهم، وكثيراً ما كانوا قياماً على ابوابهم ينتظرونه، فاذا رأوه تباشروا به وقالوا: جاء صاحب الجراب. وقال الزهرى: لما مات زين العابدين (عليه السلام) فغسلوه وجد على ظهره محل فبلغنى انه كان يستقى لضعفاء جيرانه بالليل... وكان يعجبه ان يحضر طعامه التيامى والاضرّاء والزمنى [۱۴۸] والمساكين الذين لا حيله

لهم. وكـان ينـاولهم بيـده ومن كـان له عيـال حمـل الى عياله من طعامه... وكان اذا اتاه سائل يقول: مرحباً بمن يحمل زادى الى الاخره [۱۴۹] . وعمله الاخير هذا مستند الى قول الامام علىّ (عليه السلام): واذا وجدت من اهل الفاقه من يحملُ لك زادك الى يوم القيامه. فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمّله اياه، واكثر من تزويده وانت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده.

عود الى فلسفه السماحه

وفى صنع على بن الحسين (عليه السلام) وفى وصيه الامام على ما يؤكد مره اخرى نظره الاسلام فى ان الجود لابد ان يكون جوداً نزيهـا خالصا، ولعمرى. أنّ فى مفاهيم الاسلام ان درهما ينفق فى سبيل الله خير من جنات وعيون وزروع واموال تنفق رئاء النـاس، ولقـد اُنزلت آيه فى كتـاب الله العزيز بحـق جـود الامـام على (عليه السـلام) (الـذين ينفقـون اموالهم بالليـل والنهـار سـرّا وعلانيه) [۱۵۰] ومـا هى الا اربع دراهم انفقهـا على الترتيب الـذى ذكره الكتـاب الكريم. غير ان القليل فى سبيل الله تعالى كثير وافر. حسبنا من نزاهه الكرم والسـماحه فى الاسـلام ان فى مفاهيمه: صـدقه الليل تطفئ غضب الرّب. وكانت بيوتات فى المدينه المنوره يؤتى لهم ليلاً وفى وضع سرى بالارزاق ولا يعرفون من يأتيهم بها حتى توفى زين العابـدين (عليه السـلام). ومن الوجهه السياسيه فى الاسـلام أن مجرد اتصـاف انسـان بالبخـل لينفى عنه الصـفه القياديه، وان توفرت فيه الخصائص الاخرى. ومن ادلتنا على ذلـك الايات القرآنيه المباركه التى تـذم البخل وتنـدد بالبخلاء، كقوله تعالى: (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه...) [۱۵۱] ، وكقوله تعالى: (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامه) [۱۵۲] . ولان البخيل يسىء الظن بالله، إذ لولا ذلك لم يبخل.

ولا ـ يُعقـل ان يكون الحـاكم بـاسم الله مسيئاً الظن بالله. وقال الامام على (عليه السـلام): عجبت للبخيل يسـتعجل الفقر الـذى منه هرب، ويفوته الغنى الذى اياه طلب; فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب فى الاخره حساب الاغنياء. وفى روايه معتبره السند عن ابى جعفر الاول محمد الباقر (عليه السـلام) رواها عنه ابو بصـير: قلت لابى جعفر «الباقر»: كان رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) يتعوذ من البخـل؟ فقال: نعم يا أبا محمـد فى كل صـباح ومساء ونحن نتعوذ بالله من البخل. ان الله يقول: (ومن يوق شـحَّ نفسه فاولئك هم المفلحون) [۱۵۳] . ولقد أقال رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) الجد بن قيس زعيم بنى سلمه من منصبه بسـبب بخله، وقال فى ذلك: اى داء ادوى من البخل؟! وذلك لمّا قيل له: اَن لا عيب فى الجد بن قيس سوى البخل. مع ان الجد بن قيس لم يكن قائـداً الا لشـريحه اجتماعيه قليله العدد. اذاً كيف يكون الحال لو كان مرشـحاً لقياده دوله اسـلاميه. لا ريب إذن يكون التاكيد على اقصائه من المنصب الالهى المقدس يأتى بصوره اقوى واجلى.

الفصاحه

اشاره

يقع الكلاـم هنا على ثلاثه محاور. المحور الاول حول مفهوم الفصاحه. المحور الثانى فصاحه اهل البيت عموماً و الامام على زين العابدين خصوصاً مع مثال طويل من فصاحته. المحور الثالث ما بين السياسه والفصاحه.

تفصيل البحث

مفهوم الفصاحه إذا قيل فصح اللبن فصـحاً وفصاحه فمعنى ذلك أنه اصبـح خالصا نقياً مما يشوبه. ومن هذا المنطلق يكون معنى الفصـاحه اجـاده الكلاـم وجمـاله وخلوه من كل ما يشوب من العجمه وضـعف العباره وقصور التأليف. واذا قلنا: فصاحه المتكلم يضـاف الى الاـمور السـابقه قـدرته على النطق والاـداء بشـكل صـحيح من دون وجود حاجز يمنعه كالفأفأه والتأتأه وغيرهما. اذن الفصاحه هى القوه فى تبيين الرأى بلفظ عربى اصـيل، وايقاع جميل. كما اَن اشراق الفكره، ووضوح الرؤيه، والخلفيه العلميه، من مرتكزات الفصاحه.بيد اَنه ليس كل عالم يعد فصـيحاً، طلق اللسان. فاذا كان ذا علم غزير، وفكر ثاقب، غير انه لا يستطيع الكشف عن فكره والابانه عن علمه فلا ينبغى ان يُذكر فى الفصـحاء. ولو قلنا بفصاحته نظراً لبعض الجهات فلا يمكن نعته بالافصح، ولذا نرى موسـى (عليه السـلام) مع ماله من العلم النبوى والفكر الرسالى يقول ـــ نظراً لعقده فى لسانه ـــ (عليه السـلام) (واخى هارون هو افصـح منى لسانا) [۱۵۴] . ان السـرعه فى توارد الافكـار وتـبيين المطـالب من غير تردد تعـد من اجود البيـان، ومن الفصـاحه بمكـان. اراد ثـابت قطنه الخطبه فى البصـره فى يوم الجمعه فحصـر واعيـاه الكلاـم، ونزل عن المنبر وهو يقول: فان لم اكن فيكم خطيبـاً فاننى بسـيفى على ظهر الجواد خطيبُ فقال الناس: لو تكلم بهـذا وهو على المنبر لكان من اخطب الخطباء. وفعلا لم يكن ثابت من اخطب الخطباء لان الفصاحه قد تخلفت عنه

فی الوقت المناسب. ان السرعه فی توارد الافکار فیما اذا اراد المتکلم الارتجال امام الملا ـ اما اذا اراد الکتابه فلا ـ دلیل علی فصاحه کلامه من حیث السرعه فی انهمار الافکار.

فصاحه اهل البیت عموماً و زین العابدین خصوصاً

والمصطفی محمد (صلی الله علیه وآله وسلم) واهل بیته الکرام من افصح العرب واجلاهم بیانا. یقول (صلی الله علیه وآله وسلم): أنا افصح من نطق بالضاد بید انی من قریش. ویقول الامام علی (علیه السلام) کما فی نهج البلاغه: وانّا لَأمراء الکلام، وفینا تنشبت عروقه، وعلینا تهدلت غصونه. ولو لم تکن لعلی من الاثار الاّ خطبه الاشباح التی ارتجلها، والاّ عهده لمالک الاشتر لکان المثالان دلیلین علی أنه من اهل بیت هم أمراء الکلام حقاً. وخطبه الاشباح هی التی ارتجلها حینما قیل له صف لنا ربک. وهی التی اولها: الحمد لله الذی لا یفره المنع والجمود [۱۵۵] وهی طویله وکأفصح ما یکون الکلام وکأنه اعدها منذ اعوام. وذکر الامام علی (علیه السلام) مقارنه بین بنی هاشم وبین بنی عبد شمس کانت الفصاحه فیها الی جانب بنی هاشم. وهذه المیزه للهاشمیین عامه فضلاً عن اهل البیت (علیهم السلام) خاصه الذین هم افصح الهاشمیین کما تدل علی ذلک الاثار التاریخیه والادبیه. وهذا الامام علی بن الحسین زین العابدین (علیهما السلام) شدَّ جیلاً من الناس الی دینهم ووثق صله الارض بالسماء، واحکم الارتباط بالخلق الرفیع عن طریق بلاغته الساحره، وفصاحته السامیه، التی تتعلق بها القلوب، وتنشد لها الطباع، وتعشقها الارواح، وترتشفها الاذواق السلیمه; لما بها من رونق واصاله، ووضوح وسلاسه، وصدق وعمق وانسجام.. وان ذلک لواضح این ما تصفحنا صحیفته السجادیه ورسائله وما صحَّ من تراثه البارع الجمیل. والحقیقه ان الادله علی ذلک کثیره غنیه، فاین ما

تتبعنا نتاجاته الادبيه، وتراثه المجيد تكشفت لنا ملكات عجيبه، وازددنا ايماناً بقدره هذا الامام على الفصاحه والبلاغه قدره تنساب كشعاع الشمس فى كل حدب وصوب. تصبغ الحياه بصبغتها وتألقها، وتمنح القوه والجمال، لتبنى الانسان بناءً اسلامياً وحضارياً خالصاً. ولقد كتبنا بحثاً طويلاً فيما يتعلق بأدب الامام زين العابدين (عليه السلام)، وكان من المقرر منهجياً أن يكون ضمن الكتاب الكبير عن الامام زين العابدين (عليه السلام)، ثم رأينا ان يستقل بنفسه فى كتاب آملين اَن يساهم بقدر ما فى اعطاء الامه لوناً حضارياً زاهياً، من الوان حضاره آبائها الكرام، وفيضاً ثرّاً من تراثها الخالد. واليك الان مثالاً مهمّاً للتدليل على فصاحه الامام زين العابدين (عليه السلام)، تلك الفصاحه النادره، وللتفصيل محل آخر.

فى دفع كيد الاعداء ورد بأسهم

الهى هديتَنى فلهوتُ، ووعظتَ فقسوتُ، وابليتَ الجميل فعصيتُ ثم عرفتُ ما اصدرتَ اذ عرّفتنيه، فاستغفرتُ فاقلتَ فعدتُ فسترتَ، فلك الحمد. الهى تقحمتُ اوديه الهلاك، وحللت شعابَ تلف تعرّضتُ فيها لسطواتِكَ وبحلولها عقوباتكَ، ووسيلتى اليكَ التوحيدُ، وذريعتى اَنّى لم اشرك بك شيئا، ولم اتخذ معك اِلها، وقد فررتُ اليكَ بنفسى، واليك مفرُّ المسىء. ومفزَعُ المضيّع لِحظِّ نفسه الملتجئ. فكم من عدوّ انتضى عَلىَّ سيف عداوتِهِ، وشحذَ لى ظُبَةَ مُديَتِهِ وارهق لى شبا حده، وداف لى قواتل سُمُومِهِ، وسدّدَ نحوى صوائِبَ سهامه، ولم تَنَمْ عنى عين حراسته، واَضْمَرَ اَن يسومَنى المكروهَ، ويجرعنى زُعاقَ مرارته، فَنَظَرتَ يا الهى الى ضعفى عن احتمال الفوادح، وعجزى عن الانتصار مِمّن قصدنى بمحاربته، ووحدتى فى كثير عدد مَنْ ناوانى وارصد لى بالبلاء فيما لم اُعْمِل فيهِ فكرى، فابتَدَأتَنى بنَصْرِكَ وشددت ازرى بقوتك ثم فللتَ لى حده، وصيرته من بعدِ جمع عديد وحدَهُ، واعليتَ كَعْبى عليه، وجعلت ما سدّده مردوداً عليه،

فرددتَهُ لم يشفِ غَيظَهُ، ولم يسكن غليله، قد عضَّ على شواهُ، وادْبَرَ مُوَلّيا قد اَخلَفَتْ سراياه. وكم من باغ بغانى بمكائِدِهِ، ونَصبَ لى شَرَكَ مصائدِهِ، ووكَّل بى تفقُّدَ رعايتِهِ، وأضبَأَ اِلىَّ اِضباءَ السبع لطريدته، انتظاراً لانتهاز الفرصه لفريسته، وهو يظهر لى بشاشه الملق، وينظرنى على شدّه الحنق. فلما رأيتَ يا الهى تباركت وتعاليت دَغَلَ سريرتِهِ، وقبح ما انطوى عليه، اركستَهُ لامِّ رأسِهِ فى زُبيَتِهِ ورددتَهُ فى مهوى حفرته من بعد استطالتِهِ ذليلاً فى رِبقِ حبالتِهِ التى كان يقدِّرُ اَن يرانى فيها، وقد كاد اَن يَحُلَّ بى لَولا رحمتك ما حلَّ بساحتِهِ. وكم مِن حاسد قد شرق بى بغصّتِهِ وشجى مِنّى بِغَيظِهِ وسلقنى بحدِّ لسانِهِ، وَوَحَرَنى بِقَرْفِ عيوبه، وَجَعَلَ عِرضى غرضاً لمراميه، وقلّدنى خلالاً لم تزل فيه، ووحرنى بكيده، وقصدنى بمكيدته، فناديتك يا الهى مستغيثاً بك، واثقاً بسرعه اجابتك، عالماً اَنّه لا يُضطهد مَن أوى الى ظلِّ كنفكَ، ولا يفزع من لجأَ الى معقل انتصارك، فحصّنتنى من بأسِهِ بقدرتِكَ. وكم من سحائِب مكروه جلَّيتها عنى، وسحائِب نعم امطرتها عَلىَّ وجداول رحمه نشرتها، وعافيه البستَها، واعيُنِ احداث طمستَها وغواشى كربات كشفتَها. وكم مِن ظنّ حسن حقَّقْتَ، وعدم جَبَرتَ، وصرعه انعشتَ، ومسكنه حَوَّلتَ، كلُّ ذلك اِنعاماً وتطوُّلاً منك، وفى جميعهِ انهماكاً منى على معاصيك لم تمنعك اساءتى عن اتمام احسانك، ولا حجرنى ذلك عن ارتكاب مساخطك، لا تُسال عمّا تفعل، ولقد سُئِلتَ فاعطيتَ، ولم تُسأل فابتدأت، واستميح فضلكَ فما اكديت. ابيتَ يا مولاى الا احساناً وامتناناً وتطوُّلا وانعاماً، وابيتُ الا تقحُّماً لحرماتك، وتعدياً لحدودك، وغفله عن وعيدك. فلك الحمد الهى مِن مقتدر لا يُغلب، وذى أناه لا تَعْجَلُ، هذا مقامُ من اعترفَ بسبوغِ النعم، وقابلها بالتقصير، وشَهِدَ على

نفسِهِ بالتَّضْييع.

ما بين السياسه والفصاحه

لابـد لنا ــ إتماماً للبحث ــ من أن نلمَّ بالارتباط الوثيق بين الفصاحه والسـياسه، فنقول: يختلف المفهوم القيادى فى الاسـلام عنه فى اكثر الـدول الراهنه فى العـالم، إذ انها تفصل بين العقيـده الروحيه للشـعوب و بين المعتقـدات السياسـيه للـدوله؛ فالقياده فيها معبره عن كثير من مفاهيمهـا السياسـيه المقرره قبلاً، وكثير من مفاهيمهـا المرتجله. ولمـا كـان غير جائز نهائياً فصل السـياسه عن الاسـلام، إذ ان السـياسه من بعض شؤونه، وقسـط من أنظمته الشـامله لكيان الحياه اِذن كان على الامام فى الـدين، أو على القائد الاسـلامى أن يكون داعيه للحيـاه الروحيه، مطبقاً لها، وداعيه للسـياسه الاسـلاميه مطبقّاً لها، ولا يجـدر اصـطناع هوّه ما بين الحياه الروحيه والحيـاه السياسـيه فى نظـام القرآن، وفلسـفه الاسـلام. اذن فـالتوجيه والنصـيحه واجبان على قائـد الـدوله، فهو موجِّه نحو القضايا الروحيه وواعياً لها، وموجّه نحو المفاهيم السياسـيه وناصحاً فى ذلك. ومن هذا المنطلق تكون للقياده الاسلاميه، بل وكل القيـادات السياسـيه التى تسـتند الى عقيـده روحيه أحوج الى الاساليب المؤثره من غيرها؛ لاتساع الاُطُر القياديه لعملها وتحركها، بما فى ذلك اسلوب الفصاحه النادره والبيان العذب، لان لهما قوه جذب، وتأثيراً سحرياً على الاخرين. نعم نحن أحوج إلى إمام عـادل منـا الى إمـام خطيب، أو قائـد فصـيح، كمـا أشـار الى ذلك الخليفه الثالث عثمان بن عفان، غير أن الفصاحه تقوم بالـدور الاسـنادى للعـدل، وبوظيفه الدفاع عن المكاسب الخيِّره، ومكافحه الباطل، والدعوه لسُبُل الخير والنمو والكمال. ولو لا ذلك لما احتاج الخليفه الى تقـديم الاعتذار. اننا فى الوقت الذى نؤكد فيه على اهميه تزود القياده السياسـيه فى الاسـلام من متاع الفصاحه والبيان لنأخذ بنظر الاعتبار بالتفاوت الزمنى بين اُمه واخرى، وعصر وآخر. وكذا

التفـاوت العقلى والـذوقى وفلسـفه الحيـاه. فنحن مثلاـ نحتـاج فى المقطع الزمنى الراهن لمـا نسـمّيه الفصـاحه التربويه، والفصاحه السياسـيه، كما كان فى عصور سالفه حاجه لفصاحه تحقق الانسجام والتناغم مع اللغه والحياه والحقول الفكريه والذوقيه والنفسيه آنذاك. اى لابد أن تكون لكل جيل وعصر فصاحه وبيان يتناسبان والحاجات الفعليه والسلوك العام. لم تزل الفصاحه ميزاناً من موازين التفاضل بين القياديين عند العرب وغيرهم. ولقد حاول فرعون استغلال اللكنه فى لسان النبى موسى (عليه السلام) ليجعل من ذلك ذريعه الى التفوق والاهليه، فقال: (ام انا خير من هـذا الـذى هو مهين ولا يكاد يبين) ناسـياً او متناسـياً الموازين الاخرى للتفاضـل. وفى زمن لاـحق كـان الوليـد بن عبـد الملك مورداً للانتقاد السياسـى والشـعبى؛ اذ لم يتسم بالفصاحه، ولقـد انتقصـه بـذلك حتى بعض رجالات العرش الاموى، بينما كان معاصـره الامام على بن الحسـين زين العابـدين (عليه السـلام) فى الـدرجه العليا من درجات اساليب البيان العربى.

الشجاعه

اشاره

يحظر الاسلام التبعيه، لايه دوله من الدول الوضعيه سواء العلمانيه منها أو غير العلمانيه. ويقرر وجوب الاستقلال فى كافه الاعمده السياسـيه والاقتصـاديه والتعليميه وهلمَّ جرا. ولكن رفض التبعيه، والانقيـاد لوجوب الاسـتقلال الشامـل ليس بالامر اليسـير، بل هو عسير جداً، ويتطلب التضحيات الجسام، ودرجه عاليه من الحزم والعزم وقوه الاراده، كما يتطلب الشجاعه الكافيه فى اتخاذ القرار، ومواجهه التحديات. إذن فالقائد إذا لم يكن شـجاعاً مقداماً فسوف يقع فى قبضات الانظمه الوضعيه جنوحاً منه للذله والاستكانه، واشـفاقاً من القوى المعـاديه، والضـغوط الخـارجيه. كمـا أنه فى حـاله اشـتداد المعـارضه الـداخليه، وتفـاقم مشاكلها سـيتخذ من المواقف ما يتلائم وخور قلبه واستسـلامه، وضعف نفسه، وان أضرَّ ذلك بالمصلحه العامه للشريعه والبلاد. كما ان القائد اذا كان شجاعاً،

جريئاً على الاـهوال، فان ذلك سينعكس، ايجابياً على الانصار والاتباع، وجمله الشعب الخاضع لحكمه، اَما اذا لم يكن شجاعاً فالعكس هو المتوقع. وفى حاله افتقاد القائد للشجاعه المطلوبه; فإنه وفى الظروف الحرجه له، قد يكون مثاراً للاستخفاف به حتى من قبل الخاصه، كما وقع ذلك لبعض القاده والامراء، على مدى التاريخ السياسى العام للانسانيه. ان الخطر عظيم على المستقبل السياسى للبلاد فيما إذا كان القائد مثاراً للاستخفاف، من قبل الخاصه. اريد أن أقول: أحر بمن لم تكبره الخاصه أن تتجرأ عليه العامه. اذن فالشجاعه ليست نعتاً شخصياً مجرداً عن التأريخ الايجابى للدوله بل شجاعه القائد حصن الدوله الحصين، ومعقلها المنيع، وهيبه الوجود العقائدى فى الداخل والخارج.

روافد الشجاعه

تتأتى الشجاعه غالباً من الاسس التاليه: أ ــ الايمان بالقضيه التى يقدم الانسان من اجلها. ب ــ السخط على الوضع المعاش الذى يمارَس ضدّه، وعلى السياسه الحاكمه. جـ ــ قوه الاحتمال. د ــ الوراثه. هـ ــ البيئه الجغرافيه. و ــ الوسط الاجتماعى. اما عن الاساس الاول فإن ايمان اهل البيت بالقضيه العادله التى يضحّون فى سبيلها يفوق حدّ التصور و ما احق ان يكون قول على (عليه السلام) تمثيلاًـ حقيقياً لهذا الايمان «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» ومن يكن هكذا ايمانه فاى شىء يروعه، او يقف حاجزاً دون بلوغ امانيه وتطلعاته. وعمار بن ياسر «تلميذ اهل البيت» ينادى: والله لو ضاربونا حتى ابلغونا سعفات هجر [١٥۶] لعلمنا اَنا على الحق وهم على الباطل. فما ظنك بأهل البيت وايمانهم، ووضوح الرؤيه لديهم، وانكشاف الحقائق عندهم. يقول الامام على (عليه السلام): «والله لو لقيتهم وهم طلاع الارض ما باليت و لا استوحشت». وقال (عليه السلام): «ومن العجب بعثهم الىَّ

ان ابرز للطعان، وان اصبر للجلاد. هبلتهم الهَبول. لقد كنت وما اهدد بالحرب، ولا ارّهب بالضرب، وانى لعلى يقين من ربى، وغير شبهه من دينى» [١٥٧] . واما عن الاساس الثانى فانه ينصرف انصرافاً كليّاً الى عدم الرضا مما يغضب الربّ عزوجلّ، والرفض المطلق لما يشين الاسلام، ويحط من قداسه الروح الدينيه، ويسرق من اَلق العداله. يقول الامام الشهيد الحسين بن على (عليهم السلام): «الا ترون الى الحق لا يُعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه. ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقاً; فانى لا ارى الموت الاّ سعاده، والحياه مع الظالمين الاّ برما». واما عن قوه الاحتمال والصبر على الشدائد فغير بعيد عنك قول على (عليه السلام) كما فى نهج البلاغه: «وانا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد. والله لو اجتمعت العرب على قتالى لما وليت عنها، ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها». ومما يدل على قوه احتمال الامام زين العابدين (عليه السلام) ما جاء عن الامام احمد بن حنبل من انه (عليه السلام) اُلبسَ درعاً ففضل عنه فاخذ الفضله بيده ومزقها [١٥٨] . وانه (عليه السلام) نقل من الكوفه الى دمشق على جمل بغير غطاء و لا ـ وطاء مقيد اليدين فلم يشكك الماً، ولم يئن أَنةً على الرغم من طول الطريق ومشقه السفر وعلى الرغم من أنه كان سقيم البدن فى تلك الايام. واما عن الوراثه فلا ـ ريب أن لها الاثر الجليل فى شجاعه الانسان، وهى تُسكب فى قلوب الابناء من اوعيه الاباء والامهات. ويعتقد الكثير من علماء النفس المعاصرين بتناقل الصفات الوراثيه السلبيه والايجابيه من فرد الى فرد ومن جيل الى آخر، ومن هذه الصفات الشجاعه، والادله التجريبيه على

ذلک کثیره. ومن هنا یُعلم تهافت نظریه المدرسه السلوکیه التی تنفی الصفات الموروثه عن سیکولوجیه الانسان. یقول وطسن مؤسس المدرسه السلوکیه نافیاً کل أثر للوراثه: إئتونی بعشره اطفال فانی اذا اخذت احدهم علی غیر تعیین فسأجعل منه ما شئتم طبیبا او عالماً أو لصاً. واما عن البیئه الجغرافیه فالملاحظ أن ابناء الجبال وسکان الصحاری اشجع فی الغالب من ابناء الحاضره، والسبب الا کبر فی ذلک شظف عیشهم وجشوبه حیاتهم. والمتربون فی الوسط العسکری یمتازون بشجاعتهم فی الغالب علی ابناء المدن. واذا کان الامام زین العابدین (علیه السلام) او اهل البیت عامه من سکان المدن فان الزهد العظیم الذی یمتازون به قد جعلهم یعیشون _ من حیث شظف العیش وجشوبه الحیاه _ کعیش اولئک فی الجبال والصحاری. واما عن الوسط الاجتماعی فالمعروف بین علماء الاجتماع اَنه یلعب دوراً مهما فی التأثیر علی سلوک الاشخاص سلباً او ایجاباً. وکانت الامه الاسلامیه آنذاک امه الشجاعه والاقدام. واذا کانت هنالک روافد غزیره لشجاعتها واقدامها، فانها اکثر توفراً واغزر ماده، بالنسبه لشجاعه اهل البیت بما فیهم الامام زین العابدین (علیه السلام). ولقد اظهر اهل البیت من الشجاعه ما تکبر أن تقاس، بشجاعه احد من الناس، حتی کبار المشهورین بها کعتیبه بن الحارث بن شهاب، وعمرو بن معدی کرب، وبسطام بن قیس، وسلیمان بن صرد. وفی شجاعه الرسول اشتهر قول الامام علی (علیه السلام): «کنا اذا اشتد البأس، واحمرت الحدق لذنا برسول الله فما یکون احد منا اقرب الی العدو منه» [۱۵۹] . وصمم الامام علی بن الحسین (علیهما السلام) ان یخوض حرب کربلاء بالسیف علی مابه من عله شدیده فمنعه الحسین خشیه من انقطاع نسل الرسول الاقدس (صلی الله علیه وآله

وسـلم). وعندما سـيق سـبايا آل الرسول الى الشام حاول يزيد بن معاويه معرفه شـجاعه الامام على بن الحسـين (عليهما السـلام)، وهل احدث قتل ابيه واهل بيته سـلام الله عليهم اجمعين ردّ فعل عنده، وخفض من شـجاعته، وان كان ابن الحسين (عليه السلام) فقال له هل لك ان تصارع ولدى خالداً؟ ويبادر ابن الحسـين (عليه السـلام) للاسـتجابه بدون تردد بشرط ان يسلحه يزيد ويسلح خالداً سـلاحاً مثله. وهنا يصـرح يزيد بشجاعه ابن الحسين (عليه السلام) ويعلق بقوله: هيهات، هل تلد الحيه الاّ الحيه [۱۶۰] . فما كانت محاوله يزيد غير محاوره، لم يخرجها الى حيز التنفيذ، إذ لا يريد لولده الاّ السلامه ولا يروم ان يوقعه بين فكى ليث هصور ذى قوه عاليه، وجرأه ظاهره. فالامام زين العابدين (عليه السلام) هو ابن الذى قاد الثوره العملاقه فى تاريخ الانسانيه، والذى جرد سيفه على رقاب المجرمين ولم يغمـده الاّ فى صـدورهم. لم يكن جبروت يزيـد بن معاويه بالذى يمنع الامام زين العابدين (عليه السـلام) من مجابهته بالحق، وان يسـقيه الزعاف القاتل من الكلمات العنيفه. ونكتفى بسـياق اقصوصه واحـده شاهده على ذلك. دخـل على يزيـد وهـو متكئ على منـبر السـلطه. يزيـد: كيـف رأيـت يـا على بن الحسـين؟ يعنى بـذلك كيـف رأيت الله نصـرنا وخذلكم؟ على بن الحسـين: رأيت ما قضاه الله عزوجلّ قبل ان يخلق السماوات والارض. ويكلم يزيد مستشاريه. فيما يصنع بعلى بن الحسـين. المسـتشارون: اقتلهُ. لا تتخذ من كلب سوء جروا. الامام على بن الحسـين (عليه السـلام) وهو يخاطب يزيد باسـمه لا بالخلافه ليبين عدم شرعيته فى الخلافه قائلاً: يا يزيد لقد اشار عليك هؤلاء بخلاف ما اشار جلساء فرعون عليه حيث شاورهم فى موسى وهارون،

فـانهم قالوا له: اَرجه واَخاه [۱۶۱]، وقـد اشار عليک هؤلاء بقتلنا ولهذا سـبب. يزيد: وما السـبب؟ الامام على بن الحسـين (عليهم السلام): ان اولئک کانوا رشده، وهؤلاء لغير رشد، ولا يقتل الانبياء واولادهم الا اولاد الادعياء.

المحبه فى قلوب المؤمنين

اشاره

الحب هو المعبر الحقيقى عن الولاء، والالتزام بالاوامر، کما ان الولاء والالتزام الحقيقيين بالاوامر هو المعبر الحقيقى عن الحب. ان کـل ولاء أو التزام لا يُفصح عن الحب، وکل حب لا يفصح عن الولاء والالتزام مظهر زائف، وادعاء کـذوب. يحکم القائد العام امه من الناس قلّت او کثرت، فلابد له اذاً من طائفه معينه تکنّ له الحب الصادق، وتمتثل اوامره امتثالاً کاملاً. وهو عن طريق کفاءته الـذاتيه، وعن طريقهم. يتصـدى لقهر المتعصبين من اعـدائه فى الـداخل. وعن طريق مجمل القوه الـداخليه يتصـدى لقهر اعـدائه فى الخارج. اذاً فالعله الکبرى، او من العلل الرئيسـيه على الاقل، فى قـدره القائد العام على التصدى للمناوئين خارج دائره حکمه انما هى وجود القوه الداخليه، ولقد علمنا ان قسـطاً من القوه الداخليه انما يخضع بواسـطه الذين تنطوى قلوبهم على الحب الصادق؛ فهم العله الکبرى، او من العلل الرئيسـيه على الاقل فى طاعه الاخرين من اعـداء الـداخل. ان هؤلاء المحبين هم القاعده الشـعبيه الاولى للقائد العام، والرکن الرکين فى کل تقدم وازدهار يناله البلد، ويخدم العقيده، وبهم يسـتتب الامن والاسـتقرار فى المنطقه بشـکل مباشـر وغير مباشـر. واذا مـا عرفنـا القيمه السياسـيه وغير السياسـيه للحب تتجلى امامنا صور توضـيحيه عن الايات القرآنيه والاحاديث الکثيره التى تؤکد على الحب، وليس غرضنا التفصيل فى ذلک ولکننا سوف نشير إلى شىء منه: من المسلّم به ان مودتهم اجر يتلقاه صاحب الرساله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقاء

تبليغها، وذلك بنص الذكر الحكيم. يقول تعالى: (قل لا اسألكم عليه اجراً الا الموده فى القربى ومن يقترف حسنه نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور) [١۶٢] . وقد اخرج الحافظ السلفى عن محمد بن الحنفيه صلوات الله عليه أنه قال فى تفسير هذه الايه: (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا): لا- يبقى مؤمن إلاّ-وفى قلبه ودّ على واهل بيته. وصحّ ان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبونى لحب الله عزّوجلّ واحبوا اهل بيتى لحبى». وذكر ابن الجوزى: لهذا فى العلل المتناهيه وهم. واخرج البيهقى وابو الشيخ والديلمى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه، وتكون عترتى احب اليه من نفسه، ويكون اهلى احب اليه من اهله وتكون ذاتى احب اليه من ذاته». واخرج الديلمى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ربّوا اولادكم على ثلاث خصال، حب نبيكم وحب اهل بيته، وعلى قراءه القرآن والحديث». وصح ان العباس رضوان الله عليه شكا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يلقون من قريش من تعبيسهم فى وجوههم، وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب (صلى الله عليه وآله وسلم) غضباً شديداً حتى احمر وجهه، وعرق ما بين عينيه وقال: «والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله». وفى روايه صحيحه ايضاً: «ما بال اقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من اهل بيتى قطعوا حديثهم. والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى» [١۶٣] .

وقد روى جابر بن عبدالله الانصارى (رحمه الله) قال: جاء اعرابى الى

النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فقال: یا محمد، اعرض علیَّ الاسلام. فقال (صلی الله علیه وآله وسلم)، تشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شریک له، وان محمداً عبده ورسوله. قال: تسألنی علیه اجراً؟ قال (صلی الله علیه وآله وسلم): لا... الا المودّه فی القربی. قال: قربای او اقرباؤک؟ قال (صلی الله علیه وآله وسلم): قربای. قال الاعرابی: هات ابایعک. فعلی من لا یحبک ویحب قرباک لعنه الله. قال (صلی الله علیه وآله وسلم): آمین.

من علل حب أهل البیت

یحب المسلمون اهل البیت لانهم المثل الاعلی للدین الاسلامی. یحب المسلمون اهل البیت لانهم اشد من یضحی فی سبیل المبادئ. یحب المسلمون اهل البیت لانهم حمله ألویه کل علم وسداد وصلاح وخیر وانسانیه ونقاء. ولقد جُبل الانقیاء بشکل خاص علی حب اهل البیت. وانعقدت علیه ضمائرهم. یقول احد المعاصرین: جبلنا علی حب النبیِّ وآله کما الفطره البیضاء فی الطفل تجبلُ [۱۶۴] ولو واجهتهم الصعاب الشداد علی ان ینفصلوا، عن حبهم لما تحقق الانفصال فی ای شکل من الاشکال. ولو قلنا: ان الصعاب الشداد لم توجه الیهم من قبل اعدائهم بل توجهت الیهم من قبل اهل البیت بالذات، اذن لما اختلفت النتیجه، ولکانت القضیه فی الحالتین قضیه واحده. یقول علی بن ابی طالب (علیه السلام) کما فی نهج البلاغه «لو ضربت لو ضربت المؤمن بسیفی هذا علی أن یبغضنی ما ابغضنی». ان من ادل الادله علی الحب الصادق الذی یکنه المؤمنون لاهل البیت ذلک الکم الجماهیری الذی خرج مسرعاً علی اِثر اطلاعه علی قدوم الامام علی بن الحسین زین العابدین (علیهما السلام) وموکبه المقدس من ارض کربلاء الی مدینه الرسول. وها هو علی قرب من المدینه. لقد شرق

المستقبلون بـدموعهم، واكتووا بنـار الامهم واشـجانهم لمظلوميه الامام الحسـين وآل الحسـين. وماهى الا فتره وجيزه حتى رفعوا حرابهم بوجه السـلطه معلنين الثوره المسـلحه التى تعرف بثوره اهـل المـدينه. ومن الاـدله ايضـاً ما كان من تلك المحنه المحزنه الفاجعه، حيث انتقل الامام زين العابدين (عليه السـلام) الى الرفيق الاعلى، وخبت جذوه العشق الالهى. لقد هب المجتمع المدنى لتشـييع الجثمان الطاهر. لم يشـغلهم شاغل، ولم يروا لاحد تخلى عن تعظيم هذا الشـعار المقدس، تشييع الامام على زين العابدين (عليه السـلام) من عذر. ولما خرج كل من فى المسجد للتشييع ولم يبق فيه الا سعيد بن المسيب يصلى، حينئذ كان سعيد موضعاً للدهشه والاسـتغراب من جراء التصـرف المذكور، وهو انشغاله بصلاه مستحبه يستطيع الاتيان بها فى وقت آخر عن تعظيم شعيره من شـعائر الله. حتى قال على بن زيـد التيمى: قلت لسـعيد بن المسـيب: انك اخبرتنى ان الامام على بن الحسـين (عليهم السـلام) النفس الزكيه وانـك لا تعرف له نظيراً. قال: كـذلك، وما هو مجهول ما اقول فيه، والله ما رؤى مثله. قال على بن زيـد: فقلت: ان هذه الحجه الوكيده عليك يا سـعيد فلم لم تصلِّ على جنازته [۱۶۵] . ومن الادله على التعلق الشديـد والحب الصادق ما كان من قصه الاـمواج البشـريه الـتى ترتـاد الـبيت العـتيق، والتى مـا ان رأت الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) يهمّ ان يشقّ طريقه حتى انفرجت له وافترقت. (فكـان كل فرق كالطود العظيم) [۱۶۶] . بينا كان هشام بن عبـد الملك محتفظاً بموطئ قـدم له، منتظراً ان يخف الزحام ليؤدى مناسك الحج. واذا كانت القصه الاولى والثانيه «اسـتقبال الامام زين العابدين (عليه السلام) وموكبه، وتشييع جثمانه» للتدليل على الولاء الاكيد، والحب

العميق قـد وقعتا ضـمن اطار المجتمع المدنى فان القصه التى وقعت فى موسم الحج اوسع من كليهما بكثير، اذ تتقاطر الوفود الى البيت العتيق من مختلف بقاع العالم الاسلامى ويأتون (رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميق) [١٦٧] .

الامامه صرح السياسه

بين يدى البحث

لقـد وردت نصوص روائيه وتـاريخيه كثيره جـداً عن الامـام على زين العابـدين (عليه السـلام) فيما يتعلق بالامامه والائمه. وهـذه النصوص واضحه بينه من حيث المتون، واما من حيث السند فان بعضها معتدّ به ومعتبر سنداً. ان الحصيله التى يخرج منها الباحث هى ان الامام زين العابدين (عليه السلام) لم يترك الحديث عن الامامه، أو تحديد الموقف الشرعى منها، أو يدعها سدىً. بل قد شرح فكرتـه حولهـا، واعرب عن النصـوص الـتى تلقاهـا عن رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) والامـام على بن ابى طـالب والصـديقه فـاطمه الزهراء والامـامين الهمـامين الحسن والحسـين (عليهم السـلام). ان قضـيه الافصـاح عن الامامه والائمه من مثل الامام زين العابدين امر يتّسق والمنطق، ويتناغم والفكر الرسالى الذى يحمله الامام (عليه السـلام)، اذ ان مسأله الامامه مسأله بالغه الاهميه، وخطيره جداً، فليس المتوقع من مثله وهو الاب الروحى، والقائد الرسالى، والحريص على المصـلحه العامه للمسـلمين ان لاـ يتعرض لها، ويشـخص معالمها. ولما كانت الامامه الكبرى [١٦٨] اعلى المناصب السياسـيه فى الاسـلام بعد النبوه، إذاً لابدّ ان يعـدّ الحـديث عنهـا حـديثاً عن الفكر السياسـى فى الاسـلام، والتعرف عليهـا تعرفـاً على جـوهر متميز من جـواهر فلسـفه الاـداره والحكم. ومن هـذا المنطلق تكلمنـا ــ بشـكل وجيز ــ قبـل الـدخول الى صـميم البحث عن الامامه فى اللغه، والامامه فى القرآن الكريم، والامامه فى الاصطلاح السياسى.

الامامه فى اللغه

الامـام ما ائتم به من رئيس وغيره، والجمع أئمه، وفى التنزيل العزيز (فقاتلوا أئمه الكفر)، أى قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم. قال ابن سيـده: (وجعلناهم أيمه يدعون الى النار) أى من تبعهم فهو فى النار يوم القيامه... الجوهرى: الامام: الذى يقتدى به وجمعه أيمه. وامام كل شيء قيّمه والمصلح له، والقرآن

امام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امام الائمه والخليفه امام الرعيه، وامام الجند قائدهم. وهذا ايمّ من هـذا، وأومّ من هـذا اى احسن امامه منه، وامعت القوم فى الصلاه امامه. وائتمّ به اى اقتدى به، والامام المثال. قال النابغه: أَبوه قبله وابو أبيه بنوا مجد الحياهِ على إمامٍ ... والامام الخيط الـذى يمـدّ على البناء فيبنى عليه، ويسوى عليه ساف البناء وهو من ذلك قال: وخلّقته حتى إذا تمّ واستوى كَمخّه ساق أو كمتن إمام اى كهذا الخيط الممدود على البناء فى الامّلاس والاستواء يصف سهما... وفى الصحاح الامام خشبه البنّاء يسوى عليها البناء. وامام القبله تلقاؤها، والحادى امام الابل وان كان وراءها لانه الهادى لها. والامام الطريق [۱۶۹] .

الامام فى القرآن الكريم

يختلف استعمال القرآن الكريم للفظ الامام بين مورد وآخر كما فى الايات الاتيه، فتاره يستعمله بالمعنى اللغوى، وتاره يستعمله بالمعنى السياسى. فمثال المعنى اللغوى قوله تعالى: (ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمه) [۱۷۰] ، أى قدوه ومثال ينبغى ان يحتذى. ومن المعنى اللغوى قوله تعالى: (وان كان اصحاب الايكه لظالمين - فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين) [۱۷۱] ، أى بطريق واضح. وقال تبارك وتعالى: (وكل شىء احصيناه فى امام مبين) [۱۷۲] ، والمقصود به اللوح المحفوظ. ومثال المعنى السياسى قوله تعالى: (ونريد ان نمنَّ على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمهً ونجعلَهم الوارثين - ونمكّن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) [۱۷۳] ودلاله المعنى السياسى فى الايه واضحه لا سيّما مع قرينه (ونجعلهم الوارثين) أى يرثون الارض، ومع قرينه، (ونمكن لهم فى الارض) وقرينه اراءه فرعون وهامان وجنودهما ما يحذرون منهم فانما يتمّ ذلك

مع وجود امامه سياسيه وقياده قويّه متمكنه جديره. وكذا قوله تعالى: (فقاتلوا ائمه الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) [۱۷۴]، أى قاده الكفر وزعماء الضـلاله والانحراف. ومن المعنى السياسـى قوله تعالى: (وجعلنا منهم أئمةً يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [۱۷۵].

الامامه فى الاصطلاح السياسى

الامـامه فى الاصـطلاح السياسـى تعنى القيـاده الاسـلاميه أو الخلافه، والفـارق مـا بين الامـامه فى اللغه كمـا مرَّ وبين الامـامه فى الاصـطلاح السياسـى انهـا فى اللغه اكثر احـاطه واوسع دائره منهـا فى الاصـطلاح، والتمييز مـا بينهما ليس مستصـعباً لـدى القارئ الكريم. وسوف نسوق عـدداً من الامثله الروائيه والتاريخيه والادبيه شواهد على المقصود، والحكمه من كل ذلك ان نحدد معنى الامامه فى نصوص الامام زين العابـدين وكلماته على ضوء المصـطلح السياسـى والعرفى والخطابى عنـد المسـلمين على مختلف مواردهم ومصـادرهم ومشـاربهم. أولاًـ عقـد البخارى فى صـحيحه باباً بعنوان (بطانه الامام واهل مشورته). ومما جاء فيه «... عن ابى سـعيد الخدرى عن النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم): ما بعث الله من نبيّواستخلف من خليفه إلّا كانت له بطانتان بطانه تأمره بـالمعروف وتحضّه عليه، وبطـانه تـأمره بالشـر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى» [۱۷۶]. ثانيـاً: كما عقـد البخارى باباً بعنوان (كيف يبـايع الامـام الناس) [۱۷۷]، والمراد من الامـام الخليفه لاـنه الـذى يبـايع. ثالثـاً: روى مسـلم فى كتـاب الاماره من صحيحه عن رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم): من بايع اماما، فاعطاه صفقه يده، وثمره قلبه، فليطعه ان استطاع، فان جاء آخر ينـازعه فاضـربوا عنق الاـخر. رابعاً: روى الحاكم بسـنده عن على (عليه السـلام) قال: قال رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم): «الائمه من قريش ابرارها امراء ابرارها، وفجارها

امراء فجّارها. وان امّرتُ عليكم عبداً حبشيا مجدّعاً فاسمعوا له واطيعوا» [۱۷۸] . فالتعبير بكلمه امراء وكذلك امرت اضافه الى الامر بالسمع والطاعه كل ذلك يلقى الضوء الاخضر، بل يصرح بالمعنى السياسى من كلمه (الائمه) لا سيما مع تكرار التعبير بالامراء. خامساً: قال الامام على بن ابى طالب (عليه السلام) معلقاً على بعض اخبار السقيفه ابان وقوعها: ما قالت الانصار؟ قالوا: قالت: منا امير ومنكم امير، فقال: فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله وصّى بان يحسن الى محسنهم، ويُتجاوز عن مسيئهم. قالوا: وما فى هذا من الحجه عليهم؟ فقال (عليه السلام): لو كانت الامامه فيهم، لم تكن الوصيه بهم. والامامه فى كلامه (عليه السلام) تعنى بالضروره الامامه السياسيه بقرينه احداث السقيفه، وكذا قول الانصار: منا امير ومنكم امير. سادساً: لما قتل عثمان اجتمع اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المهاجرين والانصار، فيهم طلحه والزبير، فاتوا علياً فقالوا له: انه لابدّ للناس من إمام. قال: لا حاجه لى فى امركم فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مراراً وقالوا له فى آخر ذلك: إنّا لا نعلم احداً احق به منك، لا اقدم سابقه، ولا اقرب قرابه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: لا تفعلوا فانى اكون وزيراً خيراً من أَن اكون اميرا، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففى المسجد فان بيعتى لا تكون خفيه ولا تكون إلّا فى المسجد [۱۷۹] . سابعاً: قال عمار بن ياسر (رضى الله عنه) حول بيعه الامام على (عليه السلام) ابياتاً مطلعها: قال سعد لذى الامام وسعد فى الذى قاله حقيقٌ ظلوم [۱۸۰] . وثم شواهد وادله فى المقام

كثيره جداً لو اردنا ايرادها جميعا روايةً وتاريخاً وادباً لاحتجنا الى تأليف مجلد كامل حول ذلك. ومن هنا يُعلم ان مصطلح الامامه يرادف مصطلح الخلافه. نعم تسمى الشيعه أئمتها الاثنى عشر أئمةً، وإن لم يكونوا بالفعل، وبحسب الواقع الخارجى، قد نالوا الخلافه بسبب جمله من الملابسات السياسيه; وذلك لانها ترى انهم (عليهم السلام) منصوص عليهم بالخلافه وانهم اولى من غيرهم بهذا المنصب الالهى والسياسى الخطير. وممن يؤكد على الوحده الاتساقيه أو التماثل المعنوى بين الامامه والخلافه العلامه ابن خلدون إذ يقول: وإذ قد بيّنا حقيقه هذا المنصب، وانه نيابه عن صاحب الشريعه، فى حفظ الدين وسياسه الدنيا به تسمى خلافه أو امامه، والقائم به خليفه أو امام. ويذهب الماوردى الى نفس الرأى حين يعرف الامامه بانها خلافه النبوه فى حراسه الدين وسياسه الدنيا. ويتابعه رشيد رضا فيقول فى كتابه الخلافه أو الامامه العظمى: الخلافه والامامه العظمى واماره المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد. ويفسر الشيخ ابو زهره الترادف بين اللفظين بقوله: ان المذاهب السياسيه كلها تدور حول الخلافه، وهى الامامه الكبرى; وسمّيت خلافه لان الذى يتولاها، ويكون الحاكم الاعظم للمسلمين، يخلف النبىَّ فى اداره شؤونهم، وتسمّى الامامه لان الخليفه كان يسمى اماماً، ولان طاعته واجبه، ولان الناس كانوا يسيرون وراءه، كما يصلون وراء من يؤمهم فى الصلاه [١٨١] .

المكونات الاسلاميه العامه للاصطلاح السياسى

عرفنا ما هو المقصود من كلمه الامام والامامه حسب الاصطلاح السياسى المتداول بين المسلمين، وأن لفظ الخلافه ولفظ الامامه مترادفان، ومن نسيج واحد. ولكن هل أن المكونات الحقيقيه لهذا الترادف مكونات شيعيه فحسب، أى ان الايدى التى حاكتها ايدى فرقه الشيعه، ام انها اسلاميه عامه لا علاقه لها بطائفه دون اخرى؟ يقول احد الاعلام المعاصرين: يبدو

ان للشيعه يداً إذ يعتبر التشيع اهمّ انشقاق فى التنظيم السياسى للدوله الاسلاميه، فلقد كانوا يمثّلون اقوى احزاب المعارضه للحكومه القائمه، ليس فقط لكثره عددهم إذا قورنوا بالخوارج وانما لاستناد التشيع الى اساس عقائدى أو ايديولوجى فى الكلام. وتنشأ النظريات السياسيه عاده من احزاب المعارضه، التى لا تكتفى بموقف سلبى من الحكم القائم وانما تقدّم نظريه متسقه فى اصول الحكم، وتقع تبعه ذلك فى الاسلام على عاتق الشيعه. يقول ابن النديم: ان اول من تكلم فى مذاهب الامامه، والّف فى ذلك على بن اسماعيل بن ميثم التمار، وله من الكتب كتاب الامامه وكتاب الاستحقاق. ويقول عن هشام بن الحكم: هو الذى فتق الكلام فى الامامه وهذّب المذهب وسهّل طريق الحجاج فيه [١٨٢] .

على دفه الحوار

ولنا حوار مع الاستاذ الكاتب ينصب على هذه الجهات: الجهه الاولى: اعتقد انه من غير الصحيح أو الدقيق ان يُعبّر عن معارضه الشيعه للحكم القائم مثل الحكم الاموى أو العباسى انشقاقا، لان المفهوم السياسى للانشقاق فى التنظيم السياسى للدوله ان تنشق جماعه كانت تعد جزءاً من الدوله، وعضواً من اعضائها عنها. ومثال ذلك انشقاق الضحاك بن قيس الفهرى صاحب وقعه مرج راهط سنه خمس وستين عن الدوله الامويه، ومثل انشقاق يزيد بن المهلب بن ابى صفره عنها أيضاً سنه احدى ومئه واثنتين ومئه وهكذا. وكان هذان الرجلان يعدّان منها فى الصميم بل من كبار قادتها وعظمائها. اما الشيعه فان التاريخ السياسى يؤكد ــ وبشكل صريح وواضح ــ انها لا تؤمن بالحكم القائم سواء الاموى أو العباسى، ولا تضفى عليه الشرعيه ولا تعتبره اسلامياً ومن ثم فهى ليست جزءاً من التنظيم السياسى للدوله. الجهه الثانيه: لقد تأثر المسلمون عامه من الشيعه ومن

غيرهم بالقرآن الكريم، واخذت مداليله السياسيه والفكريه وحتى تعابيره تشيع فيما بينهم على اصعده متفاوته. ومن هنا نريد ان نقول: ان ماده الامامه والخلافه فى مدلولهما السياسى وباللفظ المذكور _ وبغض النظر عن المداليل الاخرى _ قد وردا عده مرات، وقد اشرنا الى قسم منها. ومن ذلك قوله تعالى: (يا داود انا جعلناك خليفه فى الارض فاحكم بين الناس بالحق)، وقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض). وهكذا ما ورد عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الروايات التى تتضمن كلمه خليفه أو امام. إذاً أصل التأثر وأصل التكوين للّفظتين قرآنىّ ونبوى، والقرآن الكريم ونبوه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للمسلمين جميعاً. لا فرق فيهما بين طائفه وطائفه. الجهه الثالثه: يرى المؤلف الفاضل ان النظريات السياسيه للشيعه قد نشأت من معارضتهم للحكم القائم، اى انها مجرد انعكاس للواقع السياسى أو ردّ فعل له. وهذا امر غريب، وبعيد عن الموضوعيه; وذلك لان قوى المعارضه الشيعيه _ حسب وثائق التاريخ السياسى _ انما تبلورت وانتظمت وانبثقت بسبب افكار الشيعه ونظريتهم حول الحكم والحاكمين. ففى عقيدتهم ان الحكم الذى لا يستند الى الاصول الاسلاميه فى العداله، واصلاح البلاد، ورعايه الامه... الخ وان الحاكمين الذين لا يتوفرون على الشرائط الموضوعيه فى الاهليه القياديه تجوز أو تجب معارضتهم ورفع السلاح بوجه الحكم والحاكمين بهذه الصوره. ولو رجعنا الى تاريخ اوائل اعلام الشيعه امثال عمار بن ياسر وقيس بن سعد وحجر بن عدى الكندى وسليمان بن صرد ورفاعه بن شداد البجلى والمسيب بن نجبه الفزارى وعبدالله بن عوف الاحمر وحبيب بن مظاهر وغيرهم لوجدنا مواقفهم المعارضه للحكم القائم انما تنبثق وتنطلق من آرائهم

حول الحكم والحاكم وليس العكس، وذلك قبل ان يخلق الله تعالى على بن اسماعيل أو هشام بن الحكم. ولقد دقّ الامام الشهيد الحسين بن على (عليهما السلام) اسفين الثوره، وقاد المعارضه الارجوانيه معللاً الثوره والمعارضه بقوله: «ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقاً، فانى لا أرى الموت إلّا سعاده والحياه مع الظالمين إلّا برما».

رائد الامامه

ولنبدأ الحديث حول رؤيه الامام زين العابدين (عليه السلام) للامامه، بما ينقل لنا عن امامه امير المؤمنين على بن ابى طالب (عليه السلام) باعتباره اول الائمه وسيدهم وامامهم. أولاً: روى الموفق بن احمد المكى الخوارزمى باسناده عن الامام زين العابدين عن ابيه الحسين بن على عن ابيه على بن ابى طالب (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يا على انت سيد المسلمين، وامام المتقين وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب الدين» [۱۸۳] . اقول: أخرج هذا الحديث كثير منهم الاعلام من الحاكم فى المستدرک ج۳ ص۱۳۷، وعلى ابن المغازلى الشافعى فى المناقب ص۶۵، وابن الاثير الجزرى فى اسد الغابه ج۱ ص۶۹. ثانياً: وروى الموفق أيضاً باسناده عن الامام زين العابدين (عليه السلام) عن ابيه قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): نزل علىّ جبرئيل (عليه السلام) صبيحه يوم فرحاً مستبشراً فقلت: حبيبى مالى اراک فرحاً مستبشراً؟ فقال: يا محمد وكيف لا اكون كذلک وقد قرّت عينى بما اكرم الله به اخاک ووصيک وامام امتک على بن ابى طالب (عليه السلام)...». ثالثاً: روى الامام زين العابدين (عليه السلام) عن ابيه الامام الحسين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما اسرى

بی الی السماء عهد الیّ ربی جل جلاله فی علیّ ثلاث کلمات فقال: یا محمد، فقلت: لبیک ربی وسعدیک، فقال عزّوجلّ: ان علیاً امام المتقین، وقائد الغرّ المحجلین، ویعسوب المؤمنین. فبشره یا محمد بذلک...». رابعاً: روی الامام زین العابدین (علیه السلام) عن ابیه الامام الحسین (علیه السلام) قال: «قال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم): ان علی بن ابی طالب خلیفه الله وخلیفتی، وحجه الله وحجتی، وبابُ الله وبابی، وصفی الله وصفیی، وحبیب الله وحبیبی، وخلیل الله وخلیلی وسیف الله وسیفی...». خامساً: روی الامام زین العابدین (علیه السلام) عن ابیه الامام الحسین (علیه السلام) قال: «قال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم): لما اُسری بی الی السماء، ثم من السماء الی السماء، ثم الی سدره المنتهی اُوقفت بین یدی ربی عزّوجلّ، فقال لی: یا محمد، فقلت: لبیک ربی وسعدیک. قال: قد بلوتَ خلقی فایهم وجدت اطوع لک؟ قال: فقلت: ربی علیاً. قال: صدقت یا محمد، فهل اتخذت لنفسک خلیفه یؤدی عنک، ویعلّم عبادی من کتابی ما لا یعلمون؟ قال: قلت: اختر لی فان خیرتک خیر لی. قال: قد اخترت لک علیاً فاتخذه لنفسک خلیفه ووصیّا...». سادساً: قال الامام زین العابدین (علیه السلام): «قال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم): فضّلت علی الخلق اجمعین، وشرّفت علی النبیین، واختصصت بالقرآن العظیم، واکرمت بعلی سید الوصیین». هذا وفی البحث التالی حول امامه أهل البیت عموماً سوف یأتی ذکر امامه علی (علیه السلام) فی جمله من النصوص.

امامه أهل البیت

ولنأخذ الان امامه أهل البیت (علیهم السلام) عموماً، وهم اثنا عشر اماما. اولهم الامام علی بن ابی طالب وآخرهم القائم محمد المهدی صلوات الله علیهم. وما یقوله الامام

زين العابدين (عليه السلام) فى هذا الصدد هو مما يعبر عن نظريه الشيعه الاثنى عشريه جميعاً وهم اكثر فرق الشيعه انتشارا [۱۸۴] وهذا غيض من فيض مما ورد عن سيدنا الامام زين العابدين (عليه السلام). أولاً: العلامه الثقه سليمان الاعمش بسنده عن الامام زين العابدين عن ابيه عن الامام على بن ابى طالب (عليهم السلام) قال: «حدثنى النبىّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اتانى جبريل (عليه السلام) وقال: تختموا بالعقيق فانه اول حجر شهد لله بالوحدانيه، ولى بالنبوه، ولعلىّ بالوصيه، ولولده بالامامه ولشيعته بالجنه» [۱۸۵] . ثانياً: الراويه والمفسر الثقه ثابت بن دينار «ابو حمزه الثمالى» عن الامام زين العابدين عن ابيه عن امير المؤمنين على بن ابى طالب (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الائمه بعدى اثنا عشر. اولهم انت يا على وآخرهم القائم الذى يفتح الله عزّوجلّ على يديه مشارق الارض ومغاربها» [۱۸۶] . ثالثاً: الامام زين العابدين عن ابيه الحسين (عليهما السلام) قال: «دخلت أنا واخى على جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاجلسنى على فخذه الايسر، واجلس اخى الحسن على فخذه الايمن ثم قبلنا وقال: بأبى انتما من امامين سبطين، اختاركما الله منى ومن ابيكما ومن امّكما، واختار من صلبك يا حسين تسعه أئمه تاسعهم قائمهم» [۱۸۷] . رابعاً: الامام زين العابدين عن ابيه الحسين عن اخيه الحسن (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الائمه بعدى بعدد نقباء بنى اسرائيل، وحوارىّ عيسى، من احبهم فهو مؤمن، ومن ابغضهم فهو منافق... هم حجج الله فى خلقه، واعلامه فى بريته» [۱۸۸] . خامساً: الامام محمد الباقر عن آبائه عن على

(علیهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم): یا علی انت اخی ووزیری ووصیی وخلیفتی فی اهلی وامتی فی حیاتی، وبعد مماتی، محبک محبّی، ومبغضک مبغضی. یا علی انا وانت ابوا هذه الامه.. یا علی انا وانت والائمه من ولدک سادات فی الدنیا، وملوک فی الاخره» [۱۸۹] . سادساً: روی الامام زین العابدین عن ابیه الحسین عن ابیه (علیهم السلام): «قال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم): یا علی انت والائمه من ولدک بعدی حجج الله عزّوجلّ علی خلقه، واعلامه فی بریته. من انکر واحداً منکم فقد انکرنی، ومن عصی واحداً منکم فقد عصانی، ومن جفا واحداً منکم فقد جفانی، ومن وصلکم فقد وصلنی، ومن اطاعکم فقد اطاعنی، ومن والاکم فقد والانی، ومن عاداکم فقد عادانی، لانکم منی خلقتم من طینتی وانا منکم» [۱۹۰] . سابعاً: الامام زین العابدین عن ابیه الامام الشهید الحسین بن علی (علیهم السلام) قال: «کان رسول الله یقول فیما بشرنی به: یا حسین انت السید ابن السید ابو الساده. تسعه من ولدک أئمه ابرار والتاسع قائمهم... انت الامام ابن الامام ابو الائمه تسعه من صلبک أئمه ابرار، والتاسع مهدیهم یملا الدنیا قسطاً وعدلاً، یقوم فی آخر الزمان کما قمت فی اوّله» [۱۹۱] . ثامناً: ابو خالد الکابلی عن الامام زین العابدین عن ابیه الحسین سلام الله علیهما قال: «دخلت علی رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) وهو متفکر مغموم، فقلت: یا رسول الله مالی اراک متفکراً؟ فقال: یا بنیّ ان الروح الامین قد اتانی فقال: یا رسول الله، العلیّ الاعلی یقرئک السلام ویقول لک إنک قد قضیت نبوتک، واستکملت ایامک، فاجعل الاسم الاکبر، ومیراث العلم،

وآثار علم النبوه عند على بن أبى طالب، فانى لا اترك الارض إلّا وفيها عالم، تعرف به طاعتى وتعرف به ولايتى، فانى لم اقطع علم النبوه من الغيب من ذريتك، كما لم اقطعها من ذريات الانبياء الذين كانوا بينك وبين ابيك آدم. قلت: يا رسول الله فمن يملك هذا الامر بعدك؟ قال: ابوك على بن ابى طالب اخى وخليفتى، ويملك بعد على الحسن، ثم تملكه انت وتسعه من صلبك، يملكه اثنا عشر إماماً، ثم يقوم قائمنا يملا الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يشفى صدور قوم مؤمنين من شيعته» [۱۹۲] . تاسعاً: الامام زين العابدين عن عمته زينب بنت على [۱۹۳] عن فاطمه (عليها السلام) قالت: «دخل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ولاده ابنى الحسين، فناولته اياه فى خرقه صفراء، فرمى بها واخذ خرقه بيضاء فلفّه فيها ثم قال: خذيه يا فاطمه فانه الامام وابو الائمه. تسعه من صلبه ائمه ابرار والتاسع قائمهم» [۱۹۴] . عاشراً: روى عن الامام زين العابدين (عليه السلام) انه قال: «قال الحسن بن على (عليه السلام): الائمه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عدد نقباء بنى اسرائيل، ومنا مهدىّ هذه الامه» [۱۹۵] . الحادى عشر: الامام زين العابدين (عليه السلام) عن الحسين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمه بهجه قلبى.... وابناها ثمره فؤادى... وبعلها نور بصرى... والائمه من ولدها امناء ربّى وحبله الممدود بينه وبين خلقه... من اعتصم بهم نجا، ومن تخلّف عنهم هوى» [۱۹۶] . الثانى عشر: الامام زين العابدين (عليه السلام) عن ابيه الحسين عن ابيه على (عليهما السلام): قال: «قال رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم): من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه» [۱۹۷] . الثالث عشر: الامام زين العابدين عن ابيه عن على بن ابى طالب (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واخذل من خذله وانصر من نصره» [۱۹۸] . قال المؤلف: إن حديث «من كنت مولاه» حديث متواتر عند المسلمين تواتراً معنوياً وهو ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى يوم غدير خم. ولقد تعجب ابو جعفر الطبرى من كثره طرق الحديث والف فى ذلك كتاب الولايه وقد ذكر فيه سبعين طريقاً. ولقد نقل الفقيه على بن محمد الشافعى (ابن المغازلى) عن ابى القاسم الفضل بن محمد ما قاله حول حديث الغدير: هذا حديث صحيح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو من مائه نفس منهم العشره، وهو حديث ثابت لا اعرف له عله، تفرد على (عليه السلام) بهذه الفضيله ليس يشركه فيها احد [۱۹۹] . ولقد الّف فى حديث الغدير عدد من أعلام المحدثين والعلماء منهم اضافه الى العلامه الطبرى، الحافظ الكبير والامام المتقن احمد بن محمد بن سعيد (ابن عقده) وعلى بن هلال المهلبى ومسعود الشجرى. وفى العصر الحديث الّف عدد من الباحثين حول هذا الامر وعلى رأسهم الامام عبد الحسين الامينى النجفى، وكتابه الغدير جامع بديع ويقع فى (۱۱) مجلداً، وقد نقل واقعه الغدير فيه عن (۱۱۰) من الصحابه، وحشد هائل من التابعين والعلماء الاعلام والشعراء والادباء. وهنالك خلاف حول المقصود من حديث

من کنت مولاه. فقد ذهبت الامامیه کلها وجماعه کبیره من غیرهم الی ان المقصود بذلک تنصیب الامام علی (علیه السلام) خلیفه علی المسلمین، واستدلوا علی ذلک بادله کثیره لا مجال للتعرض لها، وذهب الاخرون الی ان الحدیث یدلّ علی فضیله کبیره للامام علی بن ابی طالب (علیه السلام) ولکنه لیس تعییناً للخلافه. ولقد روی عن الامام زین العابدین (علیه السلام) ما یلتقی والرأی الاول. الرابع عشر: عن شریک عن ابی اسحاق (السَّبیعی) قال: «قلت لعلی بن الحسین (علیه السلام) ما معنی قول النبی (صلی الله علیه وآله وسلم): من کنت مولاه فعلی مولاه. قال: اخبرهم بانه الامام بعده» [۲۰۰] . قال المؤلف: ومما یعضد هذه الروایه ویتسق معها فی معنی حدیث واقعه غدیر خم عند الامام زین العابدین ما رواه (علیه السلام) عن الامام الحسن بن علی سلام الله علیهما من خطبه له بمحضر الناس ومعاویه وذکر فیها فضل ابیه وسوابقه وما قاله فیه رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) من النص. ومما جاء فیها: «وقد ترکت بنو اسرائیل ــ وکانوا اصحاب موسی ــ هارون اخاه وخلیفته ووزیره، وعکفوا علی العجل، واطاعوا فیه سامریهم، وهم یعلمون انه خلیفه موسی وقد سمعت هذه الامه رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) یقول ذلک لابی (علیه السلام): انه منی بمنزله هارون من موسی إلاّ انه لا نبی بعدی، وقد رأوا رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) حین نصبه لهم بغدیر خم وسمعوه ونادی له بالولایه ثم امرهم ان یبلغ الشاهد منهم الغائب» [۲۰۱] . الخامس عشر: الامام زین العابدین عن ابیه الحسین بن علی عن امیر المؤمنین علی بن ابی طالب قال: «دخلتُ علی رسول

الله (صلی الله علیه وآله وسلم) فی مسجد قبا ومعه نفر من اصحابه...» الی ان قال نقلاً عن رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم): «معاشر اصحابی ان علیاً منی وانا من علی، روحه من روحی وطینته من طینتی وهو اخی... ووصیی... وخلیفتی علی امتی فی حیاتی وبعد موتی... من اطاعه اطاعنی... ومن وافقه وافقنی... ومن خالفه خالفنی» [۲۰۲] . قال الامام زین العابدین (علیه السلام): «بلغ ام سلمه زوجه النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ان مولی لها ینتقص علیاً و یتناوله فارسلت الیه فلما ان صار الیها قالت: یا بنیّ بلغنی انک تنتقص علیاً وتتناوله. قال: نعم یا امّاه. قالت: اقعد ثکلتک امّک حتی احدثک بحدیث سمعته من رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) ثم اختر لنفسک ما شئت...» الی ان قالت نقلاً عن رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) انه قال لها: «یا امَّ سلمه اسمعی واشهدی هذا علی بن ابی طالب وزیری فی الدنیا ووزیری فی الاخره. یا امَّ سلمه اسمعی واشهدی هذا علی بن ابی طالب وصیی وخلیفتی من بعدی، وقاضی عداتی والذائد عن حوضی. یا امَّ سلمه اسمعی واشهدی هذا علی بن ابی طالب وصیی وخلیفتی من بعدی، وقاضی عداتی والذائد عن حوضی. یا امَّ سلمه اسمعی واشهدی هذا علی بن ابی طالب سیّد المسلمین، وامام المتقین، وقائد الغر المحجّلین...» [۲۰۳] . روی الشیخ الطوسی فی امالیه باسناده عن الامام زین العابدین (علیه السلام) انه قال: «قال امیر المؤمنین علی بن ابی طالب (علیه السلام) علی منبر الکوفه: ایها الناس انه کان لی من رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) عشر خصال، لهنّ احبّ الی مما

طلعت عليه الشمس. قال لى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا على انت اخى فى الدنيا والاخره، وانت اقرب الخلائق الى يوم القيامه فى الموقف بين يدى الجبار...» الى أن قال: «وانت الامام لامتى، وانت القائم بالقسط فى رعيتى، وانت وليّى ووليى ولى الله، وعدوك عدوى وعدوّى عدو الله». السادس عشر: قال الموفق الخوارزمى المكى: اخبرنا الاجل اخى شمس الائمه ابو الفرج محمد بن احمد المكى... ثم ساق الاسناد الى على بن الحسين سيد العابدين عن ابيه الحسين بن على الشهيد قال: «سمعت جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من احب ان يحيا حياتى ويموت مماتى، ويدخل الجنه التى وعدنى ربى، فليتول على بن ابى طالب، وذريته أئمه الهدى ومصابيح الدجى من بعده، فانهم لن يخرجوكم من باب الهدى الى باب الضلاله» [۲۰۴] . السابع عشر: حدَّث الامام زين العابدين عن ابيه الحسين (عليه السلام) عن على صلوات الله عليهم قال: «قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى اهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض» [۲۰۵] . اقول: والخبر التالى يفسّر معنى عترتى اهل بيتى تفسيراً واضحاً لالبس فيه، ولا غبار عليه. الثامن عشر: حدث الامام على بن الحسين زين العابدين عن ابيه الحسين (عليهما السلام) قال: «سئل امير المؤمنين صلوات الله عليه عن معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انى مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى. من العتره؟ فقال: انا والحسن والحسين والائمه التسعه من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم، حتى يردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حوضه» [۲۰۶]

.

بين الوراثه الروحيه والوراثه الدمويه

ظن عدد من الكتاب والمفكرين من غير الشيعه ان مستند النظريه السياسيه للشيعه في تعيين اثنى عشر اماماً انما يرجع لكون الائمه تربطهم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وشائج القربى وشجن النسب، ولولا ذلك لم يكن لهم مدعى في الامامه، ولا سبب الى الخلافه. ولذا يقول احد هؤلاء وهو الدكتور محمد على ريان في كتابه تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام: نجد الشيعه من ناحيه أخرى يتمسكون بامامه آل البيت ابتداء من على بمقتضى الوراثه الدمويه للرسول [٢٠٧] . بينما نجد إذا قرأنا قراءه فاحصه للنظريه السياسيه الشيعيه ان المستند في تعيين الائمه انما هو النصوص الشرعيه الوارده في حقهم فحسب. سواء منها المذكوره في طرقهم أو المذكوره في طرق الاخرين كما قد رأينا في النصوص السابقه وكذا في النصوص اللاحقه، التي لا تمثّل إلاّ النزر اليسير من النصوص التي يعلنونها، ويدعمون بها نظريتهم. ان النصوص في النظريه المذكوره تعنى في الدرجه الاولى الخط المتقدم من اساسيات الاحقيه بالقياده الاسلاميه العامه. وهذا يعنى ان القربى ليست الملاك في الاحقيه بالامامه أو الخلافه. إن القرابه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فضيله من فضائل الائمه (عليهم السلام) وكرامه لهم. ولو افترضنا ان لا صله نسبيه قريبه مؤكده بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فانهم مع هذا اصحاب الخلافه باعتبارهم اصحاب النص. واما جميع الفضائل الاخرى فهي لدعم النصوص، وتعميق الاهليه القياديه العامه.

المعتدلون والغلاه

بيد ان النصوص التي يذكرها الشيعه حول الامامه والائمه (عليهم السلام) ليست كلها من نصوص المعتدلين والموضوعيين فيهم، بل قد اضيفت اليها، والصقت بها، نصوص موضوعه سطرها الغلاه وذهبوا بها كل مذهب. لقد نسجت

حركه الغلاه روايات كثيره حول الامامه والائمه، يمكن تمييزها من وجود بعضهم فى اسانيد الروايات ويمكن تمييزها من فهم المتون الروائيه، وكذلك من خلال المذاق العام لهم، وتصوراتهم المتطرفه حول الامامه والامام. هذا ولم يقف خطرهم عند سياج تحريف احاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمه (عليهم السلام)، وانما تجاوزها الى حيث الزعم الفاضح، والادعاء الشائن بالقول بتحريف القرآن الكريم، وان فى آياته المباركه آيات قد حرّفت الفاظها وفيها النص على الامام على والائمه (عليهم السلام). ومن منهجنا ان نردَّ كل حديث أو خبر مخالف لكتاب الله عزّوجلّ، وان نضرب به عرض الجدار. ومن منهجنا ان نردّ كل حديث أو خبر صريح فى تحريف القرآن الكريم. ان القرآن الكريم الذى تداولته الاجيال الى عصرنا الحالى هو نفسه ذلك الذى انزله الله تعالى على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا زياده ولا نقصان، ومسأله تقديم بعض السور، وتأخير بعض آخر، مسأله اخرى ليس لها أى مساس فى التحريف. وما كلّ حديث أو خبر أو تقرير ينسب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) قد صدر عنهم فعلاً، ولذا قام علماء الرجال وائمه الحديث بتمييز المعتبر من غير المعتبر، والغث من السمين، والله الموفق الى سواء السبيل. فعلى كل موحّد فى الدين، مؤمن بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان لا يغتر بهم، وبكلماتهم المعسوله، وأن لا يقع فى شباكهم، ولقد تبرأ ائمه أهل البيت (عليهم السلام) منهم، ولعنوهم، وقعدوا لهم كل مرصد. ولقد جاءت الروايه عن الامام الهادى (عليه السلام): «فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم الى ضيق الطريق، فان وجدت من احد منهم خلوه فاشدخ رأسه بالصخر» [۲۰۸]

. قال سعد: حدثنى العبيدى قال: كتب الىّ العسكرى ابتداءاً منه: «ابرأ الى الله من الفهرى، والحسن بن محمد بن بابا القمى فابرأ منهما، فانى محذرك وجميع موالى، وإنى العنهما عليهما لعنه الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتانين مؤذين آذاهما الله واركسهما فى الفتنه ركسا. يزعم ابن بابا انى بعثته نبيا وانه باب عليه لعنه الله. سخر منه الشيطان فاغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك. يا محمد ان قدرت ان تشدخ راسه بالحجر فافعل، فانه قد آذانى آذاه الله فى الدنيا والاخره» [۲۰۹] . وروى الحسين بن خالد الصيرفى عن الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام) قال: «لعن الله الغلاه، ألا كانوا يهوداً، الا كانوا مجوساً، الا كانوا نصارى، الا كانوا قدريه، الا كانوا مرجئه، الا كانوا حروريه. ثم قال: لا تقاعدوهم، ولا تصادقوهم، وابرأوا منهم برئ الله منهم» [۲۱۰] . وفى كتاب سيره الائمه الاثنى عشر للسيد هاشم معروف الحسنى فصل طريف بعنوان الامام الصادق والغلاه ج۲ ص۲۵۸ _ ۲۶۹ فراجعه فى سبيل الانتفاع.

خطوه على طريق التعزيز

لقد تقدم الامام زين العابدين صلوات الله عليه خطوه نوعيه على طريق تعزيز الموقف، وتعميق المضمون الفكرى والسياسى عند اتباعه ومريديه. فمن منطلق المسؤوليه الرساليه، والمهمه القياديه قد اتخذ اسلوباً آخر حول الامامه، فانه اضافه إلى اسلوب ايراد النصوص التى رواها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والامام على بن ابى طالب والصديقه الزهراء والحسن والحسين عليهم الصلاه والسلام، قد اعرب عن موقفه هو من الامامه وتحديد هويه الائمه. ولنقتصر على النزر القليل، مما ورد عنه فى هذا السبيل: اولاً: روى الحافظ الجوينى باسناده عن سليمان بن مهران الاعمش، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه

السلام)، عن ابیه محمد بن علی (علیه السلام)، عن علی بن الحسین زین العابدین (علیه السلام) قال: «نحن ائمه المسلمین، وحجج الله علی العالمین، وساده المؤمنین، وقاده الغرّ المحجلین، وموالی المؤمنین، ونحن امان أهل الارض کما ان النجوم امان لاهل السماء. (إلی ان قال): ولم تخلُ الارض من حجه لله فیها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو الارض إلی ان تقوم الساعه من حجه لله فیها، ولولا ذلک لم یعبد الله. قال سلیمان: فقلت للصادق (علیه السلام): فکیف ینتفع الناس بالحجه الغائب المستور؟ قال: کما ینتفعون بالشمس إذا سترها السحاب» [۲۱۱] . ثانیاً: عن ابی خالد الکابلی رضوان الله علیه وکان من المختصین بالامام زین العابدین (علیه السلام) قال: «دخلت علی علی بن الحسین (علیه السلام) وهو جالس فی محرابه فجلست حتی انثنی واقبل علی بوجهه، یمسحُ علی لحیته. فقلت: یا مولای اخبرنی کم یکون الائمه بعدک؟ قال (علیه السلام): ثمانیه. قلت: وکیف ذاک؟ قال (علیه السلام): لان الائمه بعد رسول الله اثنا عشر إماماً، عدد الاسباط، ثلاثه من الماضین، وانا الرابع، وثمانیه من ولدی أئمه ابرار» [۲۱۲] . ثالثاً: عن زید الشهید بن الامام علی بن الحسین زین العابدین (علیهما السلام) قال: «بینا أبی مع بعض اصحابه إذ قام إلیه رجل فقال: یابن رسول الله هل عهد الیکم نبیکم کم یکون بعده أئمه؟ قال: نعم اثنا عشر عدد نقباء بنی اسرائیل» [۲۱۳] . رابعاً: عن الحسین رضوان الله علیه بن علی زین العابدین (علیه السلام) قال «سأل رجل ابی (علیه السلام) عن الائمه فقال: اثنا عشر سبعه من صلب هذا، ووضع یده علی کتف اخی محمد» [۲۱۴] . خامساً: یروی ان الامام زین

العابـدين (عليه السـلام) قال تفسـيراً لقوله تعالى (ان الذين يكتمون ما انزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) [۲۱۵] ، أو تعليقاً على الايه المباركه: «هذه احوال من كتم فضائلنا، وجحد حقوقنا، وتسـمّى باسمائنا، وتلقّب بالقابنا، وأعان ظالمنا على غصب حقوقنا، ومالا علينا اعداءَنا» [۲۱۶] .

حديث المنزله

روى الشـيخ محمد الصدوق باسـناده عن ابى خالد الكابلى قال: «قيل لسـيد العابدين على بن الحسـين (عليهما السلام): ان الناس يقولـون ان خير النـاس بعـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآله وسـلم) أبـو بكر ثم عمر ثم عثمـان ثم على (عليه السـلام) قـال: فما يصـنعون بخبر رواه سـعيد بن المسـيب عن سـعد بن ابى وقاص عن النبى (صـلى الله عليه وآله وسلم) انه قال لعلى (عليه السلام): انت منى بمنزله هارون من موسى إلاّ انه لا نبى بعدى. فمن كان فى زمن موسى مثل موسى». اقول: حديث المنزله من الاحاديث المشـهوره جـداً عند المسـلمين، سواء فى الكتب الروائيه ام الكتب التاريخيه ام الكتب الادبيه وكذلك العقائديه، فليس من شائبه على أصل الحديث، ولا من غبار على صدوره عن المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وانما الكلام فى دلالته السياسيه. فقـد اعتـبرته النظريه الشـيعيه دالاًـ على خلاـفه الامـام على بن ابى طـالب (عليه السـلام): ولكن يبـدو ــ بوضـوح ــ من بين ثنـايا مختلف المؤشـرات السياسيَّه والوقائع التاريخيه ان الاختلاف فى الدلاله السياسـيه للحديث الشـريف، ليست بالشىء الجديد على الساحه. ولقد سـئل الصـحابى الكبير جابر الانصارى ــ كما تروى المصادر الشـيعيه ــ عن معنى الحديث. ولا شك ان السؤال لم يكن عن الجانب اللغوى أو الادبى فيه، ولا عن سبب

صدور الحديث _ فان كل ذلك مما لا يختلف فيه اثنان _ وانما السؤال عن وجود الدلاله السياسيه فيه. ولقد اجاب الصحابى باثبات الخلافه لعلى (عليه السلام)، معتبراً ان من يتجافى عن هذه الدلاله فهو من الظالمين. وهذا يعنى ان الاختلاف فى الدلاله كان قائما. وسوف يأتى كلام الصديقه فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عرض حديث المنزله، الى جانب حديث يوم غدير خم فى مقام الاحتجاج على عدم تسلم الامام على للخلافه بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). ولاهميه هذين الخبرين _ من الوجهه العلميه _ خبر جابر الانصارى وخبر الصديقه (عليها السلام) آثرنا نقلهما: ١ _ روى ابو هارون العبدى: «سألت جابر بن عبدالله الانصارى عن معنى قول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى: انت منى بمنزله هارون من موسى إلّا انه لا نبيَّ بعدى. قال: استخلفه بذلك والله على امته فى حياته وبعد وفاته، وفرض عليهم طاعته، فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافه فهو من الظالمين» [٢١٧] . ٢ _ روى شمس الدين الجزرى الدمشقى وهو من اعلام الشافعيه باسناده عن فاطمه [٢١٨] بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انها قالت: «انسيتم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلى مولاه، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): انت منى بمنزله هارون من موسى (عليهما السلام)؟» [٢١٩] .

من مصادر الحديث

ومصادر حديث المنزله كثيره جداً ومن هذه المصادر على سبيل المثال لا اكثر: أ _ الطبرانى فى المعجم الكبير «مخطوط» رواه عن حبشى بن جناده وجابر وسعد بن ابى وقاص والبراء بن عازب وزيد بن ارقم. كما

رواه أيضاً فی المعجم الصغیر ج۲ ص۵۳. ب ـ ابن عساکر فی تاریخ دمشق «مخطوط» رواه عن علی (علیه السلام) وام سلمه وحبشی بن جناده وفاطمه بنت حمزه وعمر بن الخطاب وابی هریره وابی سعید الخدری وسعد بن ابی وقاص. ج ـ عبد الرزاق الصنعانی رواه فی المصنف ج۵ ص۴۰۵. د ـ یوسف بن عبد البر القرطبی المالکی رواه فی جامع بیان العلم ص۱۴۹ دار الکتب الحدیثه بالقاهره. هـ ـ الذهبی فی تذکره الحفاظ ج۱ ص۲۱۷ وج۲ ص۵۲۲. و ـ العلامه ابو داود الطیالسی فی مسنده ص۲۹ ط. حیدرآباد. ز ـ الشیخ علی المتقی الهندی فی کنز العمال ج۱۲ ص۲۰۰ وص۲۰۶ ـ وص۲۰۷. ح ـ ابن حجر الهیثمی فی الصواعق المحرقه ص۷۲. ط ـ ابن المغازلی الشافعی فی مناقب علی بن ابی طالب ص۳۴ وص۳۶ وص۹۴. کما رواه من الشیعه حشد هائل من العلماء قدیماً وحدیثاً ترکنا ذکرهم روماً للاختصار.

الامام زین العابدین و تعیین الامام بعده

لقد اولی الامام زین العابدین (علیه السلام) قضیه الامامه اهمیه قصوی قلما یولیها لقضیه اخری من القضایا العقائدیه والسیاسیه والمصیریه. فلم یشأ ان یلتحق بالرفیق الاعلی دون ان یشخص الامام بعده، وینص علیه. فما احوج الامه الاسلامیه، والانسانیه الضائعه، الی القدوه المثلی والامام العادل. یکشف لها ظلمات الجهل والغوایه، وینیر آفاق اللیل البهیم، ویأخذ بأیدیها الی شاطئ الخیر والرحمه والسلام. ولقد شاء الامام زین العابدین ـ عن وعی وادراک ـ ان یکون الامام بعده محمد الباقر (علیه السلام)، فعینه بالفعل اماماً للناس وقدوه للمقتدین. وتذهب الامامیه کلها وفی قول واحد الی ان تعیین الامام السابق للامام اللاحق انما هو انعکاس لاحادیث الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی تعیین الائمه. ولیس تعیین احدهما للاخر

إلاّ بنحو الكشف والحكايه عن النصوص النبويه فى هذا المضـمار. فاما من حيث النصوص فقد بينها الامام زين العابدين بما فيها من النص على الامـام البـاقر (عليه السـلام)، وامـا من حيث النصب والتعيين فقـد اشار إليه بل نص عليه كما فى جمله من الاخبار الروائيه والتـاريخيه واليـك جمله منهـا: اولاًـ فى روايه معمر عن الزهرى بمـا مختصـره قـال: «دخلت على على بن الحسـين (عليه السـلام) فى المرض الـذى توفى فيه (إلى ان قال): ثم دخل عليه محمـد ابنه فحدثه طويلًا... قلت: يابن رسول الله ان كان من امر الله ما لابـدّ لنا منه ــ ووقع فى نفسـى انه قـد نعى نفسه ــ فإلى من يختلف بعـدك؟ قال يا ابا عبـد الله الى ابنى هـذا ــ واشار الى محمد ابنه ــ انه وصيى ووارثى وعيبه علمى، معدن العلم، وباقر العلم. قلت يابن رسول الله هلا اوصيت الى اكبر اولادك. قال: يا ابا عبد الله ليست الامامه بالصغر والكبر. هكذا عهد الينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» [۲۲۰] . ثانياً: عن عثمان بن خالد عن ابيه قال: «مرض على بن الحسين بن على بن ابى طالب (عليه السلام) فى مرضه الذى توفى فيه، فجمع اولاده محمداً والحسن وعبـدالله وعمر وزيـدا والحسـين، واوصـى الى ابنه محمـد بن على، وكنّاه الباقر، وجعل امرهم إليه...» [۲۲۱] . ثالثـاً: عن مالـك بن أَعين الجهنى قـال: «اوصـى على بن الحسـين (عليه السـلام) ابنه محمـد بن على (عليه السـلام) فقال: بنىّ انى جعلتك خليفتى من بعدى، لا يدّعى فيما بينى وبينك احد إلاّ قلّده الله يوم القيامه طوقاً من النار، فاحمد الله على ذلك واشـكره...» [۲۲۲] . رابعاً: التفت

علی بن الحسین إلی ولده وهو فی الموت، وهم مجتمعون عنده، ثم التفت الی محمد بن علی ابنه فقال: «یا محمد هذا الصندوق فاذهب به إلی بیتک ثم قال: اما انه لم یکن فیه دینار ولا درهم ولکنه کان مملوءاً علماً» [۲۲۳] . خامساً: ونحو الروایه الرابعه ما رواه جعفر بن محمد (علیه السلام) قال: «لما حضر علی ابن الحسین (علیه السلام) الموت، قبل ذلک اخرج السفط أو الصندوق عنده فقال: یا محمد احمل هذا الصندوق. قال: فحمل بین اربعه «رجال». فلما توفی جاء اخوته یدّعون فی الصندوق فقالوا: اعطنا نصیبنا من الصندوق. فقال: والله مالکم فیه شیء، ولو کان لکم فیه شیء ما دفعه الیَّ، وکان فی الصندوق سلاح رسول الله وکتبه» [۲۲۴] . سادساً: عن ابی خالد (الکابلی): «قلت لعلی بن الحسین: من الامام بعدک؟ قال: محمد ابنی یبقر العلم بقرا» [۲۲۵] .

الحقوق بین الامام والمأموم

فارق کبیر بین حاکم یسیّر دفه الامور ضمن قانون محدد، وصلاحیات معتبره ومنطقیه سواء کانت اسلامیه تستلهم القرآن والسنه المطهره روحاً ونصاً، أو علی الحد الادنی تستمد وجودها مما یسمی فی المصطلح العصری بالسیاده الشعبیه Popular Soverignty، وبین حاکم آخر قد اتخذ رأیه الشخصی، ومزاجه الخاص، وحالاته النفسیه قانوناً یعتمده ومنهلاً یرده، فلیست لقانونه أو صلاحیاته من حدود إلاّ الاهواء والنزوات والمشتهیات. ولقد اراد الامام زین العابدین ان تکون ثم ضوابط وحدود بین الامام ـ بالمعنی الاعم ـ وبین المأموم، فلا یجحف هذا بحق هذا، ولا یهدر احدهما حقوق الاخر، فی موازنه عادله، وطریقه سلیمه مثلی فیقول (علیه السلام): أ ـ فأما حق سائسک بالسلطان فان تعلم انک جعلت له فتنه، وانه مبتلی فیک بما جعل الله له علیک

من السلطان، وان تخلص له فى النصيحه، وان لا تماحكه، وقد بسطت يده عليك، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه، وتذلل وتلطف لاعطائه من الرضا ما يكفه عنك ولا يضر بدينك، وتستعين عليه فى ذلك بالله، ولا تعازّه ولا تعانده، فانك ان فعلت ذلك عققته وعققت نفسك فعرضتها لمكروهه وعرضته للهلكه... [۲۲۶] . ب ـ اما حقوق رعيتك بالسلطان فان تعلم انك انما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم فانه انما احلهم محلّ الرعيه لك ضعفهم وذلهم، فما اولى من كفاكه ضعفه وذله حتى صيرّه لك رعيه، وصيرّ حكمك عليه نافذا، لا يمتنع منك بعزه ولا قوه، ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلّا بالرحمه والحياطه والاناه... [۲۲۷] . تعليق: ان هذه الحقوق التى ذكرها (عليه السلام) للامام ـ بالمعنى الاعم ـ وما أعلنه من الطاعه له والانقياد لتعاليمه ومقرراته، وعدم التعرض لمكروهه انما تكون فى حالات يجدر السكوت فيها، واوضاع يمكن الصبر عليها. اما إذا كان الامر على خلاف هذه الصوره بحيث ان العقيده السليمه تكون معرضه للخطر، والمبادئ العليا للانتهاك، والقيم للاندكاك والتهافت، فان الامام زين العابدين على خط ابيه الامام الشهيد (عليه السلام) روحاً وانطلاقاً وجرأه وشده على الظلم والظالمين. ولقد زوّدنا التاريخ بوثائق رائعه عن مواقفه البطوليه المتعدده من عبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاويه، وعبدالملك بن مروان. كما اوضحنا ذلك فى بحثنا مع الحسين فى الثوره الخالده، والبحث عن مواقفه من الحكم القائم.

مع الحسين فى الثوره الخالده

يزيد والمقومات الاساسيه للقائد الاسلامى

اشاره

لعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق. هذه المقومات الاساسيه للقائد الاسلامى، يعلنها الامام الشهيد الحسين بن على (عليه السلام) [۲۲۸] وهو فى طريق الثوره الخالده، ثوره كربلاء. ولقد كان يزيد بن معاويه على النقيض

من هـذه المقومات والاسـس. كما هو معلوم بديهياً فى التأريخ. ولقد كان كما قال على زين العابدين فى كلام طويل: ولیَ یزید رقـاب المسـلمين وهو يشـرب الشـراب، ويلعب بالكلاـب. فكيف يرضـى مثل الامام الحسـين وهو هو ذوباناً فى محراب العقيـده والايمان؟ أن يكون مثل يزيد اميناً على القرآن، وقائداً لامه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ ومما زاد الطين بلّه، وتألق وضوح رؤيه الحسـين لشخصـيه يزيد ما رُوى من ان الامام الحسـين (عليه السلام) اجتمع مع عبدالله بن جعفر عند معاويه فخرج بخروجه، فقـال له ابن جعفر: يـا بن رسول الله ان لى الى يزيـد حاجه فلو وقفت معى اليه فقال: نعم، فأتياه فأصاباه يشـرب وعنـده مسـلم بن عمرو الباهلى يغنيه. وكان يضرب الطنبور، وقيل: انه اول من تغنى بالنصب بالبصره [۲۲۹] فحمل يزيد المسكر على ان ائذن لهما وهو على حالته. فلما رآه الامام الحسـين (عليه السلام) تعاظمه امره. فقال يزيد للساقى: اسقهما. فنظر الامام الحسين (عليه السلام) الى يزيـد نظراً منكراً، وامسـك السـاقى هيبه له، فقـال يزيـد لمسـلم: الاـ يـا صـاح للعجب دعوناه فلم يجبِ الى القينات واللـذاتِ والشـهوات والطربِ وفيهن التى تبلت فؤادك ثم لـم تتبِ فقال الحسـين أعهـد الى الله عهـداً لئن خلص الامر اليك وأنا فى الحياه لما اعطيتك إلا السـيف بعـد ان شـهدتُ عليك بهذا المشـهد. وقام فخرج معه عبدالله بن جعفر [۲۳۰] . فيستنكر الحسين المنهج الوضعى فى الحكم والسياسه، ويتصدى لقراعه أيـّما قراع، ويدعو للمبادئ الاسلاميه. وكانت الثوره. كانت ثوره الامام الحسين بن على (عليهما السلام) ضروره رساليه، وحتميه حضاريه ليس عنها من محيص. (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين

يقولون ربنا اخرجنا من هذه القريه الظالم اهلُها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً) [۲۳۱] .

توقيت الثوره

لقد كانت خطه الحسين فى توقيت الثوره فى عهد يزيد خطه سديده موفقه. فلو قدر له القيام بالثوره فى عهد معاويه بدلاً من عهد يزيد لما حصلت الثوره على النتائج الايجابيه التى اقتطفت ثمارها فى المدى القريب والبعيد، والتى اينع بها الاسلام، واثمرت الوعى الدينى، والهبت الكفاح المسلح ضد سلاطين الجور، بعد ثورته مباشره، وبعدها بشكل غير مباشر، كثوره اهل المدينه، وثوره التوابين، وثوره المختار، وثوره زيد بن على زين العابدين (عليهما السلام)، وغيرها. فلو ثار فى عهد معاويه لاستطاع الاخير بمكره وميكافيليه اساليبه ان يصادر قسطاً كبيراً من جوانب الثوره. يساعده على ذلك التظاهر بالورع والصلاح امام الجماهير، وحكمه فى ارض الشام وهى منطقه واسعه من ارجاء العالم الاسلامى زمناً طويلًا، حتى انه كان الوالى على دمشق منذ سنه «۱۸» للهجره. كما اَن معاويه يستطيع ان يصادر قسطاً من جوانب الثوره لان الحسين قد بايعه بالخلافه حين اضطر اليها إبّان الصلح بين الامام الحسن (عليه السلام) ومعاويه ــ فى ظروف قاهره ــ فيعلن معاويه للجماهير أن الحسين ناكث للعهد، مخالف للميثاق؛ فهو اذن صاحب هوىً وخيانه، لا صاحب قضيه عادله. ولا نعتقد أن الامام الحسين بن على (عليهم السلام) يحذر من نقض الاتفاق، لان معاويه قد نقض كل الاتفاقيه. وهذا غير خفى على كل مَن راجع بنود الاتفاق مقارناً لها مع السيره السياسيه لمعاويه ومنهجه فى الحكم. ويتلخص ذلك فى ما قاله التابعى العظيم الحضين بن المنذر الرقاشى: والله ما وفى معاويه للحسن بشىء مما اعطاه؛ قتل حجراً واصحاب حجر، وبايع لابنه يزيد،

وسم الحسن. ان الطرف المقابل اذا لم يلتزم ببنود الاتفاقيه فلا يتعين على الطرف الاخر الالتزام بها، بل يبين كتاب الله الموقف السياسى والعسكرى من الطائفه التى تظهر عليها بوادر النكث ونقض الميثاق فيقول: (واما تخافن من قوم خيانه فانبذ اليهم على سواء). ولكن الظاهر ان الامام الحسين (عليه السلام) كان يحذر من استغلال معاويه للميثاق بما انتهج من خداع وتزوير، ولامتلاكه مختلف الوسائل الاعلاميه. كما ان ميقات الثوره لم يحن بعد. اما يزيد بن معاويه فلم يكن بينه وبين الامام الحسين (عليه السلام) ميثاق وليس فى عنق الامام الحسين (عليه السلام) بيعه له. كما لم يكن ليزيد دهاء ابيه وكانت فيه خفه، وجهل بمتطلبات السياسه، ومستلزمات كسب الجماهير، وتطلعات الامه. لا يدارى الناس. ومداراه الناس نصف العقل [٢٣٢] . لا يوسع صدره للامه. وآله الرئاسه سعه الصدر [٢٣٣] . وسواء اكانت الثوره فى خلافه معاويه أو فى خلافه يزيد فانها وفى تلك الصوره مقدر لها الاخفاق عسكرياً بيد ان الثوره فى عهد الغلام النزق لا يمكن ان تصادر ولا بعض ثمراتها. ولا يمكن اعتبار رفض الامام الحسين (عليه السلام) لبيعه يزيد منحصراً بالانفه، واباء الضيم، أو أن الحسين (عليه السلام) من قبيل هاشم، ويزيد من قبيل أميّه، وبين القبيلين عداء تقليدى مستحكم كما عليه بعض الكتاب. لقد رفع الحسين شعاراً ارجوانياً معبراً عن اهدافه السياسيه، وابعاده الثوريه فى اكثر من مناسبه وموقف فمن ذلك قوله: الا ترون الى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه. ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقاً، فانى لا أرى الموت الاّ سعاده والحياه مع الظالمين إلاّ برماً. وأما الاختلاف ما بين الحسين ويزيد فهو وانْ كان عميقاً

وبعيـد الاـثر، ولكنه ليس اختلافـاً بسـبب مآرب شخصـيه، أو تسابقاً فی الاروقه السياسـيه. ولكن النظره التقييميه التی كان يحملها الحسين (عليه السلام) ليزيد مبتناه علی ما ينطوی عليه سلوک يزيد ابتعاداً حقيقياً عن قواعد الاسلام، وموازينه الصحيحه فی الفرد المسـلم، وسـقوط همه، وتلاعبـاً بمقـدرات الاـمه. وأن الشـرائط الموضوعيه التی يقررهـا الاسـلام اسـساً لاـ محيص عنهـا للقياده الاسـلاميه، مثل العداله وهی الاسـتقامه علی الطريق اللاحب، ومثل العلم وغير ذلک، غير متوفره فی شخصيه يزيد بن معاويه. ولا أدل علی ذلک من ان اضـباره سـلوكه وشخصـيته، ومنحنيات نفسـيته، اضـباره سوداء فاحمه بعيده الجذور، معروفه فی حياه ابيه. ولقد كان معاويه عارفاً بتهافت شخصـيه يزيد وان قام بمحاوله تمويهها واضـفاء طوابع ايجابيه عليها بما لا يخفی علی ذی عينين، ولكنه قـد اوضح من حيث يعلم أو لا يعلم أن فی الامه من هم اولی بالخلافه من يزيد، واجدر بالقياده الاسـلاميه. لذلک ضـرب مثلًا بتوليه رسول الله (صلی الله عليه وآله وسلم) عمرو بن العاص اميراً مقدماً له علی ابی بكر وعمر ومن دونهما من الصحابه وقد رد عليه الامام الحسـين (عليه السلام) بأن لعمرو بن العاص فضيله بصحبه رسول الله وبيعته له وما صار _ لعمر الله _ يومئذ مبعثهم حتی أنف القوم إمرته، وكرهوا تقـديمه، وعدوا عليه افعاله، فقال (صـلی الله عليه وآله وسـلم): لا جرم معشـر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيری.. فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل رسول الله فی اوكد الاحكام. ان مجرد تمثل يزيد بإمره عمرو بن العاص ليـدل علی ان معاويه كان عارفاً بتقـدم غيره عليه. ولقد قام معاويه بأكثر من طريقه لتعيين يزيد خليفه من بعده، ومن بينها الطريقه التی اومأنا

اليهـا. فكـان ردّ الامـام الحسـين (عليه السـلام) عليه ردّاً حاسـماً، يضع النقاط على الحروف، ويبين المسؤوليه الشـرعيه، والموقف الصـحيح من القياده يقول (عليه السـلام): وفهمت ما ذكرته عن يزيـد من اكتماله، وسياسـته لامه محمد. تريد أن توهم الناس فى يزيـد، كأنـك تصف محجوبـاً، او تنعت غائباً، او تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقـد دل يزيـد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما اخذ فيه، من اسـتقرائه الكلاب المهارشه عند التهارش، والحمام السبّق لاترابهن، والقيان ذوات المعازف وضـرب الملاهى تجـده باصـراً، ودع عنـك مـا تحـاول، فمـا اغناك ان تلقى الله من وزر هـذا الخلق باكثر مما انت لاقيه، فوالله ما برحت تقـدح باطلاً فى جَور، وحنقـاً فى ظلم حتى ملاـت السـقيه ومـا بينك وبين الموت الاغمضه، فتقـدم على عمل محفوظ، فى يوم مشـهود، ولاـت حين منـاص. ولمـا كـان معـاويه ينظر الى منصه الحكم على انهـا ملك عضوض، وأنها افراز يتمخض عن المكر والغلبه والسـياسه الميكافيليه، لـذا يصـر على موقف من ولايه العهـد. ويدلهم ليل معاويه ويُنقل الى مثواه الاخير، فاذا يزيد ضـمن السياسه المفروضه هو الخليفه. فما اسرع أن كتب (كما فى حوادث سنه ۶۰ من تاريخ الطبرى) فى صحيفه الى الوليد بن عتبه: اما بعـد فخـذ حسـيناً، وعبـد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، بالبيعه اخذاً شديداً ليست فيه رخصه. ويدعو امير المدينه الوليد بن عتبه الامـام الحسـين (عليه السـلام) الى بيعه يزيـد، وفى محـاوله ذكيه وجريئه يتخلص منه الامـام الحسـين (عليه السـلام). ويزمع على الرحيل من المدينه ذات الضغوط السياسيه الشديده عليه الى حيث مكه المكرمه. ينطلق الموكب المقدس، موكب الامام الحسين (عليه السلام) واهل بيته الا قليلاً منهم. ينطلق

الموكب وفيه على زين العابدين ــ ولم يكن آنذاك مريضاً ــ وفيه ايضاً العباس بن على (عليهما السلام). ويشرع فى الطريق العام المكشوف. ويشير مسلم بن عقيل رضوان الله عليهما على الامام الحسين (عليه السلام) بترك الطريق والتوجه فى طريق فرعى كما صنع ابن الزبير فيأبى الامام الحسين (عليه السلام). الى أن استقر بعض الاستقرار فى مكه المكرمه حيث اللقاء الايجابى فيها مع مختلف القادمين اليها من شتى اَرجاء العالم الاسلامى، ولكن دوائر النظام كانت تتربص به الدوائر وكانت عمليه اغتياله عمليه متوقعه، فقد أصدرت الاوامر الرسميه بقتل الامام الحسين (عليه السلام) ولو كان متعلقاً بأستار الكعبه. ويحذر الامام الحسين (عليه السلام) كل الحذر من القتل فى مكه لا إشفاقاً من الشهاده التى كانت حبيبه إليه وكان حبيباً اليها، ولكن إشفاقاً من اَن تُستحل بقتله حرمه الكعبه وقداسه مكه المكرمه. وفى هذا الظرف الحسّاس، والجو السياسى الخانق، تتواتر الرسائل من العراق قاده وأفراداً تمنّيه النصر، وتُعلن له الطاعه، والانقياد، بما فى ذلك رسائل الذين يعرفهم عن كثب بالولاء والاخلاص، من امثال حبيب بن مظاهر الاسدى، وسليمان بن صرد الخزاعى، والمسيب بن نجبه الفزارى، ورفاعه بن شداد البجلى. ولقد كان هؤلاءِ من اعلام اصحاب ابيه الامام على (عليه السلام).

مندوب الامام الحسين

فيرسل ثقته ومعتمده وابن عمّه مسلم بن عقيل خطوه تمهيديه يستطلع فيها الاوضاع الاجتماعيه والسياسيه والعسكريه، ويمهّد للقدوم. فى سنه (٦٠هـ) من تأريخ الطبرى: ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفه، فنزل دار المختار بن أبى عبيده وهى التى تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب، وأقبلت الشيعه تختلف اليه. فلما اجتمعت إليه جماعه منهم قرأ عليهم كتاب الحسين (عليه السلام). فأخذوا يبكون، فقام عابس بن أبى شبيب

الشاكرى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فانى لا اُخبرك عن الناس ولا اَعلم ما فى أنفسهم وما أغرّك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسى عليه، والله لاجيبنّكم اذا دعوتم، ولأُقاتلنّ معكم عدوكم، ولاضربنّ بسيفى دونكم حتى ألقى الله، لا اُريد بذلك اِلّا ما عند الله. فقام حبيب بن مظاهر الفقعسى فقال: رحمك الله قد قضيت ما فى نفسك بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله الذى لا اله الّا هو على مثل ما هذا عليه. ويكتب مسلم بن عقيل الى الامام الحسين (عليه السلام) أن ثمانيه عشر ألف رجل قد بايعوه فى الوقت الذى قد علمنا فيه حال الامام الحسين (عليه السلام) فى مكه من التربص به والارصاد لقتله.

الاعداد للرحيل

فيعزم الامام الحسين (عليه السلام) على الانتقال الى العراق فيقوم خطيباً فى جماعته قائلًا: خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلاده على جيد الفتاه.. وما أولهنى الى أسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف.. وخيّر لى مصرع أنا لاقيه.. كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملان منى أكراشاً جوفى، وأجربه سغبى. لا محيص عن يوم خط بالقلم.. رضا الله رضانا أهل البيت، لن تشذ عن رسول الله لُحمته، وهى مجموعه له فى حظيره القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز له وعده.. من كان فينا باذلاً مهجته، موطِّنا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فانى راحل مصبحاً.

صلاه الدم

إن هذا النص وثيقه تأريخيه تشهد أنَّ الامام الحسين (عليه السلام) كان عارفاً بشهادته وأن ليس من أهداف ثورته أن تطال يده الحكم لاسباب موضوعيه وان كان أهلًا للحكم وفوق الاهل. أقدم الامام الحسين (عليه السلام) على الشهاده لان الاُمه والاوضاع السياسيه، ودين جده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت بحاجه إلى ذلك الدم الطهور. لقد جاء الامام الحسين (عليه السلام) الى العراق ليصلى صلاه الدم فى محراب العشق الالهى المقدس. ومما يؤكد النص المتقدم ما كتبه الامام الحسين (عليه السلام) الى محمد بن الحنفيه (عليه السلام) خاصه، والى بنى هاشم عامه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن على الى محمد بن على، ومن قِبله من بنى هاشم، أمّا بعد: فانَّ من لحق بى استشهد، ومن لم يلحق بى لم يدرك الفتح. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته نعم، يذهب بعض الفلاسفه، السياسيين، الى أن ما جاء من أحاديث الرسول محمد والامام على صلوات الله عليهما حول قتل الامام الحسين (عليه السلام) مما يصلح الاستدلال على أنَّ الامام

الحسـين (عليه السـلام) كان عالماً بشـهادته مجرده عن القياده السياسـيه للبلاد. قلتُ: ولكننا لا نستطيع الاعتقاد بالرؤيه المذكوره، لقـد كـان الامـام الحسـين (عليه السـلام) عالمـاً بشـهادته، ولكنه هل يعنى هـذا شـهادته بعـد أن يحكم فتره ما وتنقاد له البلاد أَم شهـادته دون أن يجرى فى الساحه السياسـيه شـىء من هـذا القبيل. الاحاديث لا تتطرق الى ذلك. وان كان الامام الحسـين (عليه السـلام) عالماً بشـهادته دون الوصول الى حكم الـدوله عن طريق أدله اخرى. ولتوضـيح الفكره نقول على سبيل المثال: قد أخبر الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) بمقتـل عليٍّ (عليه السـلام). كما انَّ علياً كان يُخبر عن قتله. ولقـد وقع هـذا الامر فعلاً ولكنه (عليه السـلام) قد استشهد بعد أن اَصبح حاكماً وانقادت له أزِّمه الامور. وثمه أدله اخرى على ما تقدم، منها ان الحسين لما خرج من مكه متوجهاً الى العراق وبلغ ذات عِرق، لقيه رجل من بنى اَسد يُقال له بشر بن غالب. فقال له الحسين: ممن الرجل؟ قال: من بنى اَسـد. قـال: فمن أين اقبلت؟ قـال: من العراق. قـال: فكيف خلّفت اَهـل العراق؟ فقـال: يـابن رسول الله خلفت القلوب معك، والسيوف مع بنى اُميه. فقال له الحسين: صدقت يا اَخا بنى اَسد. ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وأثناء مسيره الحســين لقيـه الفرزدق الشـاعر المعروف فى منزل الصـفاح، فقـال الفرزدق يخـبر عـن اوضـاع اهـل العراق: قلـوب النـاس معك وسـيوفهم مع بنى اُميه. بيد أن صدر الحسـين كان مليئاً بالعزم الثابت والتصـميم الاكيد متوجهاً بالشوق الى الله، مصـرّاً على تفجير عبوات الثوره. ثم سار حتى نزل بطن العقبه فلقيه رجل من العرب فقال له: انشدك لما انصرفت، فوالله ما

تقدم اِلّا على الاسنّه وحدّ السيوف. ان هؤلاء الذين بعثوا اليک لو کانوا کفَوک مؤونه القتال، ووطأوا لک الاشياء فقدمت عليهم لکان ذلک رأياً، فأما على هـذه الحال التى تُذکر فلا اَرى أن تفعل. فقال: انه لا يخفى علىّ ما ذکرت ولکن الله عزوجل لا يُغلب على أمره. ثم ارتحـل منها. وهـذا الخبر وغيره يعنى اهميه النظر الى فلسـفه الثوره الحسـينيه لا من الوجهه السياسـيه فحسب بل ان هناک امراً فى غايه الاهميه وراء واقع التحليلات السياسـيه، وهو أن الحسـين قـد کان اطلع ــ عن طريق ما ــ على المشـيئه الالهيه فى ضروره الثوره، ثوره الاسلام المتجدد على الجاهليه المتجدده.

مکان الخارطه

وفى اليوم الثـانى من محرم الحرام من سـنه احـدى وستين نزل الحسـين ارض کربلاء. وهنالـک التحم الطرفـان فى معرکه حاميه الوطيس بين الحق المتجسـد بالحسـين واتبـاعه وبين الباطـل المتجسـد باتباع يزيـد بن معاويه. وکان القتال يوم العاشـر من محرم. وکتب الحسـين واهل بيته واصحابه به اروع صور الدفاع عن الحق، والاستماته من اجل المبادئ. کما اتقن الجيش الظلوم الحقود دوره فى الوحشـيه الکاسـره، وروح الجـاهليه، بـل تعـداها الى حيث الـدرک الاسـفل من المعـامله الوضـيعه والانحطـاط. ونادى الحسـين هل من ناصر ينصرنا؟ هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ فانتفض الامام على زين العابدين (عليه السلام) من فراش المرض. وکـان شديـد العله، منهـار القوى، ولکن قوه الاراده، ورباطه الجأش، وألم المصاب، حرکت بـدناً وانياً فتحرک، وهزت جسداً عليلاً فاهتز اهتزاز المهند، وخطى الخطوات الاولى نحو المعرکه فمنعه الامام الحسـين (عليه السلام) لما به من عله شديده، وخشيه من الامام الحسين (عليه السلام) على نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينقطع وقد

كـاد لو لا اراده الله ولطفه ورعايته. وقـد تقـدم الكلام أن مرض الامام زين العابـدين (عليه السـلام) انما هو بسـبب قطعه لحلقات الـدرع وتمزيقها بيده وقد كان ذلك ايام حوادث كربلاء. وما عدا ذلك فلقد كان يمتلك قوه بدنيه هائله. فعن قدامه بن عاصم: أنه (عليه السـلام) كان ضـخماً من الرجال، وكان يسابق ظباءً فيسبق اوائلها فيردها على اواخرها [۲۳۴] . ان هذه السرعه فى العدو بحيث يسبق الظباء على الرغم من ضخامه الجسد تعنى درجه قصوى من اللياقه البدنيه، والتميز الصحى.

اداء المهمه الرساليه

اراد الامـام الحسـين (عليه السـلام) ان يحمـل الحمله الاخيره فاذا به يهمه اكمال رسالته فى الحياه من ناحيه اخرى، فـدخل خيمه ولـده الامام زين العابدين (عليه السـلام) ومن جمله ما قال له: انى اوصـيك بما اوصـى به جدك رسول الله علياً حين وفاته، وبما اوصـى به جـدك على عمك الحسن، وبما اوصانى به عمك: اياك ان تظلم من لا يجـد عليك ناصـراً الا الله. ليست بـدعاً هذه الوصـيه من الامام الحسـين (عليه السـلام) ان يلقيها على ولده العظيم فى تلك الساعه الحرجه والموقف العصيب، وليس بدعا ان يخص الامام زين العابـدين (عليه السـلام) بالمشافهه بها وهو طريـح الفراش تحفه الاعـداء. فلقـد كان الامامان الهمامان الحسـين وزين العابدين (عليهما السلام) أجلّ من خطط للعداله ومن جسدها فى سلوكه القويم آنذاك، وندد بالظلم والعدوان. وان يكونا قـد ظلما كثيراً ظلماً سياسـياً واجتماعياً فما ظلما احداً من العالمين، ولا شـروى نقير. واخيراً سـقط الامام الحسـين بن على (عليهما السلام) مخضباً بالدماء وقطعوا رأسه. وَتخللوا بين الخيام، فافزعوا النساء والاطفال، واضرموا فى الخيام النيران.

على شفير القتل

ثم انتهـوا الى الامـام على بن الحسـين زين العابـدين (عليه السـلام) فـاراد شـمر قتله، فقـال له حميـد بن مسـلم: سـبحان الله اتقتل الصبيان؟ وكان مريضاً، وجاء عمر بن سـعد فقال: لا يدخلن بيت هذه النسوه احد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض [۲۳۵] . قلت: لقـد كان الامام زين العابـدين (عليه السـلام) فى ملحمه الطف قد تجاوز من العمر عشـرين سـنه، واذا كان لابد من توجيه العباره السالفه فى عـدّه من الصبيان فبمعنى ان شـده مرضه آنـذاك قـد جعلته كأنه من الصبيان فى ظاهر الحال. وهكذا يصـنع المرض. ومن الممكن ان يكون حميد بن مسلم

ينظر الى زين العابدين (عليه السلام) انذاك على انه شاب من الشباب وليس صبيا من الصبيان، ولكنه قد آثر التعبير بالصبى ليصرف بذلك نظر الشمر عن قتل الامام (عليه السلام). لقد عاش الامام زين العابدين (عليه السلام) هذا الفصل وغيره من فصول ملحمه كربلاء التى جرت فى صوره بشعه جداً، قاتمه الالوان، الى ابعد حد. ففيها من الظلم والدناءه والوحشيه ما يقصر الباحث العبقرى، والبليغ المصقع، عن اعطاء الصوره الكامله المعبره عنها.

من كربلاء الى الكوفه

وساق القوم حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كربلاء كما تساق الاسارى، حتى اذا بلغوا بهم الى الكوفه خرج الناس اليهم فجعلوا يبكون وينوحون. والامام على بن الحسين (عليهم السلام) فى وقته ذلك قد نهكته العله فجعل يقول: الا ان هؤلاء يبكون وينوحون من اجلنا فمن قتلنا؟! [٢٣٦] .

ازدواجيه العواطف

لقد كان الامام زين العابدين (عليه السلام) حراً كريماً مستقيماً صادق التعامل، لذا يعجب من الازدواجيه فى الشخصيه عند هؤلاء الذين يذرفون دموع التماسيح على الامام الحسين (عليه السلام)، وهو يعبر عن تعجبه من هذا الامر الغريب اللافت للنظر: الا ان هؤلاء يبكون وينوحون من اجلنا فمن قتلنا؟! لقد استنكر الامام زين العابدين (عليه السلام) البكاء الكذوب فى الوقت الذى كانت تسح من عينيه الدموع الساخنه حزناً وحرقه قلب على مصائب آل الرسول. وكان ضمن منهجه فى استمراريه ثوره الامام الحسين (عليه السلام) ان يحرض الناس على البكاء ويدعوهم اليه ولكنه البكاء الصادق المعبر عن الحب الخالص، والتأثر العميق. فعن ابى جعفر (عليه السلام) (محمد الباقر) قال: كان على بن الحسين (عليه السلام) يقول: ايما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن على (عليه السلام) دمعه حتى تسيل على خده بوأه الله بها فى الجنه غرفاً يسكنها احقاباً. وايما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لاذىً مسّنا من عدونا فى الدنيا بوأه الله بها فى الجنه مبوّأ صدق. وايما مؤمن مسه اذىً فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من فضاضه ما أوذى فينا صرف الله عن وجهه الاذى، وآمنه يوم القيامه من سخطه والنار [٢٣٧] . ويبدو أن البكاء والنحيب، الذين أظهرهما الناس فى الكوفه لم يكونا أمرين عاديين كما

ذكر، فقد روى أن الناس ضجوا بالبكاء والنوح، ونشرت النساء شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، فلم ير باكيه وباك اكثر من ذلك اليوم. ولا بد أن يكون هذا ندماً على ما وقع منهم بحق الامام الحسين (عليه السلام) فانهم كانوا بين قاتل جرىء على الله، وخاذل جرى على النكث، إلاّ قليلاً منهم. ثم ان الامام زين العابدين (عليه السلام) أومأ الى الناس أن اسكتوا، فقام قائماً فحمد الله واثنى عليه، وذكر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم صلى عليه، ثم قال: ايها الناس من عرفنى فقد عرفني، ومن لم يعرفنى فانا اُعرّفه بنفسى. أنا على بن الحسين بن على بن ابى طالب (عليهم السلام)، أنا ابن من انتهكت حرمته، وسُلبت نعمته، وانتُهب ماله، وسُبى عياله. اَنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولاـ تراث. أنا ابن من قُتل صبراً وكفى بذلك فخراً. ايها الناس ناشدتكم الله هل تعلمون انكم كتبتم الى أبى وخدعتموه وأعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعه وقاتلتموه؛ فتباً لما قدّمتم لانفسكم وسوءه لرأيكم. بأيه عين تنظرون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يقول لكم: قتلتم عترتى، وانتهكتم حرمتى، فلستم من امتى. قال الرواى: فارتفعت الاصوات من كل ناحيه، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون. فقال (عليه السلام): رحم الله امرأً قبل نصيحتى، وحفظ وصيتى فى الله وفى رسوله واهل بيته، فانّ لنا فى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اسوه حسنه. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يابن رسول الله سامعون مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك. ولا راغبين عنك، فمُرنا بأمرك يرحمك الله، فانّا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد

لعنه الله ونبرأ ممن ظلمك. فقال (علیه السلام): ایها الغدره المکره، حیل بینکم وبین شهوات انفسکم، أتریدون أن تأتوا إلی کما أتیتم الی آبائی من قبل، کلا ورب الراقصات [۲۳۸] فان الجرح لمّا یندمل، قُتل أبی صلوات الله علیه بالامس، وأهل بیته معه، ولم ینسنی ثکل رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) وثکل أبی، وبَنی أبی، ووجده بین لهاتی، ومرارته بین حناجری وحلقی، وغصصه تجری فی فراش صدری، ومسألتی أن تکونوا لا لنا ولا علینا، ثم قال: لاغرو إن قتل الحسین فشیخه قد کان خیراً من حسین وأکرما فلا تفرحوا یا أهل کوفان بالذی أصیب حسین کان ذلک أعظما قتیل بشط النهر روحی فداؤه جزاء الذی أرداه نار جهنما ثم قال: رضینا منکم رأساً برأس، فلا یوم لنا ولا یوم علینا [۲۳۹] .

حوار مع الجبار

وفی الکوفه أدخل الامام زین العابدین (علیه السلام) ومن معه علی بن زیاد و کان فظاً، غلیظ الطبع، جباراً، سفاکاً للدماء. قال المؤرخ القدیر أحمد بن أعثم: فالتفت ابن زیاد الی علی بن الحسین (رضی الله عنه) قال: أو لم یقتل علی بن الحسین؟ قال: ذاک أخی وکان اکبر منی فقتلتموه. وان له مطلاً منکم یوم القیامه. فقال ابن زیاد: ولکن الله قتله. فقال علی بن الحسین (رضی الله عنه) (الله یتوفیّ الانفس حین موتها) [۲۴۰] . «وهنا یقول ابن زیاد لبعض جلسائه»: خذه إلیک الان فاضرب عنقه. قال فتعلقت به عمته زینب بنت علی وقالت له: یابن زیاد انک لم تبق منا أحداً فان کنت عزمت علی قتله فاقتلنی معه. فقال علی بن الحسین لعمته: اسکتی حتی اکلّمه. ثم أقبل علی (علیه السلام) علی ابن زیاد فقال: أبالقتل تهددنی؟!

أما علمت ان القتل لنا عاده وكرامتنا الشهاده. قال: فسكت ابن زياد ثم قال: أخرجوهم عنى [۲۴۱] . نعتقد ان ابن زياد ما استشاط غضباً لرد الامام على بن الحسين (عليهما السلام) بجرأه كما استشاط غضباً لعدم قدرته على الجواب المُصيب، وخلو تفكيره من الرد الكفوء. (۲) لم تكن ثوره الامام الحسين (عليه السلام) وليده مقطع زمنى تنتهى بانتهائه، بل إِن لها من مبررات الوجود ما يجعلها خالده فى الخوالد. لقد اختزنت ثوره الامام الحسين (عليه السلام) مفردات تنظيريه كثيره سياسيه وثوريه وروحيه قلّما تتوفر فى ثوره اخرى من الثورات على مر التأريخ. ثوره الحسين (عليه السلام) ثوره ضاربه فى اعماق الحضاره الاسلاميه والتاريخ والضمير الانسانى والامه الاسلاميه. إن التاريخ لا يمكن أن تتخلى صفحاته عن الاحرف المضيئه لدور الامام الحسين (عليه السلام) الرسالى، إلّا إذا تخلت الشمس عن دفيق ضوئها. كيف ينفصل الضمير الانسانى عن وحى ثوره الحسين الاّ اذا انفصل القلب عن نبضاته. ويعتقد الامام على زين العابدين بالحسين بن على (عليهم السلام) اماماً هادياً، وبملحمه الطف قضيه عادله اعتقاداً يقينياً خالصا من كل شوب. فيشارك فى الثوره إبّانها، ويدخل بعقليته الجباره، وتفكيره الحكيم، وجرأته الساميه، وروحه الكبيره، وكل شىء فى كيانه فى سياق امتداداتها البعيده مساهماً ايما مساهمه فى الخطط التنمويه لها. لم تكن الجهود السياسيه والثوريه التى بذلها الامام زين العابدين (عليه السلام) دعماً لثوره كربلاء سواء فى العراق او الشام او الحجاز جهوداً عائمه منفصله عن مجمل التنظير الكامل للثوره. لقد اراد الامام زين العابدين (عليه السلام) ان ينقل آليات التحرك الثورى والوعى الرسالى الناهض من كربلاء الى الكوفه ومن ثم الى الشام والمدينه المنوره. مع العلم ان العراق والشام

والحجاز وقتئذ تعتبر اكبر مراكز الثقل السياسى فى العالم الاسلامى. ولئن كان الامام زين العابدين (عليه السلام) مجبراً على التنقل من كربلاء الى المدينه المنوره ضمن هذه المسيره بأمر من السلطه الحاكمه _ ما عدا المدينه المنوره _ فإنه استطاع ان يقول كلمته ويعلن أحقيه الامام الحسين (عليه السلام) وتهافت اعدائه على الرغم من الاجواء الخانقه والاستبداد السياسى، وشده التوتر فى العلاقات بين الحاكم والمحكوم. ونزداد اعجاباً واكباراً لدوره الخطير اذا علمنا بمرضه الشديد فى تلك الفتره.

امتداد الثوره الى الشام

بعد تلك المواجهه العنيفه بين الامام على بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) وعبيد الله بن زياد امر ابن زياد باخراجهم وانزالهم فى دار إلى جنب المسجد الاعظم. ثم دعا ابن زياد زحر بن قيس الجعفى فاعطاه رأس الامام الحسين (عليه السلام) ورؤوس اخوته واهل بيته وشيعته ودعا بعلى بن الحسين (عليه السلام) فحمله وحمل عماته واخواته وجميع نسائهم معه الى يزيد، فسار القوم بحرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الكوفه الى بلد الشام على محامل بغير وطاء، من بلد الى بلد، ومن منزل الى منزل كما تساق الترك والديلم [٢٤٢] . ولم يكن الامام على بن الحسين (عليه السلام) يكلم احداً من القوم الذين معهم الرأس فى الطريق كلمه واحده حتى بلغوا الشام. فلما انتهوا الى باب يزيد رفع محفر بن ثعلبه صوته فقال: هذا محفر بن ثعلبه أتى امير المؤمنين باللئام الفجره، فأجابه على بن الحسين (عليهما السلام): ما ولدت ام محفر أشرّ والام [٢٤٣] .

الحقيقه تفرض نفسها

وأُتى بحرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اُدخلوا مدينه دمشق من باب يقال له باب توماء، ثم اُتى بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبى. واذا بشيخ قد اقبل حتى دنا منهم. وقال: الحمد لله الذى قتلكم واهلككم، واراح الرجال من سطوتكم، وامكن امير المؤمنين منكم. فقال له على بن الحسين: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته. قال: فعرفت هذه الايه (قل لا اسألكم عليه اجراً الا الموده فى القربى)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. قال على بن الحسين (رضى الله عنه): فنحن القربى يا شيخ. قال: فهل قرأت فى سوره بنى اسرائيل (وآت

ذا القربى حقه)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. فقال على (رضى الله عنه): نحن القربى يا شيخ. ولكن هل قرأت هذه الايه (واعلموا ان ما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. قال (على): فنحن ذو القربى يا شيخ. ولكن هل قرأت هذه الايه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. قال على: فنحن اهل البيت الذين خصصنا بآيه الطهاره. قال: فبقى الشيخ ساعه ساكتاً نادماً على ما تكلمه ثم رفع رأسه الى السماء وقال: اللهم انى تائب اليك مما تكلمته ومن بغض هؤلاء القوم، اللهم انى ابرأ اليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والانس [۲۴۴].

حوار كحد الحسام

ثم أُتى بهم حتى اُدخلوا على يزيد. قيل: ان اول من دخل شمر بن ذى الجوشن بعلى بن الحسين، مغلوله يداه الى عنقه. فلما نظر الى على بن الحسين (رضى الله عنه) قال له: من انت يا غلام؟ فقال: انا على بن الحسين. فقال: يا على ان اباك الحسين قطع رحمى، وجهل حقى، ونازعنى سلطانى، فصنع الله به ما قد رأيت. فقال على بن الحسين: (ما اصاب من مصيبه فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير). فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه يا بنى فلم يدر خالد ماذا يقول. فقال يزيد: (وما اصابكم من مصيبه فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير). فتقدم على بن الحسين حتى وقف بين يدى يزيد وقال: لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتأذونا فالله يعلم أنا لا نحبكمُ ولا نلومكمُ ان لم

تحبونا فقال يزيد: صدقت يا غلام ولكن اراد ابوك وجدك ان يكونا اميرين، فالحمد لله الذی اذلهما وسفک دماءهما. فقال له علی بن الحسین: یابن معاویه وهند وصخر لم تزل النبوه والامره لابائی واجدادی من قبل ان تولد ولقد کان جدی علی بن ابی طالب فی یوم بدر واُحد والاحزاب فی یده رایه رسول الله، وابوک وجدک فی ایدیهما رایات الکفر. ثم جعل علی بن الحسین (علیه السلام) یقول: ماذا تقولون ان قال النبی لکم ماذا فعلتم وانتم آخر الامم بعترتی وبأهلی بعد مفتقدی منهم أساری ومنهم ضرجوا بدم ما کان هذا جزائی اذ نصحتکم ان تخلفونی بسوء فی ذوی رحمی ثم قال الامام علی بن الحسین (علیه السلام): ویلک یا یزید انک لو تدری ماذا صنعت، وما الذی ارتکبت من ابی واهل بیتی واخی وعمومتی، اذن لهربت الی الجبال، وافترشت الرمال، ودعوت بالویل والثبور أیکون رأس ابی الحسین بن علی وفاطمه منصوبا علی باب مدینتکم وهو ودیعه رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) فیکم؟ فابشر یا یزید بالخزی والندامه اذا جمع الناس غداً لیوم القیامه. ثم دعا یزید بالخاطب وامر بالمنبر فاحضر ثم امر الخاطب فقال: اصعد المنبر فخبر الناس بمساوئ الحسین وعلی وما فعلا. قال: فصعد الخاطب المنبر فحمد الله واثنی علیه. ثم اکثر الوقیعه فی علی والحسین، واطنب فی معاویه ویزید فذکرهما بکل جمیل. قال فصاح علی بن الحسین: ویلک ایها الخاطب اشتریت مرضاه المخلوق بسخط الخالق، فانظر مقعدک من النار. ثم قال علی بن الحسین (علیه السلام): یا یزید اتأذن لی ان اصعد هذه الاعواد فاتکلم بکلام فیه رضا لله ورضا هؤلاء الجلساء واجر وثواب؟

خطاب دمشق

قال فأبی یزید ذلک.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له ليصعد المنبر، لعلنا نسمع منه شيئا. فقال لهم: ان صعد المنبر لم ينزل الا بفضيحتى وفضيحه آل ابى سفيان. قيل له: يا امير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا. فقال: انه من اهل بيت قد زقوا العلم زقاً. قال: فلم يزالوا به حتى اذن له بالصعود فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه، ثم خطب خطبه ابكى منها العيون، واوجل منها القلوب فقال فيها: ايها الناس اعطينا ستاً، وفضلنا بسبع: اعطينا العلم والحلم والسماحه والفصاحه، والشجاعه والمحبه فى قلوب المؤمنين. وفضلنا بأن منا النبى المختار محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنا الصديق ومنا الطيار ومنا اسد الله واسد الرسول ومنا سيده نساء العالمين فاطمه البتول، ومنا سبطا هذه الامه وسيدا شباب اهل الجنه. «وفى روايه: ومنا مهديها». فمن عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى انبأته بحسبى ونسبى. انا ابن مكه ومنى، انا ابن زمزم والصفا. انا ابن خير من طاف وسعى، انا ابن خير من حج ولبّى، انا ابن من اسرىَ به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، فسبحان من اسرى، انا ابن من بلغ به جبرئيل الى سدره المنتهى، انا ابن من اوحى اليه الجليل ما اوحى، انا ابن محمد المصطفى، انا ابن على المرتضى، انا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا اله الاّ الله، انا ابن من ضرب بين يدى رسول الله بسيفين، وبايع البيعتين، وصلى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفه عين. انا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين. انا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل. انا ابن المحامى عن حرم المسلمين، وقاتل

النـاكثين والقاسـطين والمـارقين، والمجاهـد اعـداءه الناصبين، وافخر من مشـى من قريش اجمعين، واول من اجاب واسـتجاب لله ولرسوله من المؤمنين. واقـدم السـابقين، وقـاصم المعتـدين ومبير المشـركين، وسـهم من مرامى الله على المنافقين، ولسان حكمه العابدين. وناصـر دين الله، وولى امر الله، وبستان حكمه الله، وعيبه علم الله. سمح سخى بهلول زكى، ابطحى رضى مرضى، مقدام همـام، صابر صوّام، مهـذب قوام، شـجاع قمقام، قاطع الاصـلاب، ومفرق الاحزاب، اربطهم جنانا، واطلقهم عناناً، واجرأهم لسانا، وامضـاهم عزيمه واشـهدم شـكيمه، اسـد باسـل، وغيث هاطل، يطحنهم فى الحروب _ اذا ازدلفت الاسـنه وقربت الاعنّه _ طحن الرحى، ويـذروهم ذرو الريـح الهشـيم.. ليث الحجـاز وكبش العراق. مكى مـدنى، ابطحى تهـامى، خيفى عقـبى، بـدرى احـدى، شجرى مهاجرى من العرب سـيدها، ومن الوغى ليثها. وارث المشـعرين، وابو السـبطين، الحسن والحسـين. مظهر العجائب ومفرق الكتـائب، والشـهاب الثـاقب، اسـد الله الغـالب، مطلوب كـل طالب، ذاك جـدى على بن ابى طالب. انا ابن فاطمه الزهراء، انا ابن سيـده النساء، انا ابن الطهر البتول، انا ابن بضـعه الرسول. قال ولم يزل يقول انا انا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشـى يزيد ان تكون فتنه، فأمر، المؤذن ان يؤذن فقطع عليه الكلام وسـكت؛ فلما قال المؤذن: الله اكبر، قال على بن الحسـين: كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يـدرك بالحواس، لا شـىء اكبر من الله. فلما قال: اشـهد ان لا اله الاّ الله، قال على: شـهد بها شـعرى وبشـرى، ولحمى ودمى، ومخى وعظمى. فلما قال: اشهد ان محمداً رسول الله، التفت على من اعلى المنبر الى يزيد وقال: يا يزيد محمد هذا جدى ام جدك؟ فإن زعمت انه جدك فقد كذبت، وان قلت: انه جدى فلم قتلت عترته؟!. قال:

وفرغ المؤذن من الاذان والاقامه فتقدم يزيد وصلى صلاه الظهر [۲۴۵] . فلما فرغ من صلاته أمر بعليّ بن الحسين واخواته وعماته رضوان الله عليهم ففرَّغ لهم داراً فنزلوها. وأقاموا أياماً يبكون وينوحون على الحسين (عليه السلام) [۲۴۶] .

الطاغوت والمحاوله الانهزاميه

واستخلى يزيد يوماً بعلى بن الحسين (عليه السلام) ثم قال له: لعن الله ابن مرجانه. أما والله لو أنى صاحب أبيك ما سألنى خصله إلا أعطيته اياها، ولدفعتُ الحتف عنه بكل ما استطعت. قلت: اعتذر يزيد الى الامام على بن الحسين (عليه السلام) متناسياً أوامره الى السلطه التنفيذيه بقتله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبه، ومتناسياً أنه كان بعد قتله ينكت فمه بمخصره فى يده ويقول: «ليت أشياخى ببدر شهدوا..» وانه أمر أن يُصلب الرأس الشريف على باب داره، وانه فى تلك الحاله دخلت عليه امرأته هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز فوثبت على يزيد وقالت: أرأس ابن فاطمه على باب دارى، فغطاها يزيد وقال: نعم فاعولِى عليه يا هند وابكى على ابن بنت رسول الله وصريحه قريش «فاطمه»؛ عجّلَ عليه ابن زياد فقتله قتله الله [۲۴۷] . ومنذ ذلك الوقت أخذ ابن معاويه بمحاوله التنصل من الجريمه الكبرى، قتل ريحانه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتاره يلقى المسؤوليه على الحسين نفسه، واخرى يلقى اللائمه واللعنه على ابن مرجانه «عبيد الله بن زياد». ولا أدلّ على رضاه بقتل الحسين بل أمره بقتله من الوثيقه التاريخيه المذكوره آنفاً، ففى الوقت الذى يصلب رأسه على باب داره، وزوجته هند تعترض عليه فى ذلك يقول: نعم، أى صلبته على باب دارى، فاعولى عليه يا هند وابكى على ابن بنت رسول الله. كل ذلك ناتج من

إحساس السلطه الغاشمه بعظيم ما ارتكبت، وخطأ ما قدمت، لاحياء من الله تعالى وخوفاً من العذاب الاليم فى الدار الاخره يوم (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام) [۲۴۸] ولا أن لهم ضميراً حياً فبدأ يتيقظ بعد أن تهاوى فى الحضيض، ولكن خشيه من تفاقم الاوضاع السياسيه المتدهوره، وانفجار عبوات الوجدان الاسلامى الذى بدأ يتوثب، ويتساءل ويندهش، حتى فى بيت يزيد، مما مرَّ من صنيع هند مع يزيد واستنكارها لموقفه الشائن المقيت، وانه لما دخلت النسوه دار يزيد لم تبق امرأه من آل معاويه إلّا استقبلتهن بالبكاء والصراخ، والنياحه والصياح على الحسين، وألقين ما عليهن من الحليّ والحلل. وأقمن المآتم عليه ثلاثه أيام [۲۴۹] . انّ محاوله التنصل من الجرائم التى تنكشف للعيان سياسه اكثر الحكام الطواغيت منذ العصور المتقدمه حتى العصر الحاضر، فتتظاهر القيادات السياسيه المتوغله فى الظلم والغدر بالانسانيه والتأسف لما وقع، والاعتذار مما حدث، وتحيل مسؤوليه الجرائم على السلطات التنفيذيه، واحياناً تنهكها عقوبه، وتصب عليها جام الغضب والعذاب الاليم. كل هذا أمر واضح وأمثلته كثيره جداً، وفى صفحات التأريخ السياسى وتقارير المراقبين شواهد لا تحصى. بيد أن الامام على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) لم ينخدع بادعاء يزيد ومحاولته الانهزاميه، فكاشفه بكل قوه وحزم ـ وجها لوجه ـ: ويلك يا يزيد إنك لو تدرى ما صنعت وما ارتكبت من أبى وأهل بيتى وأخى وعمومتى اذن لهربت فى الجبال، وفرشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور. وفى تأريخ ابن الاثير خبر طريف جداً يؤكد ما مر من الرضا الذى عليه يزيد بن معاويه، والارتياح البالغ لقتل الحسين بن على (عليهما السلام) ثم الالتجاء الى محاولات التنصل الفارغه التى لم تُجْده أو تسعفه فى المقام. فإليك

نص الخبر [۲۵۰] . وقيل: لمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثم لم يلبث حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم له فندم على قتل الحسين، فكان يقول: و ما عليَّ لو احتملت الاذى وانزلت الحسين معى فى دارى وحكّمته فيما يريد، وان كان عليّ فى ذلك وهن فى سلطانى حفظاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورعايه لحقه وقرابته. لعن الله ابن مرجانه فانه اضطره وقد سأله أن يضع يده فى يدى أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله، فلم يجبه الى ذلك فقتله، فبغّضنى بقتله الى المسلمين، وزرع فى قلوبهم العداوه، فابغضنى البرّ والفاجر بما استعظموه من قتلى الحسين، ومالى ولابن مرجانه، لعنه الله وغضب عليه! [۲۵۱] . وفى الشام وقد تراخت قضبان الديكتاتوريه شيئاً ما، ولانت أغلالها، وبعد تلك المشادّات الكلاميه والمناورات الحاده خرج الامام عليّ بن الحسين (عليه السلام) ذات يوم فجعل يمشى فى سوق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو الضبابى فقال: كيف أمسيت يابن رسول الله؟ فقال: أمسيت والله كبنى اسرائيل فى آل فرعون. يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم. يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عربى، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً قرشى منها، وأمسينا آل بيت محمد ونحن مغصوبون مظلومون مقهورون مقتولون مشرَّدون مطرودون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون على ما أمسينا يا منهال. وذكر السيد ابو طالب هذا الحديث وزاد فيه: وأصبح خير الامه يُشتم على المنابر، وأصبح شرّ ألامه يمدح على المنابر، وأصبح مُبغضنا يُعطى الاموال، ومَن يُحبّنا منقوصاً حقه [۲۵۲] .

البلوره السياسيه للقربى

هذه كلمات دقيقه المحتوى، ذات

بعد سياسى لا ينبغى أن يخفى، فإن أجلّ مفاخر الشعب العربى على غيره من الشعوب كون الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عربى الانتساب. واذا كان هذا مفتخراً سامياً للعرب عامه، فهو مفتخر لقريش خاصه فإنهم قومه وذووه. ولكن أليس من المنطق السليم اذا كان افتخار قريش على العرب لانتماء الرسول إليهم أن يكون آل محمد وعترته الادنون أولى بالافتخار، وأقرب لشرف الانتساب؛ فاذا كانت لقريش خصوصيه فى هذا الامر فان قرابته الادنين أشد أختصاصاً. ولقد بلورت قريش المفتخر المذكور بلوره سياسيه؛ فهو الحجه الدامغه، والمبرّر الكافى عندها وفى مخططها المدروس للاستيلاء على الخلافه الاسلاميه. ومن العجب أنَّ الاستغلال البشع لقرابه رسول الله لم يقتصر عليه بل تعدّاه الى استغلال القرابه من الصديقه فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى فيما يضيرها ويسحق كرامتها. فانه لمّا استشهد الامام الحسين (عليه السلام) صعد عمرو بن سعيد أمير المدينه المنبر وخطب وقال فى خطبته: انها لدمه بلدمه، وصدمه بصدمه، وموعظه بعد موعظه «حكمه بالغه فما تغنى النذر». فقام اليه عبد الله بن السائب فقال: أما لو كانت فاطمه حيّه فرأت رأس الحسين لبكت عليه. فجبهه عمرو بن سعيد وقال: نحن أحق بفاطمه منك، أبوها عمّنا، وزوجها أخونا، وابنها ابننا، أما لو كانت فاطمه حيه لبكت عينها، وحزن كبدها، ولكن ما لامت من قتله ودفع عن نفسه.

حزن والتياع

وقبل أن نغادر الحديث عن الاوضاع المأساويه وانشطه الامام زين العابدين (عليه السلام) فى الشام نودّ أن نؤكد إضافه الى ما مرَّ فى سياق الحديث ونشير الى عمق النوائب التى واجهها الامام على زين العابدين وأهل بيت الحسين (عليهم السلام) وهم فى الطريق الى الشام، وفى الشام

نفسه حتى ان الامام زين العابـدين (عليه السـلام) كان يتحـدث عنها بكل حزن والتياع حتى ذكرت له مقاطع شـعريه كان يقولها وهويتنقـل فى كهوف المظـالم والمحن من كهف الى كهف، فمن ذلـك المقطوعه التى أولهـا: أقـاد ذليلاً ـ فى دمشق كأننى من الزنج عبد غاب عنه نصير والقطعه التى أولها: ساد العلوج فما ترضى بذا العرب وصار يقدم رأس الاُمه الذنب والقطعه التى أولها: هـذا الزمـان فمـا تفنى عجائبه عن الكرام ولا تفنى مصائبه ولقـد سأله ابنه الامام محمـد الباقر صـلوات الله عليه عن حمل يزيـد له فقـال: حملنى على بعير يظلـع بغير وطـاء، ورأس أبى الحســين (عليـه السـلام) على علـم، ونسوتنـا خلفى على بغـال غير مـؤكفه، والفـارضه «الجلاـوزه» خلفنـا وحولنا بالرماح، إن دمعت من أحـدنا عين قُرع رأسه بالرمـح، حتى اذا دخلنا دمشق صاح صائـح: يا أهـل الشـام هؤلاـء سـبايا اهـل البيت الملعون. وأخيراً قـال يزيـد لعلى بن الحسـين (عليه السـلام): اذكر ما حاجاتک الثلاث التى وعدتک بقضائهن، فقال له: الاُولى أن تريني وجه سـيدى ومولاى أبى الحسـين (عليه السـلام) فأتزود منه. والثانيه أن تردّ علينا ما اُخـذ منـا، والثالثه ان كنت عزمت على قتلى أن توجه مع «هـذه» «هؤلاء» النسوه من يردّهن الى حرم جـدّهن (صـلى الله عليه وآله وسـلم). فقال أمّا وجه ابيک فلا تراه أبـداً، وأما ما اُخـذ منكم فأنا اعوضـكم عليه أضـعاف قيمته، فقال: أما مالک فلا نريده، وهو موفَّر عليك; وانما طلبت ما اُخذ منا لان فيه مغزل فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومقنعتها وقلادتها وقميصها. فأمر بردِّ ذلك وزاد فيه من عنده مئتى دينار، فأخذها الامام زين العابدين (عليه السلام) وفرّقها فى الفقراء. (٣) ولمّا اعتقد

يزيـد بانتهاء مهمته فى جلب أبناء النبوه الى دمشق سيَّر القافله الى المـدينه، وأمر برعايتهم فى الطريق، فتحرك الموكب الربّانى. موكب العقيـده والفـداء حتى إذا كانوا ببعض الطريق رغبوا الى المسؤول المعين على حراسـتهم من قبل يزيـد أن ينطلق بهم الى كربلاء، فاسـتجاب لهم، وهناك حيث وصلوها ألفوا الصحابى الجليل جابر بن عبدالله الانصارى وجماعه من بنى هاشم قد وردوا لزيـاره الامـام الحسـين (عليه السـلام)، فـارتفعت الاـصوات بالبكـاء والعويل، وتجسـدت لهم مره اخرى وقائع كربلاء حيث مقتل الصـفوه من رجال الله. واتجه الموكب بعـد ذلك الى مـدينه الرسول تصـطحبه الهيبه والجلال، والحزن العميق والدموع الساخنه، والقلوب المفعمه بالوجـد والاسـى، حتى اذا أوشـك الموكب على الوصول، وشـارف مـدينه الرسول التفت الامام زين العابـدين (عليه السـلام) الى بشر ابن حذلم فقال له: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شىء منه؟ فقال: بلى يابن رسول الله انى شاعر، فقال (عليه السـلام): ادخل المدينه وانع أبا عبد الله (عليه السـلام). فعندئذ أمره الامام أن يدخل المدينه ويلقى بيان قتل الحسـين (عليه السـلام) بصـياغه شعريه. فينظم بشر بيتين من الشعر، وما إن دخل فى المدينه وبلغ مسجد النبى (صلى الله عليه وآله وسـلم) حيث العمق الاستراتيجى حتى صاح صـيحه المستغيث، ونادى نداء الثائر، ليحرك الجماهير ويُلهب المشاعر: يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسـين فأدمعى مـدرار الجسم منه بكربلاء مضـرج والرأس منه على القناه يدار فاجتمع الناس ـ وهم من كـل حـدب ينسـلون ـ وأذهلهم النـداء، وعم البكاء، واضـطرب الناس حتى اهتزت ارجاء المـدينه وهم يستزيـدون بشـراً من التعرّف على هذه المصيبه الهائله وهو ينبئهم بمجمل الاحداث، ويدلّهم على وصول موكب السبايا حيث

نزل الامام على بن الحسين (عليه السلام) فى أطراف المدينه وحطّ رحله هنالك، وضرب فسطاطه، وانزل نساءه. فسار الناس أفواجاً أفواجاً الى الموكب.

خطاب المدينه أو فتيل الثوره

فأمر الامام زين العابدين (عليه السلام) بكرسى فنصب له، وان عويل الجماهير وصراخها يشق عنان السماء. فأومأ الامام إليهم أن انصتوا فأنصتوا وراح يدلى بخطاب تأريخى هام، حيث يقول: الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذى بعد فارتفع فى السموات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الامور، وفجائع الدهور، ومضاضه اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعه الكاظه الفادحه الجائحه. أيها القوم: ان الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليله فى الاسلام عظيمه قتل أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) وسبى نساؤُهُ وصبيته وداروا برأسه فى البلدان من فوق عالى السنان وهذه الرزيه التى لامثلها رزيه. ايها الناس، فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله، أم أى فؤاد لا يحزن من أجله، أم أيه عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسموات بأركانها والارض بأرجائها والاشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار والملائكه المقربون وأهل السموات أجمعون يا ايها الناس، أى قلب لا ينصدع لقتله، أم أى فؤاد لا يحن اليه، أم أى سمع يسمع هذه الثلمه التى ثلمت فى الاسلام ولا يصم؟ ايها الناس، أصبحنا مطرودين مشردين مذودين وشاسعين عن الامصار كأنا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبنا ولا ثلمه فى الاسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا فى أبائنا الاولين إن هذا إلاّ اختلاق. والله لو أن النبى تقدم إليهم فى الوصايه بنا لما زادوا على ما فعلوا فأنّا لله وانا اليه راجعون من مصيبه ما أعظمها وأوجعها وأفجعها

واكظّها وافظعها وأمرّها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا فانه عزيز ذو انتقام [۲۵۳] .

تكريس المظلوميه

لقد جسَّد الخطاب ــ على قصره ــ واقعه كربلاء مركزاً على المظلوميه التى لحقت بأهل البيت من قتل الحسين (عليه السلام) من جانب، واسر اهل بيته من جانب آخر. ولم يكتف الجناه بذلك بل نصبوا رأس الحسين فوق السنان، ينقل من بلد الى بلد من جانب ثالث. وعقب الامام زين العابدين (عليه السلام) على ذلک بتلميحه سريعه، ولكنها معبره ومؤثره، الى ما لقىَ شخصياً ومن معه من آل بيت الرسول من السبى والتشريد، فاذا كان الترک والكابليون يؤسرون فى الحروب بسبب شركهم آنذاک فلماذا يعامل اهل بيت الرسول معامله الاسرى وهم اهل الايمان والاستقامه، وقاده الخير والرحمه والفضيله؟! ثم ينتهى الامام زين العابدين (عليه السلام) إلى القول: والله لو أَنّ النبى تقدم اليهمفى قتالنا، كما تقدم اليهم فى الوصايه بنا لما زادوا على ما فعلوه. وهذه كنايه بديعه نادره عن منتهى مخالفه القياده السياسيه، والسلطه التنفيذيه لاوامر الرسول وتوجيهاته وتعاليمه حول اعطاء اهل بيته حقوقهم موفوره، واكبارهم ومحبتهم. اى أنّ ازلام النظام الذين يحكمون باسم الرسول الاعظم قد جنوا على اهل بيته بأقصى ما يقدرون عليه من الجنايه والهتک والاجرام. ومن هنا نعلم أن عليا زين العابدين (عليه السلام) قد ابتغى من الخطاب تكريس مظلوميه اهل البيت لصالح الروح الثوريه والنهضه الواعيه ضد الطغيان والجبروت.

ابعاد التوقف على المشارف

ينبغى لفت النظر الى أمر فى غايه الاهميه من الوجهه السياسيه وهو السبب الذى من اجله لم يدخل موكب الامام زين العابدين (عليه السلام) الى المدينه مباشره بل أمر بالتوقف على مشارفها وهبط هناک وارسل مندوباً عنه الى اهل المدينه ينعى الحسين (عليه السلام) ويعلمهم بوجود موكب السبايا باطراف المدينه. قد تكون العله فى ذلک احد الاحتمالات التاليه، او

أنَّ هـذه الامور مجتمعه تكوّن العله التامه لسياسه الامام زين العابـدين (عليه السـلام) فى هـذا الشأن: أ ـ لقـد اراد زين العابدين (عليه السـلام) اين يعطى زخماً سياسـياً عالياً ـ حسب المسـتطاع ـ يتناسب وحجم ملحمه كربلاء. وقد كان يتوقع أن يخرج اهل المـدينه بأسـرهم اسـتجابه للحـدث العظيم، واسـتماعاً للبيـان التأريخى الـذى سـيدلى به فيما يخص الحادث. ان تحقيق مثل هـذا المطلب ليحتاج الى مكان رحيب جداً، يسـتوعب عشرات الالوف من المدنيين رجالاً ونساء وصبياناً. فى الوقت الذى قد ارتفعت الكثافه السـكانيه للمدنيين فلقد كانت المدينه الى عهد قريب عاصمه الامه الاسلاميه. ومن نافله القول أنه ليس بالامكان ان يضم بيت من البيوت مهما اتسع، ولا المسجد النبوى تلك الاعداد الغفيره. فاختار الامام زين العابدين (عليه السلام) افضل الاماكن من حيث المسـاحه أرضاً فضاء رحيبه خارج المـدينه، تتسع لاكبر كمّ جماهيرى يناله الاحتمال. ب ـ اراد الامام زين العابـدين (عليه السـلام) ان يعرف حجم الاسـتجابه الواعيه لملحمه كربلاء، ومقـدار التفاعـل معهـا ـ لا ـ عن طريق النظره القبليه ـ بل عن طريق التظاهره الشـعبيه العارمه التى تنطلق ـ عن ادراك واراده ـ نحو المكان الـذى يحـدده لها خارج المدينه وذلك لايتأتى فى ازقه معينه او غير معينه، او المسـجد النبوى، او ديار، او غيرها من الاماكن داخل المـدينه، قـد مرنوا على ارتيادها يومياً وبصوره عابره؛ فاختـار لهم المكـان خارج المـدينه. ولقـد كان هـذا المكان المختار ـ بحق ـ بمثابه المقر العام للقياده. ج ـ ـ فى حاله افتراض دخول الامام زين العابدين (عليه السلام) ومن معه الى المدينه مباشره اى دون الخطّه التى وضعها (عليه السلام) فانه سوف يكون دخولا عادياً غير محرك او فاعل فى الساحه

الشعبيه او السياسيه. انهم يدخلون ـــ حسب هذا الافتراض ـــ كما يدخل الغائب بعد الاياب الى الوطن، او الاسير اذا اطلق سراحه. بينما كان الامام زين العابدين (عليه السلام) يتوخى تحريك الساحه، وتوجيه الانظار الى خط الثوره، والى ما لقيه آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاسى والاضطهاد والتعذيب. د ـــ لقد جهد النظام الغاشم فى اذلال اهل البيت النبوى اذ قد نقلهم على أسوأ حال من بلد الى بلد. على جمال بغير وطاء، موثوقين من العراق الى الشام بالحبال. او كما قال الامام زين العابدين (عليه السلام) فى الخطاب الموجّه لاهل المدينه: أيها الناس اصبحنا مطرودين مشردين مذودين وشاسعين عن الامصار، كأنا اولاد ترك وكابل. فعمد الامام زين العابدين (عليه السلام) فى خطته من ايفاد الناس الى خارج المدينه أن يرجع العزه القعساء والكرامه المهدوره. فاذا بالجماهير المدنيه تستقبلهم بكل حفاوه واكبار، قاصدين لهم حيث كانوا. ولقد كان آل الحسين (عليه السلام) حينما سيقوا الى مدينه دمشق قد اظهر سكانها ـــ فى بدايه الامر ـــ السرور والشماته; اذ انَّ الاجهزه الاعلاميه التضليليه للنظام قد بثت بينهم ان هؤلاء الاسرى من الخوارج المارقين عن الدين.. فقابلهم الناس بجفاء وتقطيب. فاستهدف الامام زين العابدين (عليه السلام) من خطته المذكوره ان يزيد اهل المدينه بصيره الى بصيرتهم; وان يستقبلوا آل الحسين (عليه السلام) باجلال وتعاطف بالغين. على العكس تماماً مما وقع فى دمشق إبّان دخول الموكب. هـ ـــ تقدم ما لقى الاسرى من آل الحسين (عليه السلام) من القهر والحرمان والعذاب، اضافه الى أثر حراره الشمس عليهم الذى بان على اجسادهم، وهم يقطعون المسافات المتراميه. واذا افترضنا أنهم دخلوا المدينه مباشره من دون توقف على

المشارف. فان حالات من الراحه سوف تغمرهم، وترجع اليهم الحياه الطبيعيه وتزول عنهم آثار الارهاق والالام شيئاً فشيئاً. ولمّا كانت الاماكن المتوقعه لنزلهم فى المدينه لا تتسع لان يزورهم المجتمع المدنى جمله واحده، فلا بد ان تتدرج الزياره، فيكون اكثر المدنيين بعد انقشاع حالات البؤس والنصب او تخفيفها، ولا يراهم فى وضعهم الاول وكما هم عليه الا بعض المدنيين. كما ان رؤيتهم وهم على صعيد واحد وفى ساعه واحده يوحى برد الفعل ضد النظام والتعاطف مع اسرى آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اكثر مما توحى به رؤيتهم متفرقين قد رجعوا الى بيوتهم. فاستهدف الامام زين العابدين (عليه السلام) من رؤيتهم بذلك الوضع المؤلم، والمشهد الحزين، كشف جرائم السلطه بحق اهل البيت، وتعريه النظام. نكتفى بهذا المقدار فى ذكر الاسباب التحليليه المحتمله لعدم دخول موكب الامام زين العابدين (عليه السلام) الى المدينه مباشره، وانما توقّف على مشارفها بأمر منه (عليه السلام). لماذا الشعر دون النثر؟ لقد امر الامام زين العابدين (عليه السلام) بشر بن حذلم ان يدخل المدينه وينعى ابا عبد الله الحسين (عليه السلام) ببيتين من الشعر، فلماذا الشعر دون النثر «حسب هذا الموقف» او دون ان يقول له: انع ابا عبدالله، اى بقول مطلق من دون تحديد للنعى نثراً او شعراً. وهذا سؤال مهم لا يجدر ان نمرّ عليه مر الكرام وذلك باعتباره يلقى الضوء على احد المواقف السياسيه لتحرك الامام زين العابدين (عليه السلام). أقول: انما كان هذا الامر _ فيما اعتقد _ بسبب علم الامام بالدور الفعّال الذى ينهض به الشعر فى الاثاره والتأجيج وفى تجسيد الواقعه وبلوره الحادث. كما ان الامام (عليه السلام) كان بمسيس الحاجه الى التعجيل فى

تحشـيد الجماهير وانتهاز الفرصه قبل اتخاذ النظام لما يسـمى بالتدابير الامنيه فى تفريق المتظاهرين او ايقاف عجله المعارضه، اى قبل أن تتحرك اجهزه النظام لقطع سـير مخطط الامام زين العابـدين (عليه السـلام) فى تحريك الناس وانطلاقهم الى موكب آل الرسول بسـرعه وانـدفاع. وفى هـذا السـياق من التسـريع بحركه التحشـيد وشـد الجمـاهير نلاحظ حكمه الامام فى أمره ببيتين من الشـعر كمـا حـدده لبشـر بن حـذلم ولم يقـل بقصـيده او عـده ابيات اذ من الواضـح ان القاءها يحتاج من الوقت الى اضـعاف ما يحتاجه البيتان.

لقطاتمن ثوره اهل المدينه

ظل الامام زين العابـدين (عليه السـلام) فى المـدينه يندب أباه، واهل بيته، واصـحابه المجزرين كالاضاحى، ويبكيهم اشد البكاء وأحرقه، ويـثير السـخط الشـعبى، على الظلمه المسـتبدين، اعـداء اهـل البيت النبوى الكريم. ولقـد كـان هـذا الاسـلوب وغيره من الاساليب التى اختطّها دوراً فاعلاً فى ثوره اهل المدينه، فانها كانت من بعض الجهات رشـحاً من فيض دموعه، وناراً من نار تأليبه وحثّه وسـخطه على الطواغيت. وفى المدينه غالبيه الانصار والكثير من اهل التقوى والصلاح الذين يثير حفيظتهم قتل انسان بريء لمجرد براءته فكيف بالحال وقـد قُتل الصـفوه من آل الله. ومما زاد المشـكله السياسـيه والروحيه تفاقماً، والغضب اتقاداً، ان والى المدينه قد ارسل وفداً من اهلها الى يزيد بن معاويه، وهو وإن كان قد اكرمهم، إلاّ انهم قد رأوا من سـلوكه كل ما يشـين ويقبح. ولمـا رجعوا الى المـدينه اظهروا شـتم يزيـد وعيبه وقـالوا: قـدمنا من عنـد رجـل ليس له دين، يشـرب الخمر، ويضـرب بالطنابير، وتعزف عنـده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسـمر عنـده الحرّاب ــ وهم اللصوص ــ. وانّا نشـهدكم انّا قد خلعناه [۲۵۴] . لقد كان ارسال الوفد تكتيكاً من اجل استمالتهم واغرائهم، وتقريب

نظراتهم السياسيه من نظرات الحكم القائم. إذ فرض عليهم واقع يزيد، وسلوكه الملوث بعداً عن السلطه القائمه، وغضباً على الخليفهِ الجديد. وعندما خلعوه قام عبدالله بن حنظله فقال: جئتكم من عند رجل لو لم اجد الاّ بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد اعطانى واكرمنى وما قبلت عطاءه إلا ـ لا ـ تقوى به فخلعه الناس، وبايعوا عبد الله بن حنظله الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم [۲۵۵] . ولقد كانت تقع امثال تلك المنكرات فى خلافه معاويه فلا نكاد نرى مَن يقول ما قاله ابن الغسيل: لو لم اجد الا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، والظاهر ان العله فى هذه الروح النضاليه والاندفاع الجهادى، كانت صدىً لموقف الامام الحسين (عليه السلام) حيث جاهد القياده الوضعيه، واعلن الحرب المسلحه ضدها، مع قله انصاره، وكثره مناوئيه. فلم يدع بذلك حجه لسواه فى عدم مجابهه الطغيان؛ بسبب قله الانصار، او خشيه الانفراد فى المجابهه. ولم تكن كلمات الوفد ونقده الدليل الوحيد عند اهل المدينه على انحراف يزيد وتنكّره للاسلام وجوره وطغيانه، بل قد رأوا بأم اعينهم كما قد رأى الاخرون جور يزيد وعماله على البلدان وما ظهر من فسقه وعمّهم من ظلمه، وما عُلم من قتله ابن بنت رسول الله، وانصاره، وما اظهر من شربه الخمور وسيره سيره فرعون بل كان فرعون اعدل منه فى رعيته، وانصف منه لخاصته وعامته [۲۵۶] . فاخرج اهل المدينه عامل يزيد عليها وحصروا بنى اميه واتباعهم فكلم مروان بن الحكم وهو العدو اللدود لال الرسول علىّ بن الحسين (عليه السلام) ان يضم عياله اليه فاستجاب الامام لذلك لكرمه (عليه السلام) وطيب سجاياه وصدق اخلاقه الاسلاميه. وقد نفعه الموقف هذا فيما بعد اذ ابعد من التحليلات السياسيه المطروحه

آنـذاک من قبل الامويين ان يكون قـد مـدّ أصابعه لتحريک اهل المـدينه ثورياً، أو انه القى الوقود فى طريق الثوره لتزداد تأججاً واشتعالاً.

وصف موجز للقتال

ويرسـل يزيـد بن معاويه جيشاً كثيفاً الى مـدينه الرسول بقياده مسـلم بن عقبه، فاقبل من ناحيه الحرّه، واشـتد القتال بين الفريقين، وحمل الفضل بن العباس ابن ربيعه قائد الفرسان على جيش يزيد فكشـفه مرتين. فاخذ مسلم رايته وحرّض الجيش، فقتل الفضل بن العباس وما بينه وبين اطناب مسلم بن عقبه الا نحو عشره اذرع. واقبلت خيل مسلم ورجّالته نحو ابن الغسيل. فاقتتلوا اشد اقتتال رؤى لهم، واخذ ابن الغسـيل يقدم بنيه واحداً واحداً حتى قُتلوا بين يديه، وهو يضرب بسيفه ثم قُتل وقُتل معه اخوه لامّه. فقال: ما احب ان الديلم قتلونى مكان هؤلاء القوم. (وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون). وانهزم الناس، واباح مسلم المدينه ثلاثاً يقتلون الناس، ويأخـذون المتاع والاموال، ودخل رجل منهم على امرأه من الانصار ترضع ابنها، فسأل ان تعطيه مالاً فقالت: والله ما تركوا لنـا شـيئاً، فاصرّ إن لم تعطه مالاً ـ ليقتلنّها وصبيّها. فقالت له: انه ولـد ابن ابى كبشه صاحب رسول الله. فاخـذ برجل الصبى ويـده، وفمه فى ثـدى امه، وضـرب به حائطاً فتناثر دماغه. وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد. (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم).

زين العابدين و مسلم بن عقبه

وأُتى بزين العابـدين (عليه السـلام) الى مسـلم بن عقبه او مُسـرف كما يسـميه اهل المـدينه، وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه. فلما رآه وقد أشـرف عليه ارتعد وقام له، واقعده الى جانبه، وقال له سـلنى حوائجک فلم يسأله فى احد ممن قُدّم الى السـيف إلاّ شفّعه فيه، ثم انصـرف عنه. فقيل لعلى (عليه السـلام): رأيناک تحرّک شـفتيک، فما الـذى قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السـموات السبع وما اظللن، والارضين السبع وما أقللن، رب

العرش العظيم، ربّ محمـد وآله الطـاهرين. اعوذ بـك من شـرّه، وادرء بـك فی نحره. اسألـك ان تؤتینی خیره، وتكفینی شـرّه؟ وقیـل: لمسـلم رایناك تسبّ هـذا الغلام وسـلفه فلما اُتی به الیك رفعت منزلته. فقال: ما كان ذلك لرأی منی لقـد مُلئ قلبی منه رعباً [۲۵۷] .

لجوء و طمأنینه

وبینما الاضـطهاد علی أَشدّه، والمطارده فی ابعد مداها.. وفم الحریه یشـرق بآخر ما فیه من قطرات، التجأت أُسـر كثیره الی الامام زین العابـدین (علیه السـلام) مـأوی المضـطهدین، وحـبیب المستضـعفین. وامـا قلـوبهم المثقله بـالحیره، والخوف، والجراح، فقد اودعها بقوه تاثیره اناشید الطمأنینه، واغارید الامن والسلام.

الاستثناء من قرار الاستعباد

یجدر التنبیه الی ان قرار الاسـتعباد المدنی، ای قرار یزید بن معاویه ببیعه اهل المدینه علی انهم عبید له، لم یستثن منه الا علی بن الحسـین (علیهمـا السـلام) وعلی بن عبـدالله بن العبـاس. أمـا بالنسـبه للاخیر فانه امتنع بأخواله من كنـده، وكان الحصـین بن نمیر السـكونی الكندی نائب مسـلم بن عقبه قد قال: لا یبایع ابن اختنا الا كبیعه علی بن الحسـین. ولكن لماذا استثنی علی بن الحسین (علیهما السـلام)؟ لقد أثار قتل الامام الحسـین (علیه السـلام) نقمه جماهیریه عارمه ضد السـلطه، وحوّل مظاهر المسـرّه والابتهاج الی حزن عمیق، وتفكیر وقلق متزایـدین، وقـد تقدّم ایراد ذلك. ومن الدلائل علیه أیضاً: ان عبدالملك بن مروان بُعید هذه الفتره قد ادرك حجم التدهور والبوار فیما اذا اقدم علی قتل علی بن الحسـین، فحینما طلب منه الحجاج قتله، لیثبت ملكه أبی ذلك. لا رحمه به، او حباً له، وانما هو الخوف الـذی یساوره علی الملك ان یزول. وإذا ما عُرضت البیعه بشـرطها الاسـتعبادی علی الامام علی بن الحسـین (علیهمـا السـلام) فانه من الممكن جـداً ان یسـتمر علی نهجه بمنطقه الرافض، وان معنی الرفض هنا ان یتضـرج بـدمائه الزكیه. وهـل یعنی هـذا الاّـ ان صوره من صور النقمه العـارمه ضـد الممارسـات القمعیه، سـتدخل فی العمق الاستراتیجی للمعارضه السیاسیه والثوریه، وتزلزل اعمده الكیان الحاكم.

من فلسفه التحریر

لقد حّول الحكم الاموی الغادر اهل المدینه عبیداً لیزید، بایعوا علی ذلك قسراً، واذعنوا لامر یزید وقائده المسرف الا قلیلًا منهم. فی الوقت الـذی نشاهـد فیه الامـام زین العابـدین (علیه السـلام) یشتری العبیـد ویطلقهم من الرق. فمـا العله لحركته التی قـام بها لتحریر العبید بصوره یندر نظیرها؟ ولقد فصّلنا البحث فی موضوع سیاسه تحریر العبید

من هـذا الكتـاب. والـذى ليس لنا بـدٌّ من ان نقوله هنا فيما يخص هـذا البحث جواباً على السؤال المـذكور أن الحقيقه هو وجود اكثر من عله لذلك، والذى نراه ان اكبر العلل هو ان الحكيم الرسالى العميق الاسـلوب علياً زين العابدين (عليه السـلام)، لما راى ان الناس يمتهنون من قبل القياده السياسـيه واذنابها، وقـد بايع اهل المدينه وهـم احرار كما ولدتهم امهاتهم على انهم عبيد ليزيد، برهن (عليه السـلام) عملياً على ان خط الاسـلام مباين تماماً لخط القياده السياسـيه، فبينما هى تسـتعبد الاحرار وتخنق الحريه كان الخط الاسلامى الاصيل على يد زين العابدين (عليه السلام)، يحرر العبيد، ويطلق الارقّاء، ويدعو الى الحريه والسلام.

محاوله للاستنتاج

من المعروف ــ تاريخاً ــ ان الامام زين العابدين (عليه السلام)، لم يشترك فى قتال اهل المدينه، ضد جيش يزيد بن معاويه، بل خرج من المـدينه الى ينبع، وإن كان له ادوار ايجابيه خارج حدود القتال، فما هو السـبب فى عدم اشتراكه فى القتال؟ فى الواقع، اننا لم يردنا نص تحليلى فى ذلك سواء عن الامام زين العابـدين (عليه السـلام)، او عن غيره من ائمه اهل البيت (عليهم السـلام). اذاً ليس امامنـا من تحليـل او تعليل الا ذلك الـذى سـنحاول اسـتنتاجه من الزاويه العقليه والرؤيه السياسـيه والتاريخيه فحسب. قد يمتنع الانسان عن الاشتراك فى القتال لسـبب او اكثر من الاسباب التاليه: أ ــ عدم الايمان بعداله القضيه: لقد مرَّ فى اصل البحث ان هل المدينه انما ثاروا على يزيد لما رأوا من ظلمه، وشربه الخمر، وقتله للامام الحسين بن على (عليهما السلام)، اى ان ثورتهم تهدف الى قمع الضلاله والاستبداد، والى الامر بالمعروف، والنهى عن المنكر. اذاً فليس من شك او

ریب، فی عداله قضیتهم، ولکن عداله القضیه لیست الشرط الوحید، فان النهوض بالثوره یستند الی مستلزمات کثیره، ولیس عداله القضیه الا واحده منها، ولیس هذا الامر طبقاً للنظریه السیاسیه والعسکریه للاسلام فحسب، بل طبق للنظریات الوضعیه أیضاً. وهو ایضاً اعتبار عقلائی، متسالم علیه. اننا نری کثیراً من الطبقات الاجتماعیه المضطهده، والحرکات السیاسیه لا تلهب مراجل الثوره، علی الرغم من ایمانها الخاص بعداله قضیتها; وما ذاک الا لفقدانها لبعض الشرائط الاساسیه الاُخری. ولا ریب فی ان الامام زین العابدین سلام الله علیه یشارک اهل المدینه الرؤیه والتقییم للنظام الحاکم، ولشخص یزید بن معاویه; لان ذلک من المسلّمات عند اقل الناس وعیاً سیاسیاً، وادراکاً روحیاً. وما اسلامیه النظام الحاکم الاّ مسرحیه هزلیه، سیئه جداً فی النص والاخراج والتمثیل. ولکننا قد علمنا. ان عداله القضیه لیست الشرط الوحید للثوره. ب ـ ضعف الشجاعه: ولا یمکن بای حال من الاحوال ان یطبق هذا الامر علی مثل الامام زین العابدین (علیه السلام) ; فانه کان حاضر الاستعداد للحرب والمواجهه، ثابت القلب، مقداماً شجاعاً، ولقد حاول القتال فی کربلاء علی الرغم من شده المرض، او انه قاتل بالفعل حتی ارتث کما فی بعض الاخبار. وغیر ذلک من المواقف التی تغنی عن التفصیل [۲۵۸] . ج ـ فقدان الاستطاعه البدنیه: وهذه القضیه لا تنطبق ایضاً علی الامام زین العابدین (علیه السلام) ; فانه قد کان یتمتع بصحه بدنیه فائقه. ولقد کان فی موروثه البدنی عن الامام الحسین والامام علی بن ابی طالب (علیهما السلام)، اضافه الی جشوبه عیشه، ما یجعله فی مصاف الندره من الاقویاء. د ـ عدم الاعتقاد بجدوی الحرب: وهنا بیت القصید; فان النظره الی مجمل اوضاع ثوره اهل المدینه

تنبؤاً لا تنبئ بمستقبل مفلح وزاهر من حيث القدره على الانتصار. يكفيك انهم اطلقوا سراح اسرائهم، من بنى اميه وغيرهم، وهم الف رجل قبل المواجهه، وقبل احراز النصر ابدا. مما حدا ببعض الاسراء ان يكشف الاسرار العسكريه للثائرين. لقد اكتفى اهل المدينه من هؤلاء الاسرى ان احلفوهم ان لا يكشفوا اسرارهم، مع العلم ان بعض الاسرى ممن لا يمكن ان يوثق به، ومن هو معروف بالخواء الروحى، والاحباط العقائدى. ويكفيك انهم لم ينسّقوا مع الاطراف الاخرى المعنيه بالثوره على النظام الحاكم، فى العراق، وفى الحجاز. ويكفيك ان ثوره اهل المدينه لم تستمر اكثر من يوم واحد، حتى قمعت. قال عيسى بن طلحه: قلت لعبد الله بن مطيع: كيف نجوت يوم الحره، وقد رأيت ما رأيت من غلبه اهل الشام؟ فقال عبدالله: كنا نقول: لو اقاموا شهراً ما قتلوا منا شيئاً، فلما صنع بنا ما صنع، وأدخلهم علينا، وولى الناس ذكرت قول الحارث بن هشام: وعلمت انى ان اقاتل واحداً أقتل ولا يضرر عدوّى مشهدى فانكشفت فتواريت، ثم لحقت بابن الزبير بعد، فكنت اعجب كل العجب ان ابن الزبير لم يصلوا اليه ثلاثه اشهر، وقد اخذوا عليه بالمضايق، ونصبوا المنجنيق، وفعلوا به الافاعيل، ولم يكن مع ابن الزبير احد يقاتل له حفاظاً، إلا نفير يسير، وقوم آخرون من الخوارج. وكان معنا يوم الحره الفا رجل كلهم ذو حفاظ، فما استطعنا ان نحبسهم يوماً الى الليل [٢٥٩] . وقد لا تكون بحاجه ماسه الى مزيد من التحليل والاستدلال على ان مستقبل الثوره كان لا يبشر بخير، فان الاخفاق فى الثوره، سريعاً يكفى عن المزيد من التحليل.

لقطات من ثوره المختار

المختار الثقفى

من زعماء المسلمين فى العراق وله فى الجهاد والسياسه باع

طويـل وهـو من اسـره مؤمنه مجاهـده تعتـبر بحق الصـفوه المختـاره من بنى ثقيف وقـد استشـهد ابوه وعمّه فى فتـح العراق. ولمّا اوشـكت ثوره الامـام الحسـين (عليه السـلام) على الانطلاـق اعـدّ المختـار فوجاً من المقاتلين للمشاركه فى الثوره فالقت السـلطه الاـمويه القبض عليه، وحينما اطلق سـراحه التجأ الى عبـدالله بن الزبير فى الحجاز واشترك معه فى قتال القوّات الامويه. ولم يكن هواه مع ابن الزبير إلاّـ انّه رأى الفرصه السـانحه لاضـعاف الامويين تتحقق من خلال الثائر فى الحجاز. الواقع ان المختار لمّا هاجر الى الحجـاز وصـل ببـدنه فقط، امّا روحه وتطلّعاته فما برحت داخل حـدود العراق. وفى الحجاز اخـذ يراقب عن كثب التطورات السياسـيه والاجتمـاعيه فى العراق ويتحرّاها بتلهّف. وفى ذات يوم حـدثّه هانئ الوادعى عن الكوفه قائلًا: انّهم فى صـلاح واتّساق على طاعه ابن الزبير إلاّ ان طائفه من الناس اليهم عدد اهل مصـر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم اكل بهم الارض الى يوم مـا. فرأى المختار ان آفاق طموحاته وتطلّعاته الهادفه فى تحقيق حكومه اسـلاميه عادله تقصم ظهور قتله الحسـين قـد اقتربت من التنفيـذ. فقـال لهانئ: انا ابو اسـحاق انا والله لهم انا اجمعهم على الحق وانفى بهم ركبان الباطل واقتل بهم كل جبار عنيـد. واتّجه تلقـاء الكوفه يـدعو النـاس الى نفسه. ويمكن ارجـاع هـذه النفس المقتـدره والروح العاليه والعزم الشديـد فى المختار الى علّتين: الاـولى: مـا يحسّه فى شخصـيته من كفاءه عاليه وقـدره فائقه. الثانيه: التلويـح احياناً والتصـريح احياناً اخرى فى الاخبار بانّه طالب الثأر وقاتـل الجبـارين، كقول الامـام الشـهيد وهو يـدعو على الحشود المقـاتله له: وابعث عليهم غلام ثقيف. ولما دعا الناس الى نفسه وزعم ممثليته لمحمد بن الحنفيه ذهب

وفـد الى محمـد بن الحنفيه (عليه السـلام) للتأكد من صـحه ادّعاء المختار، فلمّا قدموا عليه قال لهم فيما قال: وامّا ما ذكرتم ممّن دعـاكم الى الطلب بـدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصـر لنا من عـدونا بمن شاء من خلقه. ولو كره لقال لا تفعلوا. وممّا يؤكـد على العلاـقه الايجـابيه بين الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) وبين المختـار دعـاء الامام للمختار وترحّمه عليه بعـد استشـهاده وقبول هـداياه التى منها الاموال ومنها جاريه كريمه ولـدت للامام ولـده العظيم زيـداً الشـهيد (عليه السـلام) وعمر وعلياً وخديجه. روى زيـاد بن المنـذر (ابو الجـارود) قـال: اشترى المختـار بن ابى عبيـده جاريه بثلاثين الفاً فقال لها: ادبرى فادبرت، ثم قال لها: اقبلى فاقبلت، ثم قال: ما ادرى احـداً احق بها من على بن الحسـين فبعث بها اليه. وهى ام زيـد بن على (عليه السـلام) [۲۶۰] . قلت: ان فى الروايه مؤشـراً الى ان المختـار كـان يفضّـل علياً زين العابـدين (عليه السـلام) على محمـد بن الحنفيه ولولا ذلك لم يقل: ما ادرى احداً احق بها من على بن الحسين، ولقال: ما ادرى احداً احق بها من محمد بن الحنفيه. ويعلم من خط اهل البيت فى بعض الاحايين مسانده تحركات اسـلاميّه ثوريه من دون التدخل المباشر فى ذلك كمسانده الامام الصادق لزيد الشهيد ومسانده الامام الكاظم لشـهيد فخ «الحسين بن على الحسنى» من دون اثاره الضجيج ومن دون اتباع الوسائل المباشره التى تعلمها السلطه فتقبض على الامام وتقطع دوره فى الحياه الرساليه. وما هى الاّ موازنه دقيقه بين التدخل المباشر والتدخل غير المباشر، فكما تتعيّن افضليه الثانى تاره تتعين افضليه الاول تاره اخرى. ولمّا رجع الوفد من محمد بن الحنفيه (عليه السلام) الى

المختـار قوى امره واتسـعت دائره نفوذه، وسانـده اعيـان المنتمين لخـط اهـل البيت، ومن بينهم ابراهيم بن الاـشتر ونعيم بن هبيره الشيبانى، وابو الطفيل وابو عبدالله الجدلى.

و فجر المختار عبوات الثوره

وشـعار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتصاعد الى السماء ونداؤه الهادر: يا لثارات الحسين يشق الاثير. وابراهيم بن الاشتر يبتهـل الى الله: اللهم انّك تعلم انّا غضـبنا لاهل بيت نبيّك وثرنا لهم فانصـرنا على هؤلاء. وانتصـرت ثوره المختار وتسـلّم مقاليد الـدوله، فقسم على المقـاتلين معه الاعطيات، وبعث الامراء فى انحاء العراق وفى ارمينيا وآذربيجان وغيرهما. وتتبّع قتله الحسـين. فحصدهم كحصاد السـنبل وسـحقهم كسـحق البيدر وتعقّبهم كتعقّب الاسد لفريسته (فأذاقهم الله الخزى فى الحياه الدنيا ولعذاب الاـخره اكبر لو كـانوا يعلمون) [۲۶۱] . فارسـل المختـار رأس ابـن زيـاد ورأس عمر بـن سـعد وحصـين بن نمير الى الامـام زين العابدين (عليه السـلام)، فهوى الامام ساجداً لله، شاكراً لسوابغ آلائه وقال (عليه السـلام) وهو يتلفّع بالسـرور ودفيق البشرى يتلالا على اسارير وجهه: الحمد لله الذى ادركنى ثأرى من اعدائى، وجزى الله المختار خيراً. وبعد حكم المختار عاماً ونصف العام اقبل اليه مصعب بن الزبير سنه سبع وستين فقاتله المختار حتى قتل رضوان الله عليه.

تحقيق حول المختار

من يتحقق فى سـيره المختار وحربه للامويين ودكّه لجيش قائدهم عبيد الله بن زياد، وفى عدائه للزبيريين ابتداءً من انتزاع الحكم منهم فى اوّل ثورته حتى قتـاله لمصـعب الـذى سـيطر على الحكم بعـد المختار، من يتحقق فى هـذا يسـتطع تحليل اتّهام المختار بالكـذب والاـنحراف واسـتغلال الاسـلام وقتـل الامـام الحسـين (عليه السـلام) من اجل مصالحه الشخصـيّه، وان تنسب له اقاويل مضادّه للاسلام. وكيف لايتّهم بالامور السالفه واضرابها وقد اطبقت على عدائه دولتان، دوله ابن الزبير ودوله الامويين؟ ولتقريب الصوره الى الاذهـان نـذكر ان من يعـادى فى الوضع الراهن حاكمـاً جائراً يحاول الحاكم او حكومته تحريك اصابع الاتّهام اليه، وان كان المعادى له

صافیاً طهوراً کقطر السماء نقیّاً، بریئاً من التهمه کبراءه الذئب من دم ابن یعقوب. والذی یجری فی الساحه السیاسیه هذا الیوم کان یجری بالامس (لترکبن طبقاً عن طبق). ان اکثر صفحات التاریخ دبجتها الایدی الجانیه علیه، وان اغلب القراطیس التاریخیه سطر فیها مؤرخون مِداد یَراعِهم من اموال سلاطین الجور والطغیان. (قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون – قل یجمع بیننا ربُّنا ثم یفتح بیننا بالحق وهو الفتاح العلیم) [۲۶۲] .

من اعلام البحث

۱ ـ محمد بن الحنفیه (علیه السلام): محمد بن علی بن ابی طالب من عظماء المسلمین علماً وتقوی ورجاحَهَ عقل وإراده، وزهداً، واجتهاداً فی امر الله. وکان علی (علیه السلام) یحبه حباً جما ویقول: من اراد ان یبرّنی فی الدنیا والاخره فلیبّر محمداً. وبعد استشهاد الامام الحسین (علیه السلام) اعتقد الکثیرون انّه الامام من بعده. ولکنّه اذعن فی نهایه المطاف لابن اخیه الامام علی زین العابدین (علیه السلام) وقال بامامته. ۲ ـ زید الشهید علیه سلام الله: کان زید نسخه طبق الاصل لشخصیه عم ابیه محمد بن الحنفیه وقد قال له ابوه الامام زین العابدین (علیه السلام): اعیذک بالله ان تکون زیداً المصلوب فی الکناسه. واستشهد زید فی خلافه هشام بن عبدالملک سنه (۱۲۱ أو ۱۲۲ هـ). ۳ ـ نعیم بن هبیره الشیبانی: من اعیان اصحاب الامام علی (علیه السلام) وبقی علی اخلاصه له خلافاً لاخیه مصقله بن هبیره. واستشهد نعیم فی بدایه ثوره المختار سنه ست وستین فی ربیع الاول وهو علی رأس فوج من المقاتلین. ۴ ـ ابوالطفیل عامر بن وائله: آخر الصحابه موتاً توفی سنه (۱۱۰ هـ) کان ابو الطفیل من خواص الامام علی علیه الصلاه والسلام وشهد

معه حروبه. ولمّا انكسر المختار فی حرب مصعب والتجأ الی القصر کان ابو الطفیل معه واخیراً رمی بنفسه من فوق القصر ونجا، واشترک بعد ذلک فی ثوره ابن الاشعث، وکان ابو الطفیل کثیر الحروب. ۵ _ ابو عبدالله الجدلی: صاحب الامام علی، وکان المختار ارسله علی رأس قوّه لانقاذ محمد بن الحنفیه وجماعه من بنی هاشم، وقد کان ابن الزبیر قد جمعهم فی شعب واراد احراقهم فانقذهم الجدلی. ۶ _ حصین بن نُمیر: اهّلته نفسیته الاثیمه للتنقل فی المناصب القیادیه ذات الانحراف والجریمه المتمیزه، فمن قتل الحسین الی استباحه المدینه الی رمی بیت الله بالمجانیق الی قتال التوابین الی ان سقط قتیلاً فی وقعه الزاب وهو یقاتل تحت رایه ابن زیاد فأرسل المختار رأسه الی زین العابدین کما تقدّم.

الادب السیاسی

اهمیه الادب السیاسی

ان الادب مرآه جمالیه تعکس الفکر الحضاری وفلسفه الحیاه فی مختلف الامم والعصور. کما ان الادب قوه وجاذبیه وتأثیر وجمال.. ومن هذا المنطلق یجهد السیاسیون ممن لهم القدره الادبیه _ سواء کانوا من الصلحاء او الزائغین _ ان یستثمروا الادب وسیله من وسائل التعبیر عن الرؤی والمشاعر والتوصل الی الاهداف.. اذ ان المنطق الطبیعی للحیاه یقتضی الاستغاثه بمختلف مراکز التأثیر، والقوه، والجمال.. الصالحه للانتفاع. وهذا یعنی بالضروره ان لیس بالمستطاع الاستغناء عن الادب. وعلی هذا الاساس نری الصله الوثقی ما بین السیاسه والادب ضاربه فی اعماق التاریخ. ویمکننا ایضا رؤیه المساحه الکبری للادب السیاسی اذا لم ننشغل بالتقییم الرسمی والصارم للادب السیاسی والذی یدع جوانب مهمه من الادب علی الرغم من وجهتها السیاسیه ولو من بعض مناحیها. من الممکن جدا التنبّه الی مؤشرات، وملاحظات، وافکار سیاسیه حتی فی کبریات الملاحم التی لم تکتب اساسا فی

الجانب السياسى.. اننا نرى عليها طابعا سياسيا مهما.. يتخلل جنباتها، و يشيع بين ثناياها كملاحم الشخصيات التاليه: الاوديسه ماهاباراتا رامايانا پوراناس وهكذا عبد المسيح الانطاكى المصرى وبولس سلامه والعلامه الفرطوسى فى ملاحمهم.. ولهذا الاعتبار اولى النبى وائمه اهل البيت (عليهم السلام) الادب السياسى عنايه فائقه. لقد واجه النبى وأئمه اهل البيت (عليهم السلام).. التحديات التى تمتلك ادبا سياسياً فلا بد اذن من استخدام السلاح نفسه اى مقارعه الادب السياسى بمثيله. ان من الوظائف العظمى للنبى واهل بيته التوجيه والارشاد والتربيه ولا ـ شك ان الادب السياسى يلعب دوراً بالغ الاهميه فى هذا المجال. ان مراجعه فاحصه للقرآن الكريم ولسيره الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والاحاديث الكثيره، تطلعنا أن النظام السياسى حقيقه ثابته فى الاسلام، وجزء لا يتجزأ من الدين الحنيف. فكما على الرساليين توضيح معالم النظام، واسسه العامه، وحيثياته، بالاساليب العلميه والسياسيه وغيرها، كذلك عليهم توضيح ذلك عن طريق الادب السياسى. وكذلك الامر فيما يتصل بدعم النظام والدفاع عنه، اذ ان الادب السياسى سلاح فاعل من اسلحه الدفاع والهجوم.

التيارات الادبيه المعاصره للامام زين العابدين

اشاره

ثمه تيارات ادبيه كثيره ومتنوعه فى عهد الامام زين العابدين (عليه السلام) يستلزم المنهج العلمى اعطاء فكره عنها فى سبيل تحديد ادبه سلام الله عليه ما بين هذه التيارات، ولتبيان الفوارق الجوهريه ما بينه و ما بينها جميعا... علما بان اغلبها يتّسم بالطابع السياسى. وسوف نفصِّل ذلك ان شاء الله فى كتاب لنا خاص حول الادب السياسى عند الامام زين العابدين (عليه السلام).

تيار الامويين

غايته الكبرى ارساء دفه الحكم الوضعى وتسخير المجتمع لصالح النظام.. فاتجهت الى مديح الامويين، وتصويب سلوكهم ملوكا وامراء،.. ورشق السهام صوب اعدائهم.. ولقد شدد ادباء هذا ا لتيار على الانذار والوعيد وصبغوا ادبهم بدفيق من الدماء، وشواظ من الجحيم. ومن امثله هذا التيار: الحجاج الثقفى.. مسكين الدارمى.. الاخطل.. جرير.. على بن الغدير.. الضحاك بن قيس الفهرى.. عتاب بن ورقاء.. روح بن زنباع.. يزيد بن معاويه.. مسلمه بن عبدالملك.. عمرو بن سعيد بن العاص.. عبد الاعلى وعبدالعزيز ابنا عبدالله بن عامر، والخمسه الاخيرون من هذه القائمه، من البيت الاموى نفسه.

تيار الخوارج

يمتاز بمتانه الاسلوب، وقوه السبك، والاختصار فى تناول الموضوع، والحماس الحزبى الملتهب. ولقد كان ادبهم موجها فى الدرجه الاولى الى تركيز الخط العقائدى، وعداء السلطه الامويه. ومن امثله هذا التيار فى العصر الاموى ابّان عهد زين العابدين، قطرى بن الفجاءه.. عبيده بن هلال اليشكرى.. سميره بن الجعد.. عمران بن حطان.. رهين المرادى.. المقعطل.. عيسى بن فاتك.

تيار المتمردين

هؤلاء لم يجمعهم جامع،ولم يؤلف بينهم وازع، الاّ السخط العنيد والانتفاضه ضد الحكام الجائرين. ومن امثله هذا التيار عبيدالله بن الحر الجعفى.. الغضبان بن القبعثرى.. ضابئ بن عمير.. جامع المحاربى.. ابو المسيب الكلابى.. النعمان بن زرعه بن ضمره..

تيار الذاتيين

يتمثل فى شعراء الغزل.. والادباء الـذين ليس لهم دور التصـدى فى معترك الحضاره، وعالم العقيـده والسياسه. ومن امثله هـذا التيـار: مالك بن اسـماء بن خارجه.. جميل بن معمر.. ذو الرمّه.. عمر بن ابى ربيعه.. عبيـدالله بن زياد بن ظبيان.. العـديل بن فرخ العجلى.. الحارث بن خالد المخزومى.

تيار الزبيريين

هو اضـعف التيـارات الاـدبيه فى ذلك الوقت تاثيرا واقلها انتاجاً.. وذلك لنـدره ادبائه، ولارتباطهم المحكم بـدوله الزبيريين التى حكمت تسع سنوات فقط «۶۴ ـ ۷۳ هـ»... فانتاج ادبائها انبثق خلال هـذه الفتره فحسب وبعـدها قليلا، كالاولى.. ثم خبت ناره، ونكّس لواؤه وبقى منكوسا الى هـذا اليوم. ومن امثله هـذا التيار: عبيـد الله بن قيس الرقيّات.. عـدى بن الرقاع العاملى.. عبدالله بن الزبير (الذى ينسب التيار اليه).

التيار المهلبى

كان شبيها بالتيار الادبى الزبيرى من حيث المعاصـره، وقصـر المده، والولاء الشخصـى والشبيه بالشخصـى، وندره الادباء نوعاً ما، ولقد اطلقنا عليه التيار المهلّبى نسبه للمهلب بن ابى صـفره العتكى الذى كان مرتبطاً وبنوه تبعاً له بسياسه النظام الاموى الحاكم، ومـا بعـد ذلك انشق بنوه عن النظام فى حركه انفصاليه حاده ادت الى الحرب بينهما ثم الى ابادتهم بسيوف الامويين. ومن امثله هذا التيار: يزيد بن المهلب.. كعب الاشقرى.. حمزه بن بيض الحنفى.. المغيره الحنظلى.. زياد الاعجم.

تيار الزهاد

يـدعو الى الزهد فى حطام الدنيا، ولذات الحياه، والى التعلق الروحى بالله.. وكان بمنأىً عن الاجواء السياسيه بشتى الوانها، ولولا الحاله الاخيره لكان الامام زين العابـدين السيد المطلق لهـذا التيار. ومن امثله هـذا التيار: مؤرق العجلى.. الحسن البصـرى.. سابق البررى.. حبيب ابو محمد.. بكر بن عبدالله المزنى..

من خصائص ادبه السياسى

هـذه بعض خصـائص ادب الامـام زين العابـدين (عليه السـلام) وميزاته التى يفترق بها عن التيارات الادبيه المعاصـره له والتى مر ذكرهـا قبل قليل. أ ـ ان الامام زين العابـدين (عليه السـلام) نفسه كان ينطوى على جوانب الادب كلها ويمتلك ناصـيتها جميعاً من خطابه وشعر ومنـاظره ورسائـل وغير ذلـك. بينمـا بقيه التيارات تضم اشـخاصاً فيهم الخطيب وليس بشاعر، او الشاعر وليس بخطيب، وان وجـد فيهم شاعر وخطيب فى نفس الوقت، فليس فيهم من يجمع هـذين الجانبين الى الجوانب الاخرى. فعبد الله بن الزبير خطيب مؤثر ولكنه لاـ يعـدّ من الشـعراء ولاـ من المنـاظرين الجيـدين. وجرير شاعر كبير الاّ انه ليست له قـدره على صـياغه الكلمات القصار، او على فن الرسائل وهلمّ جرّا. ب ـ الاصاله الاسلاميه الصافيه المنبع التى تطبع وجوه ادبه جميعاً. اذ انّ صاحب هذا الادب هو الامام زين العابدين (عليه السـلام) الذى اصـطفاه الله لاداء رسالته، وارتضاه دليلاً على دينه المجيد، وكتابه العزيز، فلا يستقى هذا الادب الاّ من السـماء وعن السـماء. بينما التيارات الادبيه الاخرى، بين تيار وثنى، وآخر ينطوى على عقائد باطله،

وثالث يعيش الضياع، ورابع من سقط المتاع، وخامس متّبع للهوى وطالب للدنيا، الى تيار تنقصه الرؤيه الشامله، والانفتاح الايجابى على الحياه. ج _ اذا كانت التيارات الادبيه فى عصر الامام زين العابدين (عليه السلام) تيارات تقليديه فى الاسلوب والاداء و المضمون..

فان ادب الامام زين العابدين (عليه السلام) انتهج منهجاً جديداً، ومبدعاً فى المضامين والعرض وتناول الماده وما سقناه ونسوقه من عيّنات يكفى دليلًا ساطعاً على ذلك. د _ انعكاس القاعده العلميه الرصينه للامام زين العابدين (عليه السلام) على اغراضه الادبيه، اذ لا ـ ريب فى وجود رابطه وثقى بين العلم والادب، فنرى العلماء الكبار من الذين هم ادباء كبار فى نفس الوقت امثال: الشافعى الفقيه، والشريفين المرتضى والرضى، ومحمد الحسين كاشف الغطاء، وجوهان جيتى (١٧٤٩ _ ١٨٣٢ م) وتوماس هاردى (١٨٤٠ _ ١٨٩٤ م)، قد القت امكانياتهم العلميه الفائقه بظلالها الوارفه على آثارهم الادبيه. ومن هذا نعلم ان سعه علوم الامام زين العابدين (عليهم السلام)، وتنوع معارفه، واستيعابه الكامل للقرآن الكريم، وآثار آبائه (عليهم السلام)، قد زاد فى عمق استنتاجاته الادبيه، وأورثه الانتزاع الحر لفلسفه الحياه وفنها الرفيع. بينما ترى الذين يمتلكون الخلفيه العلميه من الادباء المعاصرين له نادرى الوجود امثال عبد الله بن عباس (ت ٦٨) الذى يمكن ان نعده بحق دائره معارف Ensyclopidia، ابو الاسود الدؤلى (ت٦٩) محمد بن الحنفيه (ت ٨٣)، الحسن البصرى (ت ١١٠) علما ان علوم هؤلاء لم تبلغ القمم الشمّاء التى تطل عليها علوم الامام زين العابدين (عليه السلام).

الامام زين العابدين ممثل لتيار

لقد كان الادب السياسى بل مطلق ادب الامام زين العابدين صلوات الله عليه يمثّل تياراً اصيلًا.. دافقاً فى حياه الامه وفى تاريخ الادب. ولقد انتمى لهذا التيار صفوه من كبار الادباء بصوره واخرى، ومن المعاصرين للامام زين العابدين (عليه السلام) زينب الكبرى.. عبدالله بن عباس.. عبدالله بن جعفر الطيار.. ابو الاسود الدؤلى.. ابو دهبل الجمحى.. اعشى همدان.. عدى بن حاتم الطائى.. عبدالله بن عوف الاحمر.. قيس بن فهدان الكندى.. الفضل

بن العباس بن عتبه.. ابو الطفيل عامر بن واثله.. حضين بن المنذر الرقاشى.. الجارود بن ابى سبره.. الاحنف بن قيس. يزيد بن مفرغ الحميرى. لقد قام هؤلاء بدور فاعل فى تثبيت عقائد الاسلام، ونشر رايه القرآن، وتركيز خط اهل البيت، وارساء قيم الفضيله والجمال، كما قاموا بتحرك حيوى فى مقاومه الحكّام غير الاسلاميين، ورمى مواقد السخط والثوره فى وجوههم.

من اغراض الادب السياسى

الخطب

اثر القرآن الكريم على الخطب

ارتفع شأن الخطابه فى الاسلام، واتسع مداها. وتعددت اغراضها.. وقد هذّب الجو الدينى مقاول الخطباء، وشذّب كلماتهم، وألهب مشاعرهم، ووجّه البابهم وانضجها فانطلقت حناجرهم كأنها السنه من النار. وكان للقرآن الحكيم تأثيره البالغ على رفع القدره البيانيه للادباء، وللخطباء منهم على وجه الخصوص، وتوسيع افقهم، وتزويدهم بالحجج المقنعه، والادله المشرقه، والبسهم لوناً جديداً من الادب.. ما كان لهم ولا لابائهم به من علم. ولو امعنّا فى التحقيق.. لعرفنا انّ اكثر الخطباء تمسكاً بالقرآن، واستجلاء لاياته.. واستنطاقا لمعانيه.. واقتفاء لاساليبه.. هم الامكن فى الخطابه، وفى الاغراض الاخرى من الادب. وهم الاشد اقتداراً على كسب الجماهير، والاخذ بمقود اسماعهم. ومنذ ان نزل الروح الامين على صدر نبينا ليكون من المنذرين.. اصبح من الواضح جداً نفوذه الى شخصيه الرسول وملكاته.. وتجلّت انعكاساته فى خطبه وكلماته.. فهذه خطبه كما قيل ــ نمط جديد من القول بلاغه وفصاحه، وايماناً وبساطهً، وصدقاً وعمقاً لم يالفه العرب من قبل، وتبصير واضح بسيط نافذ بحقائق قد غفل الناس عن وجودها وهى ماثله امامهم كل يوم [۲۶۳] .

خطباء اهل البيت

وفى عصر صدر الاسلام فما بعده لا نجد خطيبا بذّ الاقران، وفاز بالقدح المعلى.. كخطباء اهل البيت.. الذين نزل القرآن فى بيوتهم وارتشفوه معنىً ومبنىً.. فهذا رسول الله وهذا الامام على بن ابى طالب وتلك فاطمه الزهراء، وذلك الامام الحسن والحسين وعلى بن الحسين (عليهم السلام).. اينما تلفتّ فى خطبهم وامعنت النظر.. استشرفت تأثير القرآن فيها، ونفوذه فى اغوارها، واشعاعه بين جنباتها.

بين القرآن و خطب زين العابدين

ولو شخصنا ببصرنا الى خطب الامام على بن الحسين عليه الصلاه والسلام وسائر ادبه.. لعلمنا انه لا جرم ان يكون كذلك، السنا نعلم انّ من القابه (حليف القرآن). بلى، انه حليف القرآن، وسميره. انهما الحبيبان وهيهات ان يفترقا. ومن ولعه بكتاب الله العزيز انه كان يرفع صوته بقراءته، ويجوِّده، ويتلوه حق تلاوته بصوت جميل ما بعده من جمال. وهذه الملازمه الوثيقه للقرآن صاحبت الامام على بن الحسين (عليه السلام) لا فى قراءته للقرآن وتفسيره له، وتأويله لاياته فحسب بل حتى فى مناظراته ورسائله وخطبه، وسائر شؤونه الفكريه والاجتماعيه ومختلف انطلاقاته، وكانت خطبه فى كل يوم جمعه فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينه وهى خطب فى التربيه الروحيه والسياسيه تشعّ بالروح القرآنى، وتتدفق بالبيان العذب، والكلمات المتّسقه، والالفاظ الشائقه، وحسن النظم، وجوده التأليف. وان كثره الاستدلال والاستشهاد والاستنطاق لايات الكتاب طابع مميز لخطبه

(عليه السـلام). ولابـد من الاشـاره والتـذكير: ان يـد الخيـانه والعـاطفه امتـدّت فشوهت مقادير من خطبه السياسـيه، وفنونه الادبيه الاخرى. وأحدثت اضافات يبرأ منها الادب والادباء، بيد انّ مقادير كثيره جدا من أدبه بقيت على اصالتها ورونقها. وما يهمنا الان منها خطبته يوم الجمعه فى مسجد رسول الله.. فجاءت هذه الاخيره.. مزهوّه مهيبه.. رائعه القسمات.. ظاهره الوسامه..

تتهادى بين الفصاحه وبين الجمال. وقد حذر فيها من سلوك خط الظالمين وسياسه المعتدين.

خطبه للامام زين العابدين

ومن جمله ما جاء فيها: ... اشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكّروا ما قد وعدكم فى مرجعكم اليه من حسن ثوابه، كما قد خوّفكم من شديد عقابه; فانه من خاف شيئاً حذره، ومن حذر شيئاً تركه. ولا تكونوا من الغافلين المائلين الى زهره الحياه الدنيا، وقد قال الله تعالى: (افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون - او يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف) [۲۶۴] فاحذروا ما حذركم الله، بما فعل بالظلمه فى كتابه ولا تامنوا ان ينزل بكم بعض ما توعد به القوم الظالمين فى كتابه. لقد وعظكم الله بغيركم.. وان السعيد من وعظ بغيره، ولقد اسمعكم الله فى كتابه ما فعل بالقوم الظالمين، من اهل القرى قبلكم حيث قال: (وانشأنا بعدها قوماً آخرين). وقال: (فلما احسّوا بأسنا اذا هم منها يركضون) ـ يعنى يهربون ـ (قال): [۲۶۵] (لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون). فلما اتاهم العذاب [۲۶۶] (قالوا يا ويلنا انا كنّا ظالمين) [۲۶۷] . فان قلتم ايها النّاس ان الله انما عنى بهذا اهل الشرك، فكيف ذلك؟ وهو يقول: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامه فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبه من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) [۲۶۸] . اعلموا عباد الله: ان اهل الشرك لا تنصب لهم الموازين، ولا تنشر لهم الدواوين وانما يحشرون الى جهنم زمرا. وانما تنصب الموازين وتنشر الدواوين لاهل الاسلام. فاتقوا الله عباد الله واعلموا ان الله لم يحبّب زهره الدنيا لاحد من اوليائه،

ولم يرغّبهم فيها وفى عاجل زهرتها، وظاهر بهجتها، فانما خلق الدنيا وخلق اهلها ليبلوهم فيها ايهم احسن عملا لاخرته. وايم الله لقد ضربت فيه الامثال، وصرفت الايات لقوم يعقلون فكونوا ايها المؤمنون من القوم الذين يعقلون، ولا قوّه الاّ بالله، ولا تركنوا الى الدنيا فان الله قال لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار...) [٢۶٩] .

من الفلسفه السياسيه للزهد

حقاً ان هذا منعطف مهم جداً فى فلسفه الزهد. فاذا كان المتبادر الى الاذهان من معنى الزهد، الزهد فى الطعام والشراب والملبس، فهذا صحيح لا- سيما اذا كان المجتمع بحاجه الى هذا اللون. ولكنّ الذى هو اهم ان يزهد الانسان فى الركون الى القوى الشريره، والطغيان والاستبداد، او كما قال الامام زين العابدين (عليه السلام) «ولا تركنوا الى الدنيا فان الله قال لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (ولا- تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)» انّ الله تعالى لم يتوعّد بالنار من لم يزهد بالمطعم والمشرب والملبس ونحوها. وان كان الزهد فيها فى اكثر الحالات يشير الى الرفعه، وسمو الذات. ولكن الله تعالى توعّد بالنار اولئك الذين لم يزهدوا بالركون الى الظالمين (ولا تركنوا....) اذا كان الزهد فى الافراط بالمشتهيات مستحبا، فان الزهد فى الركون الى الظالمين واجب لا ريب فيه. وعلى ضوء مقوله الامام زين العابدين (عليه السلام): «ولا تركنوا الى الدنيا...» حول هذا الزهد الناهض، والمتضمن بقوه للوعى السياسى نستطيع ان نعى الكثير من الاحاديث الداعيه للزهد والمرغّبه فيه. ان قول الامام زين العابدين (عليه السلام): «ولا تركنوا الى الدنيا...» لا يعنى بالضروره ان الزهد يقتصر على حاله عدم الركون للظالمين، اذ من الواضح ان الزهد فى الافراط بالمشتهيات قد

ورد فی روایات کثیره غیر قابله للتأویل. ولکنه (علیه السلام) یؤکد علی اهم فرد من افراد الزهد واعظم مصداق من مصادیقه الا وهو الزهد فی الرکون الی الظالمین. ومن خطب الامام زین العابدین (علیه السلام) السیاسیه: الخطبه التی ادلی بها فی دمشق امام یزید بن معاویه، وبحضور حشد جماهیری من اهل الشام. وکذا الخطبه التی القاها علی اهل المدینه المنوره، بعد توجهه من الشام الیها. وقد اوردنا الخطبتین معا ضمن هذا الکتاب

اطلاله اخری

ویطل الامام زین العابدین (علیه السلام) مره اخری علینا بهذه الخطبه من خطبه السیاسیه الرائعه التی لم نذکرها الی حد الان. لقد حدد الامام (علیه السلام) فی هذه الخطبه الشخصیه الاسلامیه الحقه التی تعتبر المثل الاعلی للمجتمع والقوه للجمیع. کما یؤکد فیها علی الدقه والتحقیق فی الهویه العقائدیه والمنحی الواقعی لانماط اجتماعیه کثیره تتظاهر بالورع والزهد والتقوی، بینما تفصح حقیقه انفسهم انهم علی خلاف ذلک. وانما یصنعون من ذلک ما یصنعون تستّرا علی نوایاهم الخبیثه واغراضهم الدنیئه. یقول الامام زین العابدین (علیه السلام): «اذا رأیتم الرجل قد حسن سمته وهدیه، وتمارث فی منطقه، وتخاضع فی حرکاته فرویدا لایغرنکم، فما اکثر من یعجزه تناول الدنیا ورکوب المحارم فیها، لضعف بنیته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدین فخاً لها، فهو لا یزال یختل الناس بظاهره، فان تمکن من حرام اقتحمه. فاذا وجدتموه یعفّ عن المال الحرام.. فرویداً لا یغرنکم، فان شهوات الخلق مختلفه، فما اکثر من ینبو عن المال الحرام وان کثر، ویحمل نفسه علی شوهاء قبیحه فیأتی منها محرّما. فاذا وجدتموه یعفّ عن ذلک.. فرویدا لا یغرنّکم حتی تنظروا ما عقده عقله. فما اکثر من یترک ذلک اجمع ثم لا یرجع الی عقل متین، فیکون

ما يفسده بجهله اكثر ممّا يصلحه بعقله. فاذا وجدتم عقله متينا.. فرويدا لايغرنكم حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله؟ او يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرئاسات الباطله وزهده فيها؟ فان فى الناس من خسر الدنيا والاخره بترك الدنيا للدنيا، ويرى ان لذه الرئاسه الباطله افضل من لذه الاموال والنعم المباحه المحلله، فيترك ذلك اجمع طلبا للرئاسه، حتى: (اذا قيل له اتّق الله اخذته العزّه بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) [٢٧٠] . فهو يخبط خبط عشواء.. يقوده اول باطل الى ابعد غايات الخساره، ويمدّ به يده بعد طلبه لما لا يقدر عليه فى طغيانه.. فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما احلّ الله. لا يبالى ما فات من دينه اذا سلمت له الرئاسه التى قد شقى من اجلها، فاولئك مع الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهينا. ولكنّ الرجل.. كلّ الرجل.. نعم الرجل: هو الذى جعل هواه تبعا لامر الله، وقواه مبذوله فى رضاء الله تعالى، يرى الذل مع الحق اقرب الى عز الابد من العز فى الباطل ويعلم ان قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤديه الى دوام النعم فى دار لا تبيد ولا تنفد، وان كثير ما يلحقه من سرّائها ــ ان اتبع هواه ــ يؤديه الى عذاب لا انقطاع له ولا زوال، فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسّكوا، وبسنّته فاقتدوا، والى ربكم فيه فتوسلوا، فانه لا ترد له دعوه، ولا تخيب له طلبه» [٢٧١] .

دفع آليات الوعى السياسى

لقد ضم عصر الامام زين العابدين (عليه السلام) رجالاً كثيرين من الانتهازيين فى كل زاويه من زوايا الخارطه السياسيه للعالم الاسلامى. ولقد قام السيناريو القيادى بالانتفاع من الاميه السياسيه وشبه الاميه المنتشره فى

المجتمعات على اختلافها. وعلى سبيل المثال نرى الحجاج الثقفى وهو يجيد النصيحه والموعظه، وكان بليغا بارعا فى الامر بتقوى الله تبارك وتعالى. وهذا عبدالله بن الزبير يلجأ فى حاله ضعفه الى البيت الحرام قائلاً: انا عائذ الله. ولكنه فى حاله القوه يضيّق الخناق على اولياء الله.. واذا كان الناس على دين ملوكهم... فسوف نعرف حجم الانتكاسه الروحيه والاخلاقيه، ومساحه الاستغلال السياسى لشتى العوامل المؤثره والتى يمكن ان تكون وسيله لخداع الجمهور. كما ان دراسه مفصله اجتماعيه وادبيه للعصر الاموى، تزودنا بارقام مذهله عن هذا التوجه المقيت. ومن هذا المنطلق ندرك الاهميه السياسيه والروحيه البالغه لخطبه زين العابدين الانفه. ومن الخير ان نتساءل ــ من اجل دفع آليات اليقظه الروحيه والوعى السياسى ــ هل كانت تعاليم الامام زين العابدين (عليه السلام) فى حدود العصر الذى انتشر اريجها فيه؟ ان الجواب بالنفى هو الجواب المتحتم. وفى خصوص الموضوع الذى نحن فيه لو سألنا الامام زين العابدين (عليه السلام) هل يختلف واقعنا المعاصر جوهريا عن الحقبه التاريخيه التى كنت فيها؟ حقا اننى احسّ من الاعماق ان الامام زين العابدين (عليه السلام) سوف يطرق برأسه، ويفتح عينيه؛ ليصوّب نظراته السديده الى الواقع المعاصر. ثم يطبق عينيه، وترتعش الحروف على شفتيه متمتما: لتركبنّ سنن من كان قبلكم. ولعمرى ان التاريخ يعيد نفسه. بيد انه (عليه السلام) لا يكتفى باسداء النظره التقييميه فحسب، بل يواصل الكلام، و يحدد المسؤوليه قائلاً: اذا رايتم الرجل قد حسن سمته وهديه... فاذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام. فرويدا لا يغرنّكم... فذا وجدتم عقله متينا، فرويدا لا يغرنّكم... ولكن الرجل.. كل الرجل.. نعم الرجل.. واخيراً لابد لنا من القول ان تعاليم الامام زين العابدين (عليه السلام)

سوف تظل ناهضه عبر العصور لا تؤثر فيها خناجر السنين.

المناظرات

مقدمه

هی فی الاصل المجادلات التی تستند علی ادله منطقیه یهدف فیها الطرفان الی اثبات صحه عقیده او فلسفه او سیاسه... او تفنید ذلک غیر ان ابتغاء الباطل فی الناس کثیر و ما اکثره، ولهذا یعتمد الکثیرون علی ادله ایهامیه او سوفسطائیه من اجل مسانده موقف او رأی مهما کان مرتکزه. ولا بد للمناظر ـ فی الاساس ـ من ان یمتلک وضوحاً فی الرؤیه، لئلا یتلکأ فی المناظره او یقع فی المتناقضات. وکان الفیلسوف النمساوی لودفیج یوهان فتجنشتین (۱۸۸۹ ـ ۱۹۵۱م) یعتقد أن کل ما یمکن التفکیر فیه علی الاطلاق یمکن التفکیر فیه بوضوح، وکل ما یمکن ان یقال یمکن قوله بوضوح [۲۷۲] . کما ان المناظر فی حاجه الی قوه الارتجال، ونشاط عقلی فعّال، وقدره متمکنه علی اقتناص نقاط الضعف عند المقابل، وقد تکون المناظرات من اجل المناظرات، او فی سبیل اثبات القدره الجدلیه، کالذی یستخدمه بعض عشّاق السفاسف. فکأنما یلهون بادوات الشطرنج، او کالذی یرید ان یهتف فی وسط مفرّغ من الهواء. وهکذا تضیع الحقائق، ویهدر رونق الواقع. وما اشبه هؤلاء بقوم عاطلین وفارغین فی الیونان، کانوا یعبثون بالالفاظ، ویقلّبون المعانی علی غیر وجوهها، ویتّخذون المناظرات وسیله للّهو العابث مما حدا بالفیلسوف الکبیر ارسطو طالیس ان یضع موازین خاصّه للمناظرات، وقوانین لمعرفه صحه الکلام من فساده ـ حسب رأیه ـ فی کتاب یعرف بالمنطق. وعلی هذا الاساس لا یمکن ان نعتبر المناظرات او مطلق الکلام افضل من الصمت فی جمیع الاحوال، بل لکل من الصمت والکلام محاسن ومساوئ، والحکیم من استطاع دقه التمییز ما بینهما، وتجنب ما لا ینفع. ولقد سئل الامام زین

العابـدين (عليه السـلام): ايّهمـا افضـل السـكوت ام الكلامـ؟ فقال (عليه السـلام): لكل واحـد منهما آفات، فاذا سـلما من الافات فالكلام افضل. قيل فكيف ذلك يا بن رسول الله؟ فقال: ان الله سبحانه لم يبعث الانبياء والاوصياء بالسكوت، انما بعثهم بالكلام.. ولا اسـتحقت الجنه بالسـكوت.. ولا اسـتوجبت ولايه الله بالسـكوت.. ولا توقيت النار بالسكوت.. ولا تجنب سخط الله بالسكوت. انما ذلك كله بالكلام. وما كنت لاعـدل القمر بالشـمس، وانّك تصف فضل السـكوت على الكلام، ولست تصف فضل الكلام على السـكوت. وقـال (عليه السـلام) ايضـاً على لسـان حـال الجوارح واللسـان كما فى روايه ابى حمزه الثمالى: ان لسان ابن آدم يشـرف على جوارحه كل صـباح فيقول: كيف اصـبحتم؟ فيقولون: بخير ان تركتنا.. ثم يقولون: الله فينا، ويناشدونه ويقولون: انما نثاب ونعاقب بك.

اهل البيت والمناظرات

ولقـد اتّخـذ اهل البيت المناظرات إحـدى الوسائل الوطيـده لارساء المبادئ ونصـره العقيده. وابدعوا فى المناظرات كل الابداع.. واتوا بحجـج هى صـرخه الحق ونـداء السـماء وضوء البصـيره. ومن صور ابـداعهم انهم يفاجئون المقابل بادلّه تربكه وتبهته اذ لا عهـد له بهـا، ولم يحسب لهـا حسابـاً.. لم تزل جرأه القلب عاملاًـ من عوامل قـدره اهل البيت على المناظرات التى.. ليس لوقعتها كاذبه. فالامام زين العابدين (عليه السـلام) وهو فى الاسر وبين يدى الطاغيه الاثـيم عبيد الله بن زياد، وبين يدى الجبار العنيد يزيد بن معاويه، يفحمهما فى المناظره، ويـدلهما على ضآله مكانهما الذى يرزح فى الحضـيض الاوهد. فابن زياد قد نكّسه الامام على امّ رأسـه فى منـاظره مختصـره الاّـ انهـا البسـته تفصـيلاً من الخزى والعـار.. فـابرق، وارعـد، ثمّ هـدد فاوعـد، ثمّ انتفخت اوداجه، وتصلّبت شرايينه، وعرق جبينه فغصّ بريقه، وارتعشت يداه، فصاح صيحه ملؤها الويل والثبور:

يا جلّاد اقتله. وهكذا حينما يعجز الطواغيت عن التصـفيه الفكريه يلتجئون الى التصـفيه الجسديه.. فاولى لهم فاولى. ثمّ اولى لهم فاولى. وقد تقدّم فى المناظره فى هذا الكتاب كما تقدمت مناظرته مع يزيد بن معاويه.

شواهد من المناظرات

انّ لزين العابـدين (عليه السـلام) منـاظرات كثيره نـذكر شـيئاً يسـيراً منهـا، ومن لم يغنه القليل لا يغنه الكثير. أ ـ دخل الامام زين العابدين (عليه السلام) المسجد الحرام فرأى الحسن البصرى وحوله جماعه من الناس وهو يعظهم، وكان يعرف منه انه يرى رأى المعتزله فى تخليـد من يعمل ذنباً كبيراً فى النار.. فقال له الامام زين العابدين (عليه السـلام): امسك. اسألك عن الحال التى انت عليهامقيم، اترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله اذا نزل بك غدا؟ قال: لا قال: افتحدّث نفسك بالتحول والانتقال عن الحال التى لاـ ترضاهـا لنفسـك الى الحـال التى ترضاهـا؟ قـال: (الراوى) فـاطرق ملياً ثمّ قال: انّى اقول ذلك بلا حقيقه. قال: افترجو نبيا بعد محمـد (صـلى الله عليه وآله وسـلم) يكون لـك معه سابقه؟ قال: لا قال: افترجو داراً غير التى انت فيها ترد اليها فتعمل فيها؟ قال: افرأيت احداً به مسـكه عقل رضى لنفسه من نفسه بهذا؟ انّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالانتقال الى حال ترضاها حقيقه ولاـ ترجو نبيـا بعـد محمـد ولاـ دارا غير الـدار التى انت فيهـا فتعمـل فيها وانت تعظ الناس؟! قال (الراوى): فلمّا ولّى (عليه السـلام) قال الحسن البصـرى من هذا؟ قالوا: على بن الحسين. قال: اهل بيت علم. فما رؤى الحسن البصرى بعد ذلك يعظ الناس [٢٧٣] . ب ـ كان الامام زين العابدين (عليه السلام) يصف حال من مسخهم الله قرده من بنى اسرائيل ويحكى

قصّیتهم.. فلمّا بلغ آخرها قال: ان الله تعالی مسخ اولئک القوم لاصطیادهم السمک، فکیف یکون تری عند الله عزوجل حال من قتل اولاد رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) وهتک حریمه. ان الله تعالی وان لم یمسخهم فی الدنیا، فان المعد لهم من عذاب الاخره اضعاف المسخ، فقیل له: یا بن رسول الله فانّا قد سمعنا منک هذا الحدیث فقال لنا بعض النصّاب: فان کان قتل الحسین (علیه السلام) باطلاً فهو اعظم من صید السمک فی السبت، افما کان یغضب علی قاتلیه کما غضب علی صیادی السمک؟ فقال علی بن الحسین (علیهم السلام): قل لهؤلاء النصّاب فان کان ابلیس علیه اللعنه معاصیه اعظم من معاصی من کفر باغوائه، فاهلک الله من شاء منهم کقوم نوح وفرعون، فلم لم یهلک ابلیس وهو اولی بالهلاک فما باله اهلک هؤلاء الذین قصّیروا عن ابلیس فی عمل الموبقات، وامهل ابلیس علیه اللعنه مع ایثاره تکشّف المخزیات. والاّ فان کان ربنا عزوجل حکیماً تدبیره حکمه فیمن اهلک وفیمن استبقی فکذلک هؤلاء الصیادون للسمک فی السبت، وهؤلاء القاتلون للحسین (علیه السلام) یفعل بالفریقین ما یعلم انه اولی بالصواب والحکمه لا یسأل عما یفعل وهم یسألون. وقال الباقر (علیه السلام): فلمّا حدّث علی بن الحسین بهذا الحدیث قال له من فی مجلسه: یا ابن رسول الله کیف یعاقب الله ویوبّخ هؤلاء الاخلاق علی قبائح اتاها اسلافهم وهو یقول: (ولا تزر وازره وزر اخری). فقال الامام زین العابدین (علیه السلام): ان القرآن الکریم نزل بلغه العرب فهو یخاطب فیه اهل اللسان بلغتهم، یقول الرجل التمیمی ـ قد اغار قومه علی بلد وقتلوا من فیه ـ: أغِرْ علی بلد کذا وکذا، ویقول العربی:

نحن فعلنا ببنی فلان، ونحن سبینا آل فلان، ونحن خرّبنا بلد فلان، لا یرید انهم باشروا ذلک، ولکن یرید هؤلاء بالعذل، واولئک بالافتخار انه قومهم فعلوا کذا. وقول الله عزّو جلّ فی هذه الایات انما هو توبیخ لاسلافهم علی هؤلاء الموجودین، لان ذلک هو اللغه التی نزل بها القرآن، والان هؤلاء الاخلاف أیضاً راضون بما فعل اسلافهم، مصوّبون لهم. فجاز ان یقال: انتم فعلتم. ای: اذا رضیتم قبیح فعلهم [۲۷۴] . ج ــ قال ابو محمد الحسن العسکری صلوات الله علیه: ان رجلًا جاء الی علی بن الحسین برجل یزعم انّه قاتل ابیه، فاعترف فاوجب علیه القصاص، وسأله ان یعفو عنه لیعظم الله ثوابه، فکأن نفسه لم تطب بـذلک فقال الامام علی بن الحسین (علیه السلام) للمدّعی الدم الذی هو الولی المستحق للقصاص: ان کنت تذکر لهذا الرجل علیک فضلا فهب له هذه الجنایه، واغفر له هذا الذنب، قال: یا بن رسول الله له علی حق ولکن لم یبلغ به ان اعفو عنه عن قتل والدی ارید القود، فان اراد لحقه علیّ ان اصالحه علی الدیه صالحته وعفوت عنه. قال الامام علی بن الحسین (علیه السلام) فما هو حقه علیک؟ قال: یابن رسول الله لقّننی التوحید، ونبوّه رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) وامامه علی بن ابی طالب والائمه (علیهم السلام). فقال الامام علی بن الحسین (علیه السلام): فهذا لا یفی بدم ابیک؟ بلی والله هذا یفی بدماء اهل الارض کلهم سوی الانبیاء والائمه ان قتلوا، فانه لا یفی بدمائهم شیء [۲۷۵] .

وجیز الافکار

سیاسه الالفاظ

ان الهیمنه علی سیاسه الالفاظ وجعلها اداه طیّعه.. لمن ادلّ الادلّه علی القدره البیانیه المتفوقه، والبراعه السیاسیه. البلیغ البلیغ من

امتكلها، واحسن توجيهها. فاذا اراد المعنى الواضح، والتعبير السلس ـ لسبب يقتضى ذلك ـ امكنته سياسه اللفظ من ذلك. وإذا اراد الاسلوب الجزل، والتركيب الفخم ـ لسبب يقتضى ذلك ـ امكنته أيضاً ممّا اراد. واذا رغب فى تفصيل المطالب، وبسط المقاصد، لم تعصه السياسه المذكوره. وان ارتأى ايداع المعانى الكثيره، والمفاهيم الوسيعه، فى اوعيه صغيره من الكلمات.. اطاعته السياسه اللفظيه كما كانت تطيع الامام زين العابدين (عليه السلام)، تنفيذاً لامره، وإذعاناً لارادته. لقد كان الامام زين العابدين (عليه السلام) ذا باع طويل... فى ايراد قصار الكلمات التى تحظى باهميه خاصّه من حيث الكميه او من حيث الكيفيه، كما ان فيها من جوده الحكمه، ودقه الرأى، وواقعيه التفكير ورهافه الحس.. ما لا يبلغ شأنها ارباب كثيرون، يشارُ اليهم بالبنان، ويقام لهم و لا يقعد.. كلما ذكرت البلاغه واستعرض الفكر، وتجلّت الواقعيه. وان فيها ما اصبح امثالاً سائره، ومواعظ مشهوره، وان كان الجهل فى نسبتها اليه واضح عند اكثريه من يتمثلون بها، او يذكرونها فى كتبهم. ولقد احتضنها عاشقو الادب، ورجال الفكر والقلم، كما تحتضن الربى الورود، او كما تحتضن الهاله القمر. ومن معالم السياسه البيانيه عند الامام زين العابدين (عليه السلام) انه يأتى بالكلام المجيد، ويحسن القول بما ليس على حسنه مزيد، سواء كان ذلك فى الكلام الطويل، كعدد من رسائله وخطبه، وقسط وافر من ادعيته، او بالكلام القصير كجمله من ادعيته، ورسائله، وكذا كلماته القصار، وافكاره الوجيزه. ان الاجاده الفائقه فى طويل الكلام وفى قصيره، وفى مختلف الاغراض ليس بمقدور احد الاّ قليلاً من ائمه اصحاب البيان.

كلمات شماء

ـ ايّاك ومعاداه الرجال; فانه لم يعدمك مكر حليم، او مفاجأه لئيم... [۲۷۶] . ـ الكريم يبتهج

بفضـله، واللئيم يفتخر بملكه... [۲۷۷] . ـ كفى بـالمرء عيبـا ان يبصـر من النـاس مـا يعمى عليه من نفسه، او يؤذى جليسه بمـا لا يعنيه... [۲۷۸] . ـ ايّاك ان تتكلم بما يسـبق الى القلوب انكاره، وان كان عندك اعتذاره، ليس كل من تسمعه شرا، يمكنك ان توسعه عـذرا. ـ من لم يكن عقله من اكمل ما فيه، كان هلاكه من ايسـر ما فيه. ـ اهل الدنيا يتعقّبون الاموال، فمن لم يزاحمهم فيما يتعقبونه كرم عليهم، و من لم يزاحمهم ومكّنهم من بعضـها، كان اعز واكرم... ـ لا تحتقر اللؤلؤه النفيسه ان تجلبها من الكِبا (الكناسه) الخسـيسه.. ـ وقال بحضـرته رجل: اللّهم اغننى عن خلقك، فقال (عليه السـلام): ليس هكذا، انما الناس بالناس ولكن قل: اللهم اغننى عن شـرار خلقك.. قلت: نظر الشاعر العراقى جميل صـدقى الزهاوى الى هـذا المعنى فقال: النّاس للناس من بدو ومن حضـر بعض لبعض وان لم يشعروا خدم ـ كفى بنصر الله لك ان ترى عدوّك يعمل بمعاصى الله فيك. ـ ابن آدم انك لا تزال بخير مـا كـان لـك واعـظ من نفسك، وما كانت المحاسـبه من همّك، وما كان الخوف لك شـعارا، والحـذر لك دثارا... [۲۷۹] . ـ لا ـ حسب لقرشـى ولا ـ لعربى الاّ ـ بتواضع [۲۸۰] . ـ يا سوأتاه لمن غلبت احـداته عشـراته ـ يريـد ان السـيئه بواحـده، والحسنه بعشره [۲۸۱] . ـ مجـالس الصـالحين داعيه الى الصـلاح ـ الخير كله صـيانه الانسـان نفسه ـ من رمى الناس بما فيهم، رموه بما ليس فيه [۲۸۲] . ـ من لم يعرف داءه افسـده دواؤه ـ لا تمتنع من تـرك القبيـح، وان كنت قـد عرفت به، ولا تزهد فى مراجعه

الجميـل وان كنت قـد شـهرت بخلافه _ الشـرف فى التواضع، والغنى فى القناعه _ خير مفاتيـح الامور الصـدق، وخير خواتيمها الوفاء [۲۸۳] . _ الـدنيا سبات والاـخره يقظه ونحن بينهمـا اضـغاث احلام [۲۸۴] . _ اخـذ هـذا المعنى الشـاعر الكبير ابو حسـن التهامى _ على بن محمد (ت۴۱۶) فقال فى رثاء ولـده: فالعيش نوم والمنيه يقظه والمرء بينهما خيال سارى وللمؤلف: العمر نوم ويوم الحشـر يقظتنا (ونحن بينهما اضـغاث احلام) _ عن الامام ابى جعفر الباقر (عليه السـلام) قال: لمّا حضـرت على بن الحسـين (عليهما السـلام) الوفاه ضـمّنى الى صدره ثم قال: يا بنى اوصـيک بما اوصانى به ابى حين حضـرته الوفاه وبما ذکر ان اباه اوصاه به: يا بنى اياک وظلم من لا يجد عليک ناصراً الاّ الله [۲۸۵] . _ التارک الامر بالمعروف والنهى عن المنکر کنابذ کتاب الله وراء ظهره الاـ ان يتقى تقـاه. قيـل: ومـا تقاته؟ قال: يخاف جباراً عنيـداً ان يفرط عليه او أن يطغى [۲۸۶] . قلت: لقـد شدّد الامام زين العابدين (عليه السـلام) النکير على تارک الامر بالمعروف والنهى عن المنکر ممثلا له بنابذ کتاب الله وراء ظهره، وهذا امر هائل. والذى نعتقده ان هذا التمثيل المرعب.. الشديد، بسبب ان الامر بالمعروف والنهى عن المنکر من المفاهيم القرآنيه الثابته، التى لا تقبـل النقـاش او التأويل، بل وردت صـريحه ظاهره فى جمله من الايات المبارکه مثل قوله تعالى: (ولتکن منکم امه يـدعون الى الخير ويـأمرون بـالمعروف وينهون عن المنکر واولئک هم المفلحون) [۲۸۷] . ومثـل قوله تعالى: (الـذين ان مکنّاهم فى الارض اقاموا الصلاه وآتوا الزکاه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنکر ولله عاقبه الامور) [۲۸۸] . اذن اصبح من

الواضح ان التارك لامر صريح ظاهر فی القرآن كالنابذ له ولقد قال تعالی: (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاّ خزی فی الحياه الدنيا ويوم القيامه يردون الی اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) [۲۸۹] . ان القرآن الكريم وحده متكامله متناسقه غير قابله للتجزئه او التشرذم. الحقيقه ان ترك العمل بأی مفهوم من المفاهيم القرآنيه غير القابله للتأويل هو بمثابه نبذ القرآن وراء الظهر، غير ان الامام زين العابدين اكّد ذلك فی خصوص الامر بالمعروف والنهی عن المنكر باعتبار الاهميه الخاصّه للامر والنهی. ان الامر بالمعروف والنهی عن المنكر طاقه روحيه وادبيه تحفظ جوهر الاسلام وتمنح التربيه الاجتماعيه الديمومه والاصاله. بيد ان السؤال الذی يفرض نفسه: لم اوجب الامام زين العابدين (عليه السلام) الامر والنهی فی جميع الحالات الاّ اذا ارتفع امر الی مستوی التقيه فحينئذ يسقط الوجوب؟ فلماذا يسقط الوجوب؟ الذی اتصوّره: ان الامر والنهی اللذين يقصدهما الامام زين العابدين (عليه السلام) انما هما الامر والنهی فی الشؤون الاعتياديه، او ما نستطيع تسميته بيوميات الامر والنهی. اما اذا بلغت الحال الی درجه الحفاظ علی لباب العقيده، وكيان الاسلام فلا تقيه حينئذ. ويستمر الامر والنهی حتی وان غضب الف جبار. كما قال الامام الشهيد الحسين بن علی (عليهما السلام) انما خرجت لطلب الاصلاح فی امه جدی، خرجت لامر بالمعروف، وانهی عن المنكر. وكما واجه الامام زين العابدين (عليه السلام) بشده وعنف يزيد بن معاويه وعبيد الله بن زياد وكما حضر وقعه كربلاء بل كما قاتل فيها وهو عليل حتی سقط جريحا كما فی روايه. وعن طريق الرؤيه هذه نتمكن من الجمع بين كلام الامام زين العابدين (عليه السلام)

حول الامر والنهى اللـذين حـددهما بعدم وصول الامر الى درجه التقيه وبين كلام الامام الحسـين (عليه السـلام) وكذلك الجمع بين كلام الامام زين العابدين وبين سـلوكه وسـلوك ابيه (عليه السـلام) وموقفهما من الجبابره. _ وقال الامام زين العابدين (عليه السلام): ان عدوّى يأتينى بحاجه فابادر الى قضائها خوفا ان يسبقنى احد اليها وان يستغنى عنى فتفوتنى فضيلتها. _ لا يقول رجل فى رجل من الخير ما لا يعلم الا اوشك ان يقول فيه من الشر ما لا يعلم [٢٩٠] . _ وقال (عليه السلام): هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده. قلت: هذا ما تؤكده المختبرات السياسيه والاجتماعيه عبر التاريخ، اذ فى كثير من الحالات لا تسـتطيع الشخصـيه القويمه والمتزنه ان ترد على طيش اجتماعى، او سفه، او اعتداء من نوع خاص.. بينما باستطاعه السفيه الذى يعضدك ان يرد السـفه بالسـفه والاعتداء وان كان بما لا يليق. ولقد كان الاحنف بن قيس مضرب المثل فى الحلم والصفح ومع هذا فهو يمدنا من حقيبته التجريبيه بالحكمه قائلاً: عليكم بالسفهاء فانهم يكفونكم العار والنار. والمقصود من السفيه هنا الخفيف التصـرف الـذى يتسارع لرد الطيش والاعتـداء كيلا بكيل، والذى لا يغض النظر عن هفوه عامده. ان الحكمه التى ادلى بها الامام زين العابـدين (عليه السـلام) لا تقتصـر على الشؤون الفرديه، بل ان الدوله تسـتخدم مثل هذا العضد الذى يفدى ولا يفدى، وفى بعض المنتسبين للقوى التنفيـذيه فى الـدوله ما يـدل على ذلك. ان كلام الامام زين العابدين (عليه السـلام) لا يعنى فى حاله من الحالات تشـجيعا للسـفهاء، ولاحثا على السـفه ولكنه (عليه السلام) لا ينظر الى الحياه السياسيه والاجتماعيه بمنظار الخيال المحلق بل

بمنظار واقعی رزین... فان وجود السفهاء فی المجتمع ظاهره لا تخفی، کما ان الحاجه الی امثالهم فی بعض الاحیان من الامور الواضحه التی لا ینبغی اطاله الجدال فیها. وللفلاسفه والقاده والتأریخیین والشعراء کلمات رائعه تلتقی وسیاق حکمه الامام زین العابدین (علیه السلام) فی هذا المجال. ولقد قال سعد بن کعب الغنوی: ولا یلبث الجهال ان یتهضموا اخا الحلم ما لم یستعن بجهول وقال نهشل بن حری التمیمی (رحمه الله): ومن یحلم ولیس له سفیه یلاق المعضلات من الرجال وینسب هذا البیت أیضاً للاحنف بن قیس. وقال (علیه السلام): _ المؤمن نطقه ذکر، وصمته فکر ونظره اعتبار [۲۹۱] . _ الفکره مرآه تری المؤمن حسناته وسیئاته [۲۹۲] . _ لقد استرقک بالود من سبقک الی الشکر [۲۹۳] . _ وقیل له (علیه السلام): من اعظم الناس خطراً؟ قال: «من لم یر الدنیا خطراً لنفسه» [۲۹۴] . قلت: هذا کلام عظیم صادر من رجل عظیم، وهو بعد عمیق المحتوی.. بعید الاثر.. سواء کان ینصب فی المدالیل الروحیه او المدالیل السیاسیه. اما مدلوله الروحی فباعتبار ان الدنیا بزینتها.. وبهجتها.. والوان زخارفها (فیما اذا کانت بمعزل عن التوجیه الی الاخره) لیست معادله للکیان الروحی للانسان ولا ثمنا للنفس الانسانیه. وان حاول الاستغناء بها عن الاخره کل محاوله، وجاهد فی سبیل الانتفاع بلذائذها، ومتعها البائده.. یقول الامام (علیه السلام): «انه لیس لانفسکم ثمن دون الجنه فلا تبیعوها الا بها». واما المدلول السیاسی فالکلام یتضمن نقداً عنیفاً للقاده السیاسیین الذین یجعلون من مناطق نفوذهم وصلاحیاتهم السیاسیه دلیل العظمه والشموخ. وهکذا کلما تضاءلت همه الانسان استکثر مناطق النفوذ التی یدیرها واستعظم حجم الدوله الخاضعه لحکمه. کما ان فی کلام الامام زین العابدین

(علیه السـلام) تقـدیراً واکباراً للقاده السیاسـیین من اولی الهمم الشـماء الذین لا یعدون مکانتهم الدولیه او مناطق نفوذهم بالامر، الذی هو فوق الخط البیانی لمسـتویاتهم ومکانتهم النفسـیه او السیاسیه. ولقد فطن احد قاده الامام علی (علیه السلام) لهذا السیاق الـدلالی فقـال یخاطب الامام (علیه السـلام): «لقـد زنت الخلافه وما زانتک وشـرفتها وما شـرفتک». وللمؤلف _ غفر الله له _ ما یلتقی مع هذا المعنی: ارأیتم الصقور لاتقطن اعشاش العصافیر کذلک لا تتسع الدنیا لهمم العظماء.

الامام زین العابدین و سیاسه الحکم القائم

اشاره

یحـدد الفقه السیاسـی فی الاسـلام جمله من المرتکزات لمنـح الشـرعیه للحـاکم الاسـلامی. وسوف لا نأخـذ بنظر الاعتبار نظریه خـاصه دون اخری بـل سنشـیر باختصار الی مختلف النظریات العامه حول ذلک. اولاً: یسـتند الحاکم الاسـلامی فی الشـرعیه الی الـدلیل اللفظی، ای الی وجود النص علیه من قبل الله ورسوله (صـلی الله علیه وآله وسـلم). وهذا ما کان یعتمده اهل البیت وعامه الشـیعه. واما غیر الشـیعه من المسلمین فانهم لا ینکرون ذلک بل یقدمونه علی کل المستندات الشرعیه الاخری، ولکنهم یذهبون الی ان الرسول (صـلی الله علیه وآله وسـلم) لم ینص علی شـخص معین بالفصل وانما ترک ذلک للمسـلمین. نعم ان قسـماً قلیلاً منهم _ لا سـیما من المعاصرین _ یذهبون الی انه (صلی الله علیه وآله وسلم) قد نص علی الامام علی (علیه السلام). ثانیاً: تعیین اهل الحلِّ والعقد والشوری، للحاکم. وهذا مورد اتفاق بین المسـلمین اعتماداً علی صـریح الکتاب والسنه. الا انه قد وقعت بعض الاختلافـات حول التفصـیلات فی ذلک. ثالثاً: تعیین الحاکم السابق للحاکم اللاحق، فیما اذا کان الاول یمتلک الاساس الشـرعی فی الحکم. وهذا مما اجمع علیه المسلمون قاطبه. رابعاً: قد جعل بعض الفقهاء الانتخاب الجماهیری وسیله

من الوسائل الشرعيه لتعيين الخليفه او الرئيس. اقول: وهو نعم الرأى، فيما اذا كانت الجماهير تتسم بالشرائط التاليه: أ ــ امتلاك الروح الدينيه. ب ــ امتلاك الوعى السياسى. ج ــ ان يكون اهل الحل والعقد او قسم منهم فى جمله المنتخبين. خامساً: ويرى بعضهم ان الحاكم قد لا يكون مستنداً الى الشرعيه فى الحكم، ولكنه اذا حكم بالعدل واقام السنه وامات البدعه؛ فانه يستحق الحكم بهذه المسوغات كعمر بن عبدالعزيز؛ فانه لم يحكم ارتكازاً الى قاعده شرعيه وانما عينه الخليفه قبله وهذا الاخير فاقد للشرعيه وفاقد الشيء لا يعطيه اذ يكون حكم عمر بن عبدالعزيز عن طريق القوه بصوره أو بأخرى. وهذا لا يكفى مسوِّغاً للحكم. ولكن حكمه بالعدل والكتاب والسُّنه اضفى عليه طابع الشرعيه. اقول: وهذا الرأى يشبه الى حد بعيد ما قاله جان جاك روسو Jean jaquesRousseau: «يستحيل على القوى ان يظل سيد الموقف الا اذا استطاع ان يحوّل قوته الى حق، وطاعته الى واجب». ولكن لا يخفى على القارئ الكريم ان من آفات الرأى الاخير انه يفتح الباب على مصراعيه لمختلف السياسيين، بما فيهم من ازدواجيين ونفعيين للاشتياق الى الحصول على عرش الحكم بذريعه اقامه العداله لو حكموا، وانهم يطبقون حكم الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم). سواء من السياسيين من يصدق لو استلم أزمَّه الحكم، ومن يكذب (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين). وهكذا نعرف بوضوح ان القوه وحدها فى التغلب على الحكم ليست مبرراً للحاكم فى التسلط على الرقاب، لان نظريه القوه ليست من نظريات الفقه السياسى فى الاسلام. نعم ان نظريه القوه فى الاستيلاء على الحكم تتمتع بانصار كثيرين قديماً وحديثاً، سواء ممن زاولوا الحكم عن طريقها فحسب،

او من انصار السياسه الاستبداديه أو من الكتاب والفلاسفه الذين يتجهون الى هذا التفكير فى فلسفه الحكم ونشوء الدوله. ومن هذا المنطلق فإن الدوله سوف تكون تنينا كبيرا يضم مختلف افراد المجتمع على حد تعبير توماس هوبز Thomas Hobbes.
لا يقّر الاسلام ان كل من تسلّم مقاليد الحكم، وتسنّم دفه الدوله اصبح حاكما اسلامياً، او خليفه اسلامياً، أو اميرالمؤمنين، أو غير ذلك من الاصطلاحات السياسيه الصادقه والكاذبه، اذ ان ادّعاء الاسلام فحسب ليس يكفى لان يندرج الانسان فى الاسلاميين ـ رعيةً ـ فضلاً عن ان يكون خليفه اسلامياً وراعياً للامه يحكم الناس باسم القرآن والسنّه. ان الادّعاء وحده يفتقر الى الادلّه العمليه التى تثبت صدقه، وتبرهن على واقعيته. وهنا نود ان نعرف ومن منطلق النظريه السياسيه لدى الامام زين العابدين (عليه السلام) هل كان الحكم الاموى قائماً على اساس النظريه الاسلاميه فى السياسه والحكم ام لا؟. جاء فى الصحيفه السجاديه الكامله من دعائه (عليه السلام) يوم الاضحى ويوم الجمعه: «اللهم ان هذا المقام لخلفائك واصفيائك ومواضع امنائك فى الدرجه الرفيعه التى اختصصتهم بها قد ابتزوها و انت المقدّر لذلك لا يغالب امرك ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك كيف شئت وانّى شئت ولما انت اعلم به غير متّهم على خلقك ولا لارادتك حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدّلاً، وكتابك منبوذاً وفرائضك محرّفه عن جهات اشراعك وسنن نبيّك متروكه. اللّهم العن اعداءهم من الاولين والاخرين ومن رضى بفعالهم واشياعهم واتباعهم». اعلمت من خلفاء الله واصفياؤه وامناؤه على رسالته؟ ومن يعنى الامام زين العابدين بهذه الكلمات؟ انّه يعنى اهل البيت النبوى، وانّه لمنهم فى الصميم. اما القياده السياسيه الحاكمه فى عصره فانها وان تسمّت

بالخلافه وتظاهرت بتطبيق المبادئ الاسـلاميه لكنّها قد بدلت حكم الله، ونبذت كتابه، وحرمت فرائضه، وتركت سـنن نبيه حسب ما جاء عن الامام زين العابـدين (عليه السـلام) فى الـدعاء المـذكور. ولسـنا هنا بصـدد تفصـيل حياه القاده السياسـيين فى الـدوله الامويه وتبيان خطّهم السياسـى وتوسعه البحث عن سـلوكهم واعمالهم، فـذلك موكول الى مظانّه، ولكنّا هنا نحاول ان نسـتلهم جـوانب من مواقـف زين العابـدين تجاه تلـك القيـاده، ونريـد ان نطّلع على مواقفهم منه (عليه السـلام) مع اشـارات سـريعه الى شخصـياتهم، ونعنى بـذلك من ناحيه التاريخ السياسـى المده الواقعه بين تسـلّم الامام زين العابدين (عليه السـلام) للزمام القيادى حتى مصيره الى ربه (۶۱ ــ ۹۴). ان اول خليفه معاصر للامام زين العابدين (عليه السلام) فى هذه المده:

يزيد بن معاويه

ممّـا ينـدى له جبين الانسـانيه ان يصـبح رجـل متهتّك، ماجن ظاهر الفسق، بيّن الفجور، مسـيطراً على امور المسـلمين، ومتحكماً بمقدرات الامّه ورسالتها الخالده. ولقد اجاد الفيلسوف ابو العلاء المعرى حيث يقول تعبيراً عن صـرخه وجدان حىّ وضمير يقظ: ارى الايّام تفعل كل نكر فما انا فى العجائب مستزيد اليس قريشكم قتلت حسيناً وكان على خلافتكم يزيد وجاء فى كتاب التنبيه والاشـراف فى وصف يزيد خلقاً وخلقاً: كان آدم شديد الادمه عظيم الهامه، بوجهه اثر جدرى بيّن، يبادر بلذته ويجاهر بمعصيته ويسـتحسن خطـأه، ويهوّن الامور على نفسه فى دينه اذا صـحّت له دنياه [۲۹۵] . ومن كبريـات الجرائر التى ارتكبها يزيـد: مجزره كربلاء. اباحه المـدينه المنوره. اباحه الكعبه بالمنجنيق. ولقـد بحثنا فى هذا الكتاب موقف الامام زين العابدين (عليه السـلام) من واقعه كربلاء، كما بحثنا عن اخذه واهل بيته الى دمشق، وكيف اوقفوا امام يزيد، وشىء من المطارحات بين يزيد والامام زين

العابدين، وبحثنا فى وقعه الحرّه واسلوب الامام فى ذلك. وكان (عليه السلام) قد ضمّ الى نفسه اربعمائه منافيّه واخذ يعولهن الى ان تقوّض جيش مسلم (بن عقبه) فقالت امرأه منهن: ما عشت والله بين يدى ابوىّ مثل ذلك التشريف [۲۹۶] . وكانت خلافه يزيد ثلاث سنين وثمانيه اشهر ومات بحوران ودفن بدمشق وكان سبب وفاته انّه سكر وهو على سرير مرتفع من الارض فقام يرقص فهوى الى الارض على ام دماغه فاندقّت عنقه [۲۹۷] .

معاويه الثانى

كان هذا على خلاف سيره ابيه (يزيد بن معاويه)، فلم يكن له استهانه بدماء الابرياء، ولا حرص على الدنيا، او بغض لاهل الحق، بل لم يكن فى قلبه شىء من ذلك. ولقد رأى ما منيت به الامّه من قتل واضطهاد، وجور شامل، وما صنع اهل بيته بمكتسبات الامّه وآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد ولى الخلافه بعد ابيه وهو ابن ثمانى عشره سنه او اثنتين وعشرين سنه. ولم يكن طالباً لها بل اتته منقاده (تجرجر اذيالها). فما ان وليها اربعين يوماً وقيل شهرين وقيل اكثر من ذلك حتى صمّم على التنازل عنها، فجمع الناس وحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس انى نظرت بعدكم فيما صار الىَّ من امركم وقلّدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعنى فيما بينى وبين ربى ان اتقدم على قوم فيهم من هو خير منى واحقهم بذلك واقوى على ما قلدته فاختاروا منى احدى خصلتين اما ان اخرج منها واستخلف عليكم من اراه لكم رضاً ومقنعا، ولكم الله على ان لا آلوكم نصحا فى الدين والدنيا، واما ان تختاروا لانفسكم وتخرجونى منها. قال فأنف الناس من قوله وابوا من ذلك وخاف بنو

اميه ان تزول الخلافه منهم فقالوا: ننظر فى ذلك يا امير المؤمنين نستخير الله فامهلنا. قال: لكم ذلك عجّلوا علىّ، قال: فلم يلبثوا بعدها حتى طعن، فدخلوا عليه فقالوا له: استخلف على الناس من تراه لهم رضاً، فقال لهم: عند الموت تريدون ذلك، لا والله لا اتزودها، ما سعدت بحلاوتها فكيف اشقى بمرارتها ثم هلك (رحمه الله) ولم يستخلف احداً [٢٩٨] . واورد اليعقوبى فى تاريخه خطبه مغايره لهذه بعض الشىء فمما جاء فيها: ثم قلد ابى وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه... وقد قتل عتره الرسول واباح حرمه، وحرق الكعبه، وما انا المتقلد اموركم ولا المحتمل تبعاتكم فشأنكم امركم [٢٩٩] . وقيل: انّه كان شيعياً امر الناس بالرجوع الى على بن الحسين (عليه السلام)، وقال: ان هذا حق له. وممّا ينسب اليه: ياليت لى بيزيد حين انتسب اباً سواه وان ازرى بى النسب برئت من فعله والله يشهد لى انى برئت وذا فى الله قد يجب

تعليق عابر

قول ابن قتيبه فى الامامه والسياسه عن معاويه الثانى: (طعن) اى اصابه الطاعون وهو المرض المعروف. قلت: الظاهر انّه الطاعون السياسى الذى اودى بكثير من الاعلام غير المرغوب فيهم، ومازال يأخذ اثره ويتابع مساره التنفيذى فى الشرق والغرب.

مروان بن الحكم

اضطربت التوجهات السلطويه بعد موت معاويه الثانى (رحمه الله)، فكان عبدالله بن الزبير اكبر من دانت له البلاد، بما فيها بلاد الشام كلها الّا الاردن، وخلافه ابن الزبير تترك خلافاً جوهرياً، اذ ان القياده السياسيه العامه تنتقل من القصر الاموى الى غيره. لا سيما ان بين الطرفين نزاعاً قيادياً شديداً وقد وقعت بينهما حرب قبل ذلك وحوصرت مكه. يضاف الى ذلك انتقال القياده العامه الى عبدالله بن الزبير يعنى ان عاصمه البلاد الاسلاميه ستنتقل من الشام الى الحجاز حيث مركز ابن الزبير فى مكه، وصرّح بعض الزعماء من الشام باستنكار قرار الانتقال كروح بن زنباع، والحصين بن نمير. فتآمر بعض انصار الامويين على نقل السلطه لهم، وتمكينهم منها، وفى ذلك يقول روح بن زنباع لمروان بن الحكم: ان معى اربعمائه رجل من جذام سآمر ان يبتدروا فى المسجد غداً فمر ابنك عبد العزيز ان يخطب ويدعوهم اليک، وانا آمرهم ان يقولوا صدقت فيظن الناس ان امرهم واحد. قال: فلما اصبح عبدالعزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ما احد اولى بهذا الامر من مروان بن الحكم، انه لكبير قريش وشيخها وافرطها عقلاً وكمالاً ودنيا وفضلاً. والذى نفسى بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر، فقال الجذاميون: صدقت... فقال خالد بن يزيد (بن معاويه): امر قضى بليل. فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد للضحّاك بن قيس: أرضيت ان تكون

بريداً لابن الزبير وانت اكبر قريش وسيدها تعال نبايعك. فخرج به الى مرج راهط، فلما دعاه الى البيعه اقتتلوا فقتل الضحّاك بن قيس [۳۰۰] . وكانت بدايه بيعه مروان بالاردن وهو اول من اخذها بالسيف كرهاً على ما قيل [۳۰۱] . ولقد كان مروان مناقضاً لدوداً لاهل بيت محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، من ذلك اشتراكه ضد الامام على (عليه السلام) فى حرب الجمل وصفين ومواقفه من سبطى رسول الله، ولولا قصر خلافته لكان لهم منه يوم احمر. وعلى الرغم من مواقفه العدوانيه، فقد حظى منهم بالنبل وبالتسامح المعهود، فلقد عفا عنه الامام على (عليه السلام) بعد الانتصار فى حرب الجمل، من بعد ان تمكن من خناقه. ومن ذلك الاستجابه الكريمه والسمحه من زين العابدين (عليه السلام)، وموافقته على طلب مروان ان يضم عياله الى عياله اثناء محاصره اهل المدينه لبنى اميه كما تقدم الحديث فى ثوره اهل المدينه. ولقد صدقت فيه مقاله الامام على (عليه السلام): «اما ان له امره كلعقه الكلب انفه». كنايه عن قصر مده تسلّمه الحكم; فبعد ان حكم تسعه اشهر وقيل دون ذلك القت عليه جوارى زوجته ام خالد الوسائد بامر منها فمات مخنوقاً.

عبدالله بن الزبير

كان عبدالله بن الزبير من النفر الذين يحذرهم معاويه بن ابى سفيان، ويحذر ولده يزيد منهم. وما ان ولى يزيد الخلافه حتى رفض ابن الزبير بيعته، واشتد عليه معتصماً بمكه. وبعد موت يزيد اشتد امره وقوى سلطانه. وابن الزبير عدو لدود وخصيم مارد ضد آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم). ولقد كان ابوه سنداً قوياً للامام على (عليه السلام) فاستطاع الولد ان يصرفه عن توجّهه العلوى وفى ذلك يقول الامام على صلوات الله

علیه: «كان الزبير رجلًا منا اهل البيت حتى شبّ ولده المشؤوم عبدالله». واشترك ابن الزبير فى الجمل محارباً لعلى (عليه السلام) وصنع ما صنع قبيل الحرب وابّانها حتى اطفأ مالك الاشتر جمرته. وبعد الانتصار صفح عنه الامام واعرض. غير ان ابن الزبير ممّن لا يقابل الاحسان بالاحسان، وكان يسب الامام علياً (عليه السلام) فى خطبته. قال المسعودى: خطب ابن الزبير فنال من على فبلغ ذلك ابنه محمّد بن الحنفيه; فجاء حتى وضع له كرسى قدامه فعلاه وقال: يا معشر قريش شاهت الوجوه اينتقص على وانتم حضور؟ ان علياً كان سهماً صادقاً احد مرامى الله على اعدائه [٣٠٢] . ويسجن ابن الزبير محمد بن الحنفيه (عليه السلام) ومجموعه من بنى هاشم فى شعب ويريد احراقهم، فيرسل المختار الثقفى وحده عسكريه فى سبيل انقاذهم. فما شعر ابن الزبير إلّا والرايات تخفق على رأسه. قال الديّال بن حرمله: فجئنا الى بنى هاشم فاذا هم فى الشعب، فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفيه لاتقاتلوا إلّا من قاتلكم، فلمّا رآى ابن الزبير تنمّرنا له وإقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبه وقال: أنا عائذ بالله [٣٠٣] . لقد كان عبدالله بن الزبير يحسن التمثيل ويجيد التلوّن، فان شاءت الظروف كان جبّاراً عصيّاً، وان شاءت الظروف كان عبداً تقيّاً، رافعاً كف الخشوع للرب عزّوجلّ، مستجيراً بالبيت العتيق، عائذاً بالله. ولقد كان الامام زين العابدين (عليه السلام) كثير الحذر من قياده ابن الزبير، شديد التخوف من فتنتها، تساوره الاشجان وتعتريه الاحزان، ولا نحسب ان تفكيره وآلامه من بلاء القياده الامويه اقل من تفكيره وآلامه من بلاء القياده الزبيريه، إذ ان القيادتين معا تجتهدان بان تأتيا على بنيان اهل البيت من القواعد، وتشيّدا صروح الاهواء والجاهليه

والنزوات الرخيصه. قال ابو حمزه الثمالی رضوان الله علیه: اتیت باب علی بن الحسین (علیهما السلام) فکرهت ان انادی، فقعدت علی البـاب الی ان خرج فسلّمت علیه ودعوت له فردّ علیّ ثم انتهی بی الی حائط، فقال: یا ابا حمزه الا تری هـذا الحائط؟ فقلت بلی یـا سـیدی فقـال: فانی متکئ علیه یوماً وانا حزین مفکر، اذ دخل علی رجل حسن الوجه، حسن الثیاب طیّب الرائحه فنظر فی تجـاه وجهی ثم قال لی: یا علی بن الحسـین مالی اراک کئیباً حزیناً علی الـدنیا فهو رزق حاضـر یأکل منه البر والفاجر، فقلت: ما علیها احزن وانّها کما تقول، فقال: علی الاخره فهی وعـد صادق یحکم فیه ملک قاهر، فقلت: ما علی هذا احزن وانّها کما تقول، قال: فعلام حزنک؟ قلت: الخوف من فتنه ابن الزبیر، قال: فضحک، ثم قال: یا علی هل رأیت احداً سأل الله تعالی فلم یعطه قلت: لا، ثم نظرت فاذا لیس قـدامی احد [۳۰۴] . ینبغی ان یکون واضـحاً ان تخوّف الامام زین العابدین (علیه السلام) ـ وهو الشجاع المقـدام ـ من فتنه ابن الزبیر لیس تخوفاً علی شـخصه ولا علی المآرب الـذاتیه لانّه کان فی الـدرجه العلیا من الایثار والتضـحیه، وانّما کان متخوفاً علی الاسـلام والمصـلحه العامه. ولقد ظلّ عبدالله بن الزبیر فی الحکم ـ خلیفه ـ تسع سـنین ثم قتله اهل الشام سنه ثلاث وسبعین فی خلافه عبدالملک بن مروان، وبذلک تخلّص عبدالملک بن مروان من منافس خطیر وعدو شدید.

عبدالملک بن مروان

بویع عبـدالملک بالخلافه بعـد ابیه مروان سـنه خمس وستین للهجره وکان شدیـداً حازماً، رهیب السـطوه. وفی الایام الاولی من خلافته اصطدمت قوات اهل الشام بحرکه التوابین فی منطقه عین

الورده وقـد تضعضـعت قوات اهـل الشـام وانكشـفت مرتين الاّـ ان كثرتهم الغـالبه حـالت دون انكسـاراهم انكسـاراً نهائياً فسـقط التوابـون صـرعى ومـا نجـا منهم الاّـ قليـل. ثم ظهر المختـار فى العراق والتحم جيشه بجيش عبـدالملك وانـدحرت قوات الاـخير ومزّقت كـل ممزّق. وكـان التوابون والمختـار فى خـط اهـل البيت (عليهـم السـلام)، وهـذا يعنى ان كفاحـاً مسـلحاً عنيفاً وقع بين عبـدالملك وبين خـط اهـل البيت المتمثل بالامام زين العابـدين (عليه السـلام) وهـذا يشـكّل احـد الركائز الاساسـيه التى جعلت عبـدالملك متتبعاً ــ بقوه وشـموليه ــ القواعد الشـعبيه لخط اهل البيت (عليهم السـلام) فى محاوله لاستئصال شأفتهم واجتياحهم نهائيـاً، فنصب الحجّاج الثقفى والياً على العراق والحجّاج كما وصف نفسه لعبـد الملك حسود حقود لجوج. ولا يعنى حسـده الاّ لاهـل الفضـل والكرامه، ولا حقـده الاّ على اهل الصـلاح والسؤدد، ولـم يكن لجوجاً الاّ بسـفك الـدماء، وهتك الاعراض، وتتبع الابرياء بالقتل والتنكيل.

تعليل

بيد ان سـياسه عبدالملك الدمويه تجاه قواعد اهل البيت تغاير سياسـته ــ من حيث القتل ــ مع اهل البيت انفسـهم وعلى رأسـهم الامام زين العابدين (عليه السـلام) فما العلّه من ذلك؟ قلت: يمكن إنهاء ذلك الى علّتين: الاولى: لقد رأى عبدالملك فى اوائل حكمه حركه التوّابين وحركه المختار الّلتين اصـطدمتا به اصـطداما عنيفا جدا كاد ان يودى بقيادته ويحسم ماده وجوده، وعاصـر ثوره اهل المدينه، كل ذلك طلباً بثأر الامام الشهيد الحسين بن على (عليهما السلام)، فاذا ما صنع بعلى بن الحسين (عليه السلام) كصـنع يزيـد بالامام الحسـين تأجّج وقود الثوره من جديد ثم لا يدرى ما تكون العاقبه له ام عليه. العلّه الثانيه: وهى لا تحتاج الى مقدمه لانّها واضحه من خلال الكتاب الذى ارسله عبدالملك فى خلافته

الى الحجّاج الثقفى. من عبدالملك بن مروان امير المؤمنين الى الحجّاج بن يوسف امّا بعد، فانظر دماء عبدالمطّلب فاجتنبها، فأنى رأيت آل ابى سفيان لمّا ولعوا بها لم يلبثوا إلاّ قليلاً. والسلام قال وبعث بالكتاب سرّاً الى الحجّاج وقال له: اكتم ذلك، فكوشف بذلك على بن الحسين (عليهما السلام) حين الكتابه الى الحجّاج، فكتب من فوره: الى عبدالملك بن مروان من على بن الحسين امّا بعد، فانّك كتبت فى يوم كذا من شهر كذا الى الحجّاج سراً فى حقّنا بنى عبدالمطلب ممّا هو كيت وكيت، وقد شكر الله لك ذلك. ثم طوى الكتاب وختمه وارسل به مع غلام له من يومه على ناقه له الى عبدالملك بن مروان وذلك من المدينه الشريفه الى الشام، فلمّا قدم الغلام على عبدالملك اوصله، الكتاب، فلمّا نظره وتأمّل فيه فوجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه الذى كتبه الى الحجّاج فى اليوم والساعه فعرف صدق على بن الحسين وصلاحه ودينه ومكاشفته له، فسر بذلك وبعث له مع غلامه بوقر راحلته دراهم، وكسوه فاخره، وسيّره من يومه، وسأله ان لا يخليه من صالح دعائه [٣٠٥] .

اعتقال الامام زين العابدين

عن ابن شهاب انه قال: شهدت على بن الحسين (عليه السلام) يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينه الى الشام فاثقله حديداً ووكّل به حفّاظاً فى عده وجمع، فاستأذنتهم فى التسليم عليه، والتوديع له، فأذنوا لى فدخلت عليه وهو فى قبّه، والاقياد فى رجليه، والغلّ فى يديه فبكيت وقلت: وددت انى فى مكانك وانت سالم، فقال لى: يا زهرى او تظن هذا ممّا ترى علىّ، وفى عنقى مما يكربنى؟ اما لو شئت ما كان. وانه ان بلغت بك وبامثالك غمره (شده وضيق) فليذكر عذاب

الله. ثم اخرج يـده من الغـل ورجليه من القيـد، ثم قال: يا زهرى لا جزت معهم على ذا منزلتين من المـدينه. فما لبثنا الاّ اربع ليال حتى قـدم الموكّلون به يطلبونه من المـدينه فمـا وجـدوه فكنت فيمن سألهم عنه فقال لى بعضـهم: انّا نراه متبوعاً، انه لنازل ونحن حوله لاـ ننـام نرصـده اذ اصبحنا فما وجـدنا بين محمله إلاّ حديـده. قال الزهرى: فقـدمت بعـد ذلك على عبـدالملك بن مروان فسألنى عن على بن الحسـين (عليه السـلام) فاخبرته، فقال لى: انّه جاءنى فى يوم فقـده الاعوان... فـدخل علىّ فقال: ما انا وانت؟ فقلت: اقم عنـدى. فقـال: لاـ احب. ثم خرج... فوالله لقـد امتلا ثوبى منه خيفه. قال الزهرى: فقلت: يا امير المؤمنين، ليس على بن الحسـين حيث تظن، انّه مشـغول بربّه... فقال: حبّذا شغل مثله فنعم ما شغل به. تحليل: والان نتساءل: ماذا يعنى قول الزهرى: ليس على بن الحسين حيث تظن؟ فمـاذا كـان عبـدالملك يظن بعلى بن الحسـين (عليه السـلام)؟ لابـد انّه كـان يظن ان علياً يحرّك السـاحه ضـده، ويقلب له الامور، ويفنـد قيادته، ويريـد الاطاحه بـذلك الحكم الانتهازى. وفعلا لقـد كان على بن الحسـين (عليه السـلام) كذلك ولكنه يسـتخدم ـ عاده ـ الاساليب غير المكشوفه، والوسائل غير الواقعه تحت الرصد، وإذا ما رُصد شىء فانّما ترصد الاثار والنتائج. غير ان الاثار والنتائج لا تكشف عن مثيرها ومسـبّبها بشـكل واضح إلاّ احياناً. وبذلك يلتف النسـيج بعضـه على بعض، ولا يؤدى المنظار الى الناظر احياناً إلاّ ارتباكاً وضـبابيّه فى الرؤيه. ولمّا نفى الزهرى عن الامام على بن الحسـين (عليه السلام) الاعمال المضادّه للسلطه لانّه مشغول بربّه، اثنى على هذا الشغل وهذا الانصراف وأكبرهما، اذ ان الحياه

العبـاديه حسب فهم عبـدالملک واضـرابه لا تعنی فی مـدلول من مـدالیلها التـدخل بای نمط من الانماط السیاسـیه، وتوجیه الامه والقیام بمسؤولیه المهام الاجتماعیه الکثیره.

بین عبدالملک و یزید

لقد لقی الامام الهمام زین العابدین (علیه السـلام) بسـبب قیامه بالمسؤولیات الجسیمه کل الوان العنت والاضطهاد، فلقد نقل من الکوفه الی دمشق مغلوله یـداه الی عنقه علی الرغم من طول المسـافه والعلّه التی انهکت بـدنه آنـذاک وهـا هنـا مره ثانیه توضـع القیود فی یـدیه والاغلاـل فی عنقه لینقـل الی دمشق، فی المره الاولی من اجل ان یقـدّم الی یزیـد بن معاویه لیری فیه رأیه، وفی المره الثانیه من اجل ان یقدّم الی عبدالملک بن مروان لیری فیه رأیه. فکأن العذاب الالیم والاضـطهاد الشدید قد کتب علی هذا الامـام الطاهر لیلاقی فی سبیل المبادئ العلیا ما یلاقی. غیر انّه والحمـد لله یرجع فی کلتا الحالتین الی مـدینه رسول الله (صـلی الله علیه وآله وسلم) مبجّلا، معزّزا، موفور الکرامه. قد اثبت جدارته، وادّی مسؤلیته وان سخط ساخطون.

بین عبدالملک و مسلم بن عقبه

ونریـد ان نرجع بالـذاکره مره اخری الی حیث ثوره اهل المدینه واباحتها. کیف کان مسـلم بن عقبه قائد جیش الاسـتباحه یتهدد ویتوعـد الامام زین العابـدین (علیه السـلام) قبل لقائه، فلمّا رآه وقـد اشـرف علیه ارتعد وقام له، واقعده الی جانبه وقال له: سـلنی حوائجک، فلم یسأله فی احد ممّن قدّم الی السـیف الاّ شـفّعه فیه. ولمّا سـئل الجزار عن هذا التناقض فی السلوک، والموقف من زین العابـدین قـال: مـا کـان ذلـک لرأی منی لقـد ملئ قلبی منه رعبـاً. وهکـذا یأمر عبـدالملک باعتقال زین العابـدین فی تلک الصوره المأساویه المؤلمه، وإذا به وقد واجهه یکرمه ویجلّه، وینهار امام شخصیته الکبری ویقول: فوالله لقد امتلا ثوبی منه خیفه.

حزم و کیاسه

بلغ عبد الملک ان سـیف رسول الله (صـلی الله علیه وآله وسلم) عند زین العابدین فبعث یستوهبه منه، ویسأله الحاجه، فابی علیه، فکتب الیه عبـدالملک یهـدّده، وانّه یقطع رزقه من بیت المال. فاجابه (علیه السـلام): امّا بعـد، فان الله ضـمن للمتّقین المخرج من حیث یکرهون، والرزق من حیث لاـ یحتسـبون. وقـال جلّ ذکره: (انّ الله لا یحب کل خوّان کفور) [۳۰۶] . فانظر ایّنا اولی بهـذه الایه.

القدح بشخصیه الامام

فـاذا لم یکن فی الترهیب انتصـار لعبـدالملک، واذا کـان الترغیب والاغراء قـد باءا بالفشل فان ثم لمحات یبـدو للمترصـد لها ان یستغلّها ایقاعاً بالطرف المقابل وقـدحاً بشخصـیته امام اعین الجمهور.. وفعلا کان لعبـد الملک بالمـدینه المنوره عین یکتب الیه باخبـار مـا یحـدث فیها، وینقل له مجریات الامور. فکتب الیه ان علی بن الحسـین اعتق جاریه ثم تزوجها. فکتب عبـدالملک الی علی بن الحسـین (علیه السـلام): اما بعـد، فقد بلغنی تزویجک مولاتک، وقد علمت انّه کان فی اکفائک من قریش من تمجد به فی الصهر، وتستنجبه فی الولد. فلا لنفسک نظرت ولا علی من ولدت ابقیت. والسلام. فاجابه (علیه السلام): لیس فوق رسول الله مرتقیً فی مجـد، ولاـ مستزاد فی کرم. انّما کانت ملک یمینی، خرجت منی. اریـد الله عزّوجلّ بامر التمست فیه ثوابه، ثم نکحتها

على سنّته. وقد رفع الله بالاسلام الخسيسه وأتمّ به النقيصه فلا لوم على امرئ مسلم. انّما اللوم لوم الجاهليه. فلمّا وصل الكتاب لعبدالملك قرأه ثم ناوله ولده سليمان فقرأه ثم قال له: يا امير المؤمنين لشدّما فخر عليك ابن الحسين، فقال: يا بنى لا تقل ذلك فانّها ألسن بنى هاشم التى تفلق الصخر، وتغرف من بحر. وتعليقاً على ذلك قال عبدالملك لمن

حوله: خبّرونی عن رجل اذا اتی ما یصنع الناس لم یزده الاّ شرفا. قالوا: ذلک امیر المؤمنین. قال: ما هو ذاک. قالوا: ما نعرف الاّ امیر المؤمنین. قال: لا والله ما هو بأمیر المؤمنین ولکنّه علی بن الحسین. إذْ إن المعتاد عند المجتمع آنذاک ان الزواج من الاماء یضع المتزوج وینقص قدره.. امّا زین العابدین فقد تزوج امه کما یتزوج کثیر من الناس ولکنّهم یتّضعون وهو یرتفع.. ویسمو.. مکانه. وهذا امر غریب یکاد ان یلحق بالمعجزات لان السبب واحد ـ الزواج من الاماء ـ ولکن النتیجه تختلف.. هؤلاء یتّضعون وهذا یرتفع. حتی کأن النتیجه لا تستند إلی مقدمه. سبحانک یا رب ترفع من تشاء، وتضع من تشاء. ان زواج زین العابدین (علیه السلام) من امه دلیل من الادله الوافره علی نبله وتواضعه، وسجاحه خلقه، ونظرته الانسانیه الصادقه واقتدائه بالرسول الاعظم (صلی الله علیه وآله وسلم) اذ قد تزوج امته صفیه بنت حیی بن اخطب بعد إذ أعتقها، کما تزوج ماریه القبطیه. وما علی من استنّ بسنّه رسول الانسانیه من سبیل. انّما السبیل علی من یستعلون علی طبقه المستضعفین من المجتمع وبها یستخفّون. وبعد ان حکم عبدالملک فی المده ما بین رجب سنه (۶۵هـ) الی النصف من جمای الاخره سنه (۸۶هـ) انتقل الی مثواه الاخیر.

الولید بن عبدالملک

بویع الولید یوم وفاه ابیه فخرج علی قومه فی زینته، وصعد المنبر وخطب قائلاً: لم أرَ مثلها نعمه، فقدت الخلیفه، وتقلّدت الخلافه فانّا لله وانّا الیه راجعون علی المصیبه، والحمد لله رب العالمین علی النعمه. وقد وصفه کبیر المؤرخین القدماء علی بن الحسین المسعودی (رحمه الله) قائلاً: کان لحّانه، شدید السطوه، لا یتوقف عند الغضب، ولا ینظر فی عاقبه، ولا

يكلّم عنـد سـطوته، تهون عليه الـدماء. ما أشـبه سـياسه الوليد بسـياسه ابيه تجاه خط اهل البيت (عليهم السـلام)، فان تتبع القواعد الشـعبيه لهم لا يزال على قدم وساق والذبح والتنكيل والاعتقال كأشد ما يكون. هذا من جهه، والجهه الثانيه المشابهه لسياسه ابيه ايضاً هى الابتعاد عن التعرض الدموى للشخصيات الهاشميه.

تصاعد النفوذ

غير انّه قد رأى تصاعد النفوذ الشعبى لزين العابدين (عليه السلام)، وقوه جماهيريته فامتلا حقداً عليه وتربّصاً به، وخصوصاً عندما حج هشام بن عبدالملك، فاراد ان يسـتلم الحجر الاسود فلم يستطع لشده ازدحام الناس فبقى ينتظر الفرصه. ولمّا اقبل الامام زين العابدين صلوات الله عليه انفرج الناس له هيبه واجلالاً واكباراً لشخصه الكريم فاستلم الحجر الاسود. ويسأل بعض اصحاب هشام عن هذا الرجل الذى لقى كل حفاوه وتكريم، ومحاوله لتغطيه الموقف، ولئلّا يرغب بزين العابدين يجيب هشام بالنفى عن معرفه مثل هذا الشـخص. وكان الفرزدق حاضـراً، مسـتمعاً للسؤال وللتجاهل فى الجواب، فقال: انا اعرفه.. وانطلق ينشد رائعته التاريخيّه: هـذا الـذى تعرف البطحـاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم هـذا ابن خير عباد الله كلّهم هـذا التقى النقى الطاهر العلم اذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهى الكرم ينمى الى ذروه العز التى قصرت عن نيلها عرب الاسلام والعجم يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم يغضى حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلّم الاّ حين يبتسم فى كفّه خيزران ريحه عبق من كف اروع فى عرنينه شـمم ينشق نور الهدى من نور غرتّه كالشـمس تنجاب عن اشراقهاالظلم منشقّه من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم هذا ابن فاطمه ان كنت جاهله بجدّه انبياء الله قد ختموا الله شرّفه قدماً وعظّمه

جری بـذاک لـه فی لـوحه القلـم ولیس قولـک مـن هـذا بضـائره العرب تعرف من انکرت والعجم کلتـا یـدیه غیـاث عمّ نفعهما یستوکفان ولاـ یعروهمـا عـدم سـهل الخلیقه لاـ تخشـی بوادره یزینه اثنان حسن الخلق والشـیم حمّال اثقال اقوام اذا فـدحوا حلو الشـمائل تحلو عنـده نعم لاـ یخلف الوعـد میمون نقیبته رحب الفناء اریب حین یعتزم عم البریه بالاحسان فانقشـعت عنها العمایه والاملاـق والعـدم مـا قـال لاـ قـط الاّـ فی تشـهده لولا التشـهد کانت لاءه نعم من معشـر حبّهم دین وبغضـهم کفر وقربهم منجیً ومعتصم لا یسـتطیع جواد بعد غایتهم ولا یدانیهم قوم وان کرموا هم الغیوث اذا ما ازمه ازمت والاسد اسد الشری والبأسُ محتدم لا ینقص العسـر بسـطاً من اکفّهم سیّان ذلک ان اثروا وان عـدموا مقـدّم بعد ذکر الله ذکرهم فی کل بدء ومختوم به الکلم یأبی لهم ان یحل الـذم ساحتهم خیم کریم وایـد بالندی هضم أی الخلائق لیست فی رقابهم لاولیه هذا او له نعم من یعرف الله یعرف اولیه ذا فالـدین من بیت هـذا نـاله الامم [۳۰۷] فلمـا سـمع هشام هـذه القصـیده غضب، ثمّ انّه اخـذ الفرزدق وحبسه ما بین مکه والمـدینه، وبلغ علی بن الحسـین امتـداحه فبعث الیه بعشـره آلاـف درهـم فردّها وقال: والله ما مـدحته إلاّ لله تعالی لا للعطاء، فقال علی بن الحسـین: قد عرف الله له ذلک، ولکنّا اهل بیت إذا وهبنا شـیئاً لا نسـتعیده، فقبلها منه. وقال الفرزدق یهجو هشاماً لحبسـه ایّاه: ایحبسـنی بین المـدینه والتی الیهـا قلوب النـاس یهوی منیبهـا یقلّب راساً لم یکن راس سـید وعینا له حولاء باد عیوبها وبقی الفرزدق فی الحبس اربعه اشهر، فبذل فیه الامام زین العابدین (علیه السلام)

اربعمائه دينار حمراء، واطلقه من الحبس.

تحقيق تاريخى

هـذه القصـيده من مشـهور شـعر الفرزدق بل هى اشـهر شـعره اطلاقاً، وقـد ذكرها جمع غفير من المؤرخين والمحدّثين والادباء، وليس عنـدنا ريب فى صـحّه ذلك، ولكن قد ذكر ان الواقعه التى اُنشـئت فيها القصـيده كانت فى زمن عبدالملك كما ذكر انّها فى زمن عبدالملك أو الوليد على جهه الترديد، وقد ذكرنا وقوعها فى عهد الوليد من غير تردد، وسـبب تاكيدنا على هذا المعنى هو ان وفـاه هشام بن عبـدالملك كانت سـنه خمس وعشـرين ومائه وهو ابن ثلاث وخمسـين سـنه كما عليه جمله من المحقّقين [٣٠٨] وقيل ابن خمس وخمسـين سـنه. وعلى هـذا الاساس يكون فى عهد ابيه عبدالملك صـغير السن، يلعب مع اترابه، لان وفاه عبدالملك كانت سـنه ست وثمانين.. اذن فمن المسـتبعد بل المستبعد جداً ان تكون الحادثه قد وقعت فى عهده وإنما فى خلافه الوليـد. وما يـدريك فربما كان الوليد قد سمّ الامام زين العابدين (عليه السـلام) وقضـى عليه ــ كما هو مشـهور ــ بتحريض من هشام لما راى من شعبيه زين العابدين صلوات الله عليه ومكانته بين المسلمين.

واخيراً

لما بلغ الوليد ثلاثاً واربعين سنه سقط ميّتاً وذلك سنه ست وتسعين. (افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون).

طبيعه الصراع

لم يكن الصـراع بين الامام زين العابدين (عليه السـلام) وبين الوليد فى سبيل تحقيق اهداف ومطامح شخصـيّه او اسـريّه او غيرها من مطامح واهداف دنيويه بل كان صـراع زين العابدين لبواعث دينيّه واخلاقيّه. انّه صـراع بين من يفتدى الحق، ويجسّد الفضيله وبين من يجسّـد الباطـل بكـل ثقله. وانتصـر على بن الحسـين. وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقا. وبقى على زين العابـدين حيّاً يرزق.. خالداً فى الخالدين.. منبعاً ثرّاً للعطاء، والخير، والكرامه.. وتمّت كلمه ربّك صدقاً وعدلاً.

ما وراء المواقف العمليه

اضافه الى مختلف انشطه الامام زين العابدين (عليه السلام) فى معارضه الحكم القائم فان له موقفاً آخر يتّصل بالغيب.. ويتصاعد الى السـميع العليم. انّه خلجـات القلب تتحول الى الفاظ وبيان وذوبان الروح فى محراب الانشـداد للقـدره الازليّه. يا من لا يخفى عليه انباء المتظلّمين... ويا من لا يحتاج فى قصصـهم الى شـهادات الشاهدين... ويا من قربت نصـرته من المظلومين... ويا من بعد عونه عن الظالمين [٣٠٩] . وشـكا إليه بعض اصحابه سياسه القمع والاستبداد وشتم الامام على (عليه السلام) على المنابر فما كان منه (عليه السـلام) إلاّـ النظر الى السـماء مبتهلاً بهـذه الكلمات: «سـبحانك سـيدى ما احلمك، واعظم شأنك فى حلمك واعلى سلطانك يا رب. قد مهّلت عبادك فى بلادك حتى ظنّوا أنهم مهّلتهم ابداً. وهذا كلّه بعينك لا يغالب قضاؤك،ولا يردّ المحتوم من تدبيرك».

النظام النقدى

لم تكن الجهود السياسيه المكثّفه، والمتعدده الاساليب التى قام بها الامام زين العابدين (عليه السلام) فى مواجهه النظام القائم من اجل تحقيق اهداف ومطامح شخصيه او أُسريه او غير ذلك كما عرفنا، وانّما كان زين العابدين (عليه السلام) صاحب دين قويم وعقيده راسخه رسوخ الجبال فهو يتّخذ من المناهج السياسيه وطرائق العمل بما تمليه عليه ديانته وتوحيه العقيده الصلبه. ومن هذا المنطلق يهبّ الامام زين العابدين (عليه السلام) كلما دعت الضروره الى تدعيم الدوله واسنادها اذا كان فى ذلك نفع حقيقى للاسلام... ولا يألو جهداً فى تقديم ما يمكن تقديمه من الصيانه للدين والاخلاق والمبادئ العليا. ان دعاءه لحرس الحدود المعروف بدعائه لاهل الثغور من الادعيه التى تواتر نقلها عنه (عليه السلام). فى الوقت الذى يعنى تعاطفه مع حرس الحدود تعاطفاً مع مصلحه الاسلام ومكتسبات الأُمّه. ومن الادلّه ايضاً

على الدوافع الدينيّه والاخلاقيّه لسياسه الامام زين العابدين (عليه السلام)... قضيّه النظام النقدى للدوله، وايجاد الحل العملى له. إذ كان الحل ورفع المشكله يعنى نصراً للاسلام والمسلمين. وتوضيح ذلك: ان المسلمين لما فتحوا العراق والشام وغيرها وقد كان الاوّل خاضعاً للحكم الفارسى والثانى خاضعاً للحكم الرومى.. استمرّوا على استخدام النظام النقدى القديم فكان: الدرهم البغلى = ٢ / ٣، ٦۶ / ۴ غرام الدرهم الجوارقى =۴٠ / ٣ غرام الدرهم الطبرى =١ / ٢، ٨٣ / ٢٠ غرام هو النظام النقدى السائد فى العراق وان كان العراقيون يستخدمون غيره بصوره اقل وكان اهل الشام يستخدمون العمله الروميّه. وقد ضرب عدد من حكّام المسلمين عدداً من النقود ما بين الفتوحات الاولى الى سنوات من خلافه عبدالملك بن مروان، الّا ان المسلمين ما زالوا غير مستقلّين فى نظامهم النقدى، وفى فتره من فترات شده التوتر بين ملك الروم وبين المسلمين انذر ملك الروم عبدالملك بن مروان بقطعها عن المسلمين فتأزّم وضع عبدالملك وقال: احسبنى اشأم مولود ولد فى الاسلام، واستعان بزين العابدين (عليه السلام) وقد ادرك المسؤوليه الخطيره المتعلّقه بالمصلحه العامه فأرسل إليه ولده محمداً الباقر (عليه السلام) لحل الازمه النقديّه، يتقدم المسلمون خطوه إلى الامام على يدى الامام زين العابدين (عليه السلام) باحراز الاستقلاليّه فى النظام النقدى.

ملاحظه

المشهور بين المؤرخين ان الامام زين العابدين (عليه السلام) قد اوكل مهمّه الانجاز النقدى الى ولده محمد الباقر (عليه السلام) فارسله الى دمشق لهذا الغرض واضعاً له الخطّه المناسبه. ولكن اود ان اشير الى ان بعض المصادر تذكر ان الامام زين العابدين (عليه السلام) ذهب بنفسه الى دمشق لتحقيق الانجاز... قال ابن كثير الدمشقى: وقد استقدمه عبدالملك مرّه

اخری الی دمشق فاستشاره فی جواب ملک الروم عن بعض ما کتب الیه فیه من امر السکّه وطراز القراطیس.

رمز السیاسه

غرّدْ علی فَنَن من الخضـراءِ فالعیشُ عیش الروضه الغنّاءِ غرّد علی نادی الهوی تغریدهً دارت علیها اکؤُس الندماءِ لا نایَ فی الدنیا کصدح عنادل طربت وسجع حمامه ورقاءِ غرّد أمالکَ فی الریاض وحسنها من حاجه یاملهم الشعراءِ ما بین حقل زاهر معشوشب وخمیله تحیا بکل هناءِ والوردِ بعـد الوردِ مبتسـماً الی شـجر کمثل القامهِ الهیفاءِ او لم تکن بجمالها ونسـیمها جعلتک رَبَّ تلاوه وغنـاءِ فاشْـدِ لهـا اللحن الطروبَ فانهـا یا حبی اولی الخلقِ بالاسـداءِ لو کنت فی الجرداء [۳۱۰] مـا اطربتنـا هیهات من طرب علی الجرداءِ وفِّ لها ما اسـطعت بعض حقوقها ان الوفاء طبیعهُ الشـرفاءِ وأصـدق لها المـدحَ البدیع محبهً لجمالها الاسـمی وبعض ثناءِ واری المدیح الفذ ماقد هاجه ربع الهوی او کان محضَ جزاءِ لا تذهبنَّ مشرقاً ومغرباً بهواک متبعا خطی الاجراءِ وقف الهوی فی ربعه وهم الأُلی من آل بیت المصطفی الامناءِ اعلام دین الله موضع سرّه ومهابط التنزیل والایحاءِ لا لیسَ یهواهم سوی کبد ذوی بمحبه الحکماء والعلماءِ هذی العقیدهُ افصـحت عن سرها فی خیر افصاح وخیر اداءِ هتفت: بان المسلمین منابتٌ شتی فبین الهدی والاهواءِ وهداتهم شتی فهم فی سلَّم یمتدّ بین الارض والجوزاءِ فإذا علیُّ ابنُ الحسین متوجٌ فوق الانام وساحه الشهداءِ خیرُ الانام فتیً تعلق بالهـدی کتعلق الابنـاء بالابـاءِ خیرُ الانـام فتیً یـذوبُ محبهً لله ذوبَ الظلِّ فی الصـحراءِ خیرُ الانام فتیً یصـدُّ عن الهوی المردی صدود الخصم عن خصـماءِ خیرُ الانام من اصـطفاهُ محمدٌ لامامه حنفیه عصـماءِ الصالحون هم الذین سَمَوا بنا للمکرماتِ وللهدی الوضّاءِ وعلیُّ زینُ

العابدين سمابهم فوق العلاءِ وفوق كل سماءِ كشّاف ادواء الانام بعلمه والعلم للانسان خير دواءِ قطّاع اعناقِ اللئام بجوده والجودُ مخزاةٌ على اللؤماءِ مقحامُ اوديه النفوس بنظره كبرت عن التبجيل والاطراءِ فتراهُ يكنفها ويسبرُ عمقها والسبْرُ يدنى القاصى المتنائى حتى يريكَ صحيحها وسقيمها ليس السماعُ كمثلِ عين الرائى فكأنما الرحمان اشهده على خلق النفوسِ برؤيهِ وجلاءِ ومشمّر يسعى بغير هواده لا تعتريه سآمهُ الاعياءِ بين العباده لا يُنال اقلّها يسعى وبين معارف سمحاءِ ويجدُّ نحو سياسه قد رفرفت بالفوزِ بين الصحبِ والاعداءِ وله _ إذا ما الليلُ اطبق _ ساعهٌ تحنو لشدِّ سواعدِ الفقراءِ ولربّما اسودّت صحيفهُ ظهره من طولِ حملِ الماءِ للضعفاءِ [٣١١] . ورسائل للظالمين يصدهم فيها عن النزواتِ والفحشاءِ ورسائلٌ للاصفياء تفجرت القاً من التبصير واللالاءِ الليل يسبحُ والنهارُ وانه لاشدُّ فى سبح وفى اجراءِ يسعى وان الدين والدنيا معاً يتقدمان بهمهِ السعّاءِ [٣١٢] . اذكى الحياه بفكرهِ وعلومه واقام بالاذكاء خير لواءِ وارى الحياهَ جواهراً ومظاهراً ابداً تدينُ لجذوهِ الاذكاءِ ولربَّ يوم لا يقاسُ بمجدهِ قرنٌ من الامجاد والعلياءِ واتى عليُ بنُ الحسين ملبيا لله قربَ الكعبهِ الغرّاءِ فتذاوبت عنه الجموع وهالهم قمرٌ يشق مهابط الظلماءِ فكأنه بطلُ الجيوش تفرقت عنه الكتائبُ فهى مثلُ هباءِ أسرَ القلوبَ محبهً عذريهً قدسيهَ الاظهار والابداءِ ومهابهً تحكى مهابهَ حيدر ذاك الفتى فى الساحه الحمراءِ والقلبُ _ انىّ كان _ عبدُ محبّه أو عبدُ خوف قاتل ورجاءِ ورأوا به القرآن جُسّد شاخصا هدياً ومعرفهً وحسنَ رواءِ ورأوا به الزهراءَ بنت محمد فى البهجهِ القمريهِ الزهراءِ ورأوا به من كربلاءَ سموّها أو وقعَها فى النفس والاحشاءِ وأتى هشامٌ [٣١٣] لاهثاً أو باحثاً عن موطئ الاقدام فى

التربـاءِ قد ظلّ فيهم حائراً متردّداً متأخراً كالنعجه الشلّاءِ وانحاز يسأل عن مصير بائس للاشقياء وعزه السعداءِ أهشام مَن هذا؟ فقال كأنه متجاهل دعنى وعمقَ عزائى لا لستُ أعلم من يكون وانه بعض الرجال فخلّنى ورثائى فإذا بسرّ الله يصرخ هاتفاً يُعلى شموخ العزه القعساءِ نفثاً كنفث السـمر غير مدافع برؤى الفرزدق فى أتمّ نداءِ هذا الذى البطحاء تعرف قدرَه هذا علىٌّ سيدُ البطحاءِ البيتُ بيتُ الله يدرك سرَّه والحِلُّ والتحريم دون مراءِ [٣١۴] . إنْ كنتَ تجهله فليس بضائر جهل الحضيض بقمّه شماءِ قد عذّبوه بتهمه شوكتِه وأُقيمَ بين سواتر دكنـاءِ أوَذلكم زين العبـاد وشمسُـهم قـد صوّروه بريشه سوداءِ ورموه جهلاً ـ بالسـياسه وهو لا ـ ينفكُ نبعَ السـاسهِ الكبراءِ كـان السـياسةَ مخبراً وسـجيّةً لكنمـا الجهلاء فى إغواءِ ان السـياسةَ _ لو علمتَ _ طبيعه فى النفس لانبأٌ من الانباءِ وإذا تكانفت السـياسةَ شهرةٌ حسنى فمثل الضوع فى الاشذاءِ كم بين مشهور بزورِ دعايه يوماً ومشهور بلا اصداءِ وصفوةُ بالصمت الغريب ومـا لهم علم بمـا للصـمت من أدواءِ الصـمت ظلم للحقيقه إنّها بالقول نعرفها بـدون غشاءِ والصـمت ظلم النفس لم تطبع على صـمت كمثـل حجاره صـماءِ قـد كان يصـمت عن مقام مابه للقول من دار ومن إيواءِ ويبثُّ حكمته وينشـر علمه كالشـمس مشـرقه على الغبراءِ ويسلُّ رأياً مشـرفياً صارماً يوم الجـدال وملتقى الخطباءِ وله النصائح كالضـحى طلّاعه ما بين أرجاء الى أرجاءِ وبمسـجد للمصـطفى كم خطبه تسبى النهى بفصاحه وبهاءِ وبأرض كوفان مقام لم يزل مرعى البيان ومطمـح البلغاءِ وعلى دمشـقَ ملامح من روعه تغنى طلاب الحسن اى غَناءِ وصـفوةُ بالتقوى وليس بمتّقٍ تقوى الذليل وخشعه الأُسراءِ كان التقى بجِدّه وكفاحه وبروحه الاخّاذه [٣١۵] المعطاءِ كان

التقى ولم يخف من ظالم أنىّ تخاف مساعر الهيجاءِ كان التقى وكم له من خطَّه فى الاجتماع سليمه عذراءِ كان التقى تقى النبى محمَّد لا منحنى الأُجراء والدُّخلاءِ وصفوهُ بالزهد العجيب وما دروا للزهد من أصل ومن أنحاءِ الزهد زهد النفس فى شهواتها لا بالثياب وجرّه من ماءِ وبساحه التأريخ كم من زاهد بالثوب مسراع إلى الغوغاءِ وبساحه التأريخ كم من زاهد بالزاد معروف الضّلال مرائى وبساحه التأريخ كم من زاهد بالدّار منكبٍّ على الاخطاءِ وبساحه التأريخ كم من زاهد بمطارح البيضاء والصفراءِ [٣١۶] . متقدّم نحو الرئاسه لم يكن من أهلها كتقدّم الفضلاءِ الزهد زهد أخى العقيده والهدى زين العباد الساجد البكّاءِ الخاشع الاوّاب كنز مباهج الحكماء والزُهّاد والبُرَآءِ وصفوهُ بالعرفان وصفاً قاتماً مستوبل الالوان والافياءِ يا صاح ما العرفان إلاّ شعله وهّاجه فى أنفس الحكماءِ نور ومعرفه بقلب موحِّد يُحيى الظّلام بأدمع وطفاءِ يا صاح ما العرفان إلاّ ألسن ثريت بذكر الله أىّ ثراءِ يا صاح ما العرفان إلاّ أكبد قد أسكرتها خمره الاسراءِ [٣١٧] . يا صاح ما العرفان إلاّ مهجه ذابت من الاشواق والبرحاءِ إن رمت للعرفان رمزاً وارفاً فعلىٌّ رمز محافل العرفاءِ وصفوهُ بالدَّعّاء لكن ما الذى يجرى وراء الوصف بالدَّعاءِ أخيالُ شعر أم ملاعب فتيه أم بعض أُنس الغاده الحسناءِ قد كان دعّاءً إذا نشر الدُجى أستارَهُ فى الليله الليلاءِ وتراه دعّاءً إذا الصبح انبرى متبختراً بالصفحهِ البيضاءِ إنَّ الدعاءَ وسيلهٌ روحيهٌ تبنى صروحَ النفسِ اىّ بناءِ وهو الدعاء إذا تشاء سياسه صكّت وجوه الظلم والنكراءِ سيل من اللعنات تسكبها لظىً من فوق هام القاده اللُؤماءِ وفضائح تفرى الوجوه وإن أبت أن تنحنى للفرى كلّ إباءِ ولكم به من

خطه معهوده بالفوز والانجاح والارواءِ ولكم به إيحاءه مرّت على سمع الطغاه كصعقه حِذّاءِ [٣١٨] . لا يبلغ التصريحُ غايات له إلاّ ـ وتبلغها يد الايماءِ وصفوه بالبِرّ الحنون وانما قصدوا معانىَ مُوِّهت بغطاءِ فيض من الرّفق الشفيف يزينه نبل الشعور ورقّه الرحماءِ قد حنَّ للعانى [٣١٩ الضعيف وزاره برفيف أخلاق وعطر إخاءِ والدّمع يسكبه كمثل لئالئ رفقاً وتحناناً على البؤساءِ وله العواطف ساميات تلتقى والنفس نفس تلطّف وصفاءِ وإذا يلاقى الظالمين فإنّه كالصُلْب أو كقساوه البيداءِ كم قوله كالصخر شجَّت أوجهاً سوداء بل كالفيلق الشهباءِ وخطابه كالارجوان أعدَّها لقراع جور دونما اغضاءِ وسياسه لانت فخلتُ كأنّها ترف الغنى أو بهجه السرّاءِ حتى إذا اشتدّت حسبتُ صوارماً هنديّه صُبَّت على اللُّقطاءِ وعلى دمشقه [٣٢٠] من زئير سياسه زينبّه [٣٢١] ماحزَّ بالهُجَناءِ رجل السياسه لم تزل من همِّه حتى أعدَّ مراجل الإبقاءِ جيلًا يردّ بصدره وبنحره ضربات كف حكومه عسراءِ تبْغى له الزّيغ الحقير وإنّه يبغى لها صوراً من الافناءِ حتى أضرّت فيه وهو مكافح ما أخمدتهُ صواعق الشحناءِ وأشدّ أبطال الكفاح مصابر للحرب لم يهزم لطول عناءِ وتظلّ توخزه أسنّه بطشها بسياسه كالصعدهِ السمراءِ ويظلُّ يطعنها بخطّ سياسه زينبّه معدومه النُظراءِ كلٌّ بصاحبه يروم إطاحه والخلد لا يعنو لغير فدائى فإذا بذاك الجيل يخلق مثله وإذا الحكومه ريشه بهواءِ وهدى السياسه

يزل قرآنها المَتْلُوَّ فى الاصباح والامساءِ يتلو صحيفتها وتتلو صُحفه الغرّاء، والجُهّال فى إغفاءِ ما رامَها إلا وأقبل جندها متجاوباً مستسلم الاعضاءِ رجل السياسه والعقيده لم يجد بوناً وردَّ مقاله السفهاءِ إنَّ السياسه بعض دين محمّد فتأَخّروا يا معشر الجهلاءِ [٣٢٢] .

عاش العقيده ثوره

قل للعوائلِ فى المدينهِ ميلى نحو العويلِ لفقدِ خيرِ معيلِ دامى

الفؤاد ــ تقطعت أحشاؤهُ فتقطعت اَحشاءُ كلِّ أَصيلٍ وتنكّرت قسماته وأحالها سم وإن السم شرُّ محيل دمعى سكبت على مربّى الجيل سحاً عليه فما شفيت غليلى زين العباد وصفوه الله الذى لم تفصح الدنيا له بمثيل ومفجِّع قد حلّ بعد مفجِّع شهرَ المحرمِ آهِ أى حلول ترك الحسين على الفرات مضرَّجاً ظامى يتوق لورده المعسول وفجيعه السجّاد بين أحبّه ندبوه بالتكبير والتهليل وبكوه للدنيا تطيب بظلّه وبكوه للاخرى بكل عويل ذاك الامام الفذ من فاق الورى بالجَد إنّ الجَد خبرُ رسول ذاك الامام الفذ من فاق الورى بالأُم انّ الاـمَّ خير بتول وبحسبه ان كان حيدر اصلهُ والفرع لاـ يرقى بغير اصول وبحسبه ان فاق من وطئ الثرى بالفقه والتنزيل والتأويل وله من التاريخ كل معارف بالفكر دافقه دفيق النيل وبحسبه قيلُ النبى المصطفى لو ادرك الحكام معنى القيل يوم القيامه سوف يدعى جهره والخلق ماثله أشد مثول أين الفتى زين العباد فيالها اكرومه جلّت عن التمثيل فكأننى أرنوا الى ولدى مشى بين الصفوف موفّر التبجيل ذاكم على بن الحسين وصيتى فيكم وهل أوصى بغير جميل [٣٢٣] . أولى البريه فى البريه كلها بقياده عليا وبالاكليل ليس القياده فى سياسه دربه غنماً لكل مخادع وضئيل كلّا ولا ملكاً عضوضاً زائغاً ألقى به الضلّيل للضلّيل انّ القياده كوكب متوهج فى خطهِ الاسمى وشمس أصيل دين النبى محمد منهاجها ودليلها أكرم بخير دليل لاـتبغى إلّا الحق ليس يغوله كذب الشعار ولا المقال بِغُول [٣٢٤] . لاـ تحكم الارحام فى جنباتها ابداً ولا كان الهوى ببديل يا ويلهم جعلوا قياده حكمهم أرثاً وتوكيلاً الى توكيل بين ابن هند لاعباً متفكّهاً بادى الضلال الى أحطّ سليل عن ذى الكفاءه

والمعارف والهدى عدلوا بها سَفَهاً لغير عدول لو كان حاكمهم [٣٢٥] اذن علم الورى نبل الحكومه فى زمام نبيل أو كان قائدهم اذن علم الورى علم المقدَّمِ ليس بالمفضول انّ النبى محمداً لمّا يزل حياً وان الدين غير كليل عاش العقيده ثوره لا ثروةً ومحطه للكسب والتمويل واذا المطامع حُكّمت أضحى الهدى ضرباً من التزمير والتطبيل ومواقف مشهوده قد جاوزت مدح البليغ ورائعات قؤول أوَ ليس فى نادى الشآم كفايه اذ صار عزّ الملك شر ذليل لمّا سما زين العباد بمنطق صعب الامور لديه جدّ ذلول ولربّ نطق لا- يقاس بقدره حدّ الحسام ولا فعال فَعول لو كنت تعقل يا يزيد فجيعه اوقعتها ياويك [٣٢۶] من مرذولِ لتركت ألوان الاسرّه طائعاً وثويت فى رمل هناك مهيل وأكلت من نَبذ [٣٢٧] الرماد مفارقاً رغد الحياه وطيّب المأكول ودعوتَ بالويلات ممّا قد جنتْ كفّاك بابن المصطفى المأمول وصرختَ كالثكلى اُصيب وحيدها يا للثبور لقاتل مقتول مَن كان يعرفنى فذاك ومَن له جهل فإنى معلم لجهول أنا مَن أنا زين العباد وفى الذى قد قلت ما يُغنى عن التحصيل ولقد طلعتُ عليكمُ بمحمد لو تعرفون مكانتى ومقيلى ولقد طلعت عليكمُ بوصيّهِ خير الانام وملتقى التفضيل أنا إبن اول من أجاب مسارعاً لله واستسقى هدى التنزيل أنا إبن يعسوبِ الهداه ونور مَن قد جاهدوا والبِيض ذات فُلول أنا إبن من قد كان جبريل له عوناً ومنصور [٣٢٨] بميكائيل أنا إبن مردى المشركين وقاصم القوم الطغاه بسيفه المصقول أنا إبن سهم من مرامى الله قد أودى البغاه وكرّ غير مَلولِ قطّاعِ أصلابِ الرجال مفرّق الا حزاب للحرب العوان وَصولِ سمحِ سخىّ لا يقاس به امرؤ طهر زكىّ صادق بهلولِ وأشدِّ

من شـهد الحروب شـكيمةً أسد الى الشوس الكماه عَجولِ ليثِ الحجاز وكبشِ ابطال العرا ق وغيثِ كل جديبه ومحيل فاذا يزيد يضجّ مما قاله خير الورى ويحيد كالمذهول تلك السـياسةُ بالشجاعه ركّبت فاذا هما كالصارم المسلول [٣٢٩] . ويقول منهال بن عمرو كيف قد أمسيت بين إقامه ورحيل فيقول أمسينا وربّ محمد ومثالنا فيكم بنو اسرائيل ما بين فرعون اللئيم وحزبه يتخضبون من الـدم المطلول منهال أمسـى العُرب قد فخروا على مَن دونهم فخراً بغير عَذول [٣٣٠] . وقريش أمسوا بُـذّخاً بمحمد فخراً على فخر هناك أثيل ولنحن آل محمد وبنوه أو لى منهمُ طرّاً بكل جليلِ عشنا العذاب ولم نزل مذ فقدهِ اُسراء غمّ ـ لا يطاقُ ـ مهولِ ما بين مغصوب ومقهور و مقتولِ وبين مطرَّد معقولِ وأتى المـدينه لا يهاب مؤمَّراً أنىّ يهاب الذئبَ ليثُ الغيلِ [٣٣١] . أوَ ترهبون الفاسقينَ غشوْكمُ جوراً وبِيض الهندِ ذات صليل قُتل الحسين فيالها من محنه كبرى ورزء كالجبال ثقيل قُتل الحسين ورأسهُ طافوا به فى كل حَزن شامخ وسهول قُتل الحسين وآلُهُ وَنساؤه اُسروا فمن لخفائر وشبول من بعد ما قُرعت بأرماح العِدا نزلت بربع ليس بالمـأهول يـا أيهـا الاـقوام أىّ منكمُ من بعـد قتله يرتوى بنهول أم أى قلب بعـده لم ينصـدع أم أى عين لم تُصَب بهمول يـا أيها الاقوامُ شـمسُ محمـد ما بينكم قـد آذنت بأُفول يا أيها الاقوام شـرِّدنا بلا جُرم وطرّدنا بكفّ هزيل والله لو ان النبىّ بقتلنا وبأسـرنا أوصى ونيل ذحول [٣٣٢] . ما زاد أقوام على ما قـد جنوا بحقوقنا وأتوا بكل وبيل انظر رجالك يا محمـد غودروا ما بين مسـموم وبين قتيل بعض يُشال على الرماح وبعضهم

فوق الكناسه باديَ التنكيلِ فى كربلاء ويوم فخ هاهمُ تجرى دماؤهمُ كـدفق مسيل انا قـد عهـدتك سيدى دامى الحشا فانـدبْ بدمع كالسحاب هطولِ قتلوا علياً ذا الفخار ومثّلوا بحسين يوماً أيّما تمثيل والمجتبى بالسم يقضى نحبه والعابد السجاد فى تكبيل والباقران معاً وموسى أصبحوا مثلاً لمكويّ الفؤاد عليلِ وعليّ والفرد الجواد ونجله والعسكرى قضوا بكل سبيل أسروا بناتك آه أيّ مصيبه جلّت عن التمويه والتضليل تلك المصائب بالجبال عـدلتُها فتهافتت ومضوا بغير عـديل قـدْ مُتَّ لكن لا تموت عبادةٌ صدعت فؤاد العاشق المتبول قد مت لكن لا تموت سياسةُ بهرت عميقَ الفكر والمعقول [۳۳۳] . وصحيفه ظلت طليعه ثوره كبرى ودرب سياسه وحلول وصحيفه كـانت لال محمـد انجيلهم لله من انجيل وصحيفه ملء الكرامه صاغها ظل النبوه لانتشال الجيل كالشمس فى اعطائها والسيف فى ضرباته لملفّق ودخيل كـالروض الا انها قـد اورقت حراً وقراً دونما تعطيل [۳۳۴] . محمود البغدادى اللهم إن قدّرت لنا العمل بما نعلم فجنبنا العمل لغير وجهك فياويلنا أيكون العلم منك والعمل لغيرك.. فما أضلّ صفقه تاجر رأس ماله لمولاه، وربحه لسواه. اللهم وان قـدرت لنا العمل بما نعلم فجنبنا سوء التطبيق وعثره الطريق.. فان سوء التطبيق من نكد العلم، وعثره الطريق من شقاء العالم. المؤلف

عرفان الجميل

اتقدم باسمى آيات الشكر والتقدير للمجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) على الجهود المتظافره، والانشطه العلميه الوافره التى يجود بها احياءً للكتاب الحكيم، والسنه المطهره، ونشراً للحقيقه الغراء. اسأل المولى عزّوجلّ ان يكلاـ القائمين عليه، والعاملين فيه برعايته، وان يكلل اعمالهم بالنجاح الفائق والتوفيق المطّرد. انه نعم المولى ونعم النصير المؤلف محمود البغدادى

ملاحق

الملحق ۰۱

كتب ملك الروم الى عبد الملك يتوعده، فضاق ذرعاً بجوابه وكتب الى الحجّاج وهو إذ ذاك على الحجاز أن ابعث الى على بن الحسين فتوعده وتهدّده واغلظ له، ثم انظر ماذا يجيبك فاكتب به إليّ. ففعل الحجاج ذلك، فقال له الامام على بن الحسين (عليه السلام): انّ لله فى كل يوم ثلاثمئه وستين لحظه، وارجو أن يكفيك فى اول لحظه من لحظاته. وكتب بذلك الى عبد الملك، فكتب به الى صاحب الروم كتاباً. فلما قرأه قال: ليس هـذا من كلامه هذا من كلام عتره نبوّته [۳۳۵] . كتب عبد الملك هـذا الكتاب أثناء توليه الحجّاج على الحجاز. ومن هنا نفهم أن تأريخ الكتاب قد وقع بعد مقتل عبدالله بن الزبير، أى أن العالم الاسلامى آنذاك تحت سيطره عبدالملك. ومن هذا المنطلق ينبغى أن نعى أنّ عبد الملك لم يعرف بين الاصدقاء والاعداء فى العالم الاسلامى جميعاً شخصاً أولى بالتفكير الراجح والرؤيه الثاقبه من على زين العابدين، ولهذا السبب حاول أن يستطلع تفكيره ويستجلى رؤيته فى جواب ملك الروم. ولقد كان بمستطاع عبد الملك أن يستشير الامام زين العابدين (عليه السلام) فى جواب ملك الروم كما استشاره فى قضيه النظام النقدى، ولكن الظاهر ان سياسه عبدالملك تحاول الاستفاده من الطرف المناوئ ذى التفكير القويم من دون أن تنزله الى دائره الضوء، أو

تعمّق وجوده الاجتماعی. کما یمکن أن یکون السبب أنّ عبد الملک کان فی حاله شدیده من الحرج والضغط الخارجی، فأراد أن یشرک رجلًا مفکراً قوی العزیمه فی نفس شباک الحرج والضغط الشدید والتی کان هو واقعاً فیها. ان الانسان اذا کان بعید الغور قوی الاراده. انتزع من الحلول السریعه والعملیه ما لا یستطیع ان ینتزعه فی الحالات الطبیعیه.

الملحق ۰۲

اشاره

أولی علماء المسلمین ومفکّروهم عنایه فائقه بالصحیفه السجادیه الکامله شرحاً وتعلیقاً، قدیماً وحدیثاً، ومن هؤلاء الافاضل: ۱ ـ الفقیه محمد ابن إدریس الحلی (ت ۵۵۸). ۲ ـ ابراهیم بن علی الکفعمی (ت ۹۰۵). ۳ ـ الفقیه علی بن عبد العالی الکرکی (ت ۹۴۰). ۴ ـ محمد بن جمال الدین الجبعی من احفاد الشهید الثانی (ت ۱۰۳۰). ۵ ـ الشیخ عباس البلاغی من اعلام القرن الحادی عشر. ۶ ـ محمد بهاء الدین العاملی (ت ۱۰۳۰). ۷ ـ کما اَنَّ لابیه العلامه الشیخ حسین بن عبدالصمد الحارثی العاملی تعلیقاً. ۸ ـ علی بن زین العابدین. فرغ من تألیفه (ت ۱۰۹۷) هجریه. ۹ ـ السید حسین الموسوی الکرکی. ۱۰ ـ السید علی بن نظام المدنی الشیرازی (ت ۱۱۲۰). ۱۱ ـ الشیخ یعقوب بن ابراهیم الحویزی (ت ۱۱۵۰). ۱۲ ـ العلّامه جمال الدین الکوکبانی الیمانی (ت ۱۳۳۹). ومن المعاصرین: ۱۳ ـ الاستاذ عزّ الدین الجزائری. ۱۴ـ العلّامه محمد جواد مغنیه. وغیرهم.

ملاحظه

اخبرنا آیه الله العظمی السید شهاب الدین المرعشی النجفی: ان العلامه المصری جوهری طنطاوی حینما اطلع علی الصحیفه السجادیه اعجب بها غایه الاعجاب، وکتب الی بتصمیمه علی کتابه شرح علی هذه الصحیفه.

الملحق ۰۳

لزین العابدین (علیه السلام) أدعیه کثیره للغایه. منها ما هو مذکور فی الصحیفه السجادیه الکامله وهی متواتره عنه، ومنها ادعیه تُنسب الیه کثیره جداً ذکرتها الصحف التی أُلّفت فی العصور الاخیره. فالصحف السجادیه اذن: ۱ ـ الصحیفه السجادیه الکامله وهی من إملاء الامام زین العابدین (علیه السلام). ۲ ـ الصحیفه الثانیه السجادیه، وهی من جمع الشیخ محمد بن الحسن الحر العاملی. ۳ ـ الصحیفه الثالثه السجادیه، وهی من جمع صاحب ریاض العلماء عبد الله الافندی. ۴ ـ الصحیفه الرابعه السجادیه للمحدّث حسین النوری. ۵ ـ الصحیفه الخامسه السجادیه للسید محسن الامین العاملی. وقد رأیت عده أدعیه للامام زین العابدین (علیه السلام) غیر مذکوره فی الصحف السجادیه الخمسه.

الملحق ۰۴

هناک أبیات کثیره من الشعر قیلت فی إثر استشهاد الامام الحسین (علیه السلام)، لها أهمیتها من الوجهه السیاسیه والتأریخیه. وقد اختلف فی نسبتها الی قائلها، فبعض نسبها لسلیمان بن قتّه العدوی مولی بنی هاشم، وبعض نسبها الی سراقه البارقی، وقد نسبها صاحب کتاب التذکره فی أحوال الموتی وامور الاخره الی الامام علی زین العابدین (علیه السلام) مقتصراً منها علی ذکر مطلع الابیات والبیت الثانی [۳۳۶] . عین جودی بعبره وعویل واندبی اِن ندبت آل الرسول واندبی تسعه لصلب علی قد اصیبوا وخمسه

لعقيل وابن عمّ النبى عوناً أخاهم ليس فيما ينوبهم بخذول وسـمىّ النبىّ غودر فيهم قد علوه بصارم مصقول واندبى كهلهم فليس إذا ما عـدّ فى الخير كهلهم كـالكهول فلعمرى لقـد اصـبت ذوى القربى فبكّى على المصاب الطويل فاذا ما بكيت عينى فجودى بدموع تسـيل كل مسـيل لعن الله حيث كان زيادا وابنه والعجوز ذات البعول ان نسبه الابيات الى سراقه البارقى بعيده عن الصحه.
فإنه

کـان بمنـأىً عن طريق اهل البيت (عليهم السـلام) کما يظهر من حاله، فإنه کان عـدواً للمختار، وفی نفس الوقت کان تحت رايه بشـر بن مروان کما فی تاريخ دمشق لابن عساکر ــ نسخه مصوره ــ. فتبقی الابيات مردده بين الامام زين العابدين (عليه السلام) وبين سـليمان بن قتّه. وفی مروج الذهب ۳ / ۶۲ نسـبتها الی مسـلم بن قتيبه مولی بنی هاشم، والظاهر أنه تصحيف سليمان بن قته خصوصـاً مـع قرينـه مـولی بنی هـاشم. تتجلی اهميه الابيـات من حيث وقوعهـا التـأريخی فی ذلـک المقطـع الزمنی، أی علی اثر استشـهاد الامام الحسـين (عليه السـلام) واهل بيته الکرام، کما أن مجرد رثاء الامام الثائر علی الحکم القائم امر فی غايه الصـعوبه والارهاق، فکيف يکون الحال إذا کانت الابيات لم تقتصـر علی هـذا المنحی الخطير بل انها ترسل اللعنه، وترمی بشـرر کالقصـر فی وجوه القياده الظالمه المستبده کما فی البيت الاخير.

الملحق ۰۵

اشاره

أبو علی الطبرسـی فی اعلاـم الوری، عبـدالله بن سـليمان الحضـرمی، فی خبر طويـل: ان غانـم بن ام غانم، دخل المـدينه ومعه امه وسـأل: هـل تحسّون رجلًا من بنی هاشم اسـمه علی؟ قالوا: نعم هو ذاک. قال: فـدلونی علی علی بن عبـدالله بن عباس. فقلت له: معی حصـاه ختم عليهـا علیٌّ والحسن والحسـين (عليهم السـلام)، وسـمعتُ انه يختم عليه (عليهـا) رجل اسـمه علی. فقال علی بن عبدالله بن عباس: يا عدو الله کذبت علی علی بن أبی طالب وعلی الحسن والحسـين. وصار بنو هاشم يضربوننی؛ حتی ارجع عن مقالتی، ثم سلبوا منی الحصاه. فرأيت فی ليلتی فی منامی الحسين (عليه السلام)، وهو يقول لی: هاک الحصاه يا غانم وامضِ الی علی ابنی فهو صاحبک. فانتبهت والحصاه فی

یـدی، فـأتیت علی بن الحسـین (علیه السـلام) فختمهـا وقال لی: ان فی امرک لعبره فلا تخبر به احـداً. فقال فی ذلک غانم بن ام غانم: اتیتُ علیاً ابتغی الحق عنده وعند علی عبره لا احاولُ فشد وثاقی ثم قال لی اصـطبر کأنی مخبول عرانی خابلُ فقلت لحاک الله والله لم اکن لاکذب فی القول الذی انا قائلُ وخلّی سبیلی بعد ضـنک فاصـبحت مخلاته نفسـی، وسربی سائلُ فاقبلت یا خیر الاَنام مؤمماً لک الیوم عنـد [۳۳۷] العالمین اسائلُ وقلت وخیر القول ماکان صادقاً ولا یسـتوی فی الـدین حق وباطلُ ولا یسـتوی من کان بالحق عالماً کآخر یمسـی وهو للحق جاهلُ وانت الامام الحق یعرف فضله وإِن قصرتْ عنه النهی والفضائلُ وانت وصی الاوصیاء محمد ابوک ومن نیطت إلیه الوسائلُ

تعلیق

ان صـح هـذا الخبر أو لم یصـح، فلیس بالامر الـذی یسـتحیل وقوعه أو عـدم وقوعه. وذلـک ان صـدق القائل بـذلک، فما اکثر الکرامـات الحقیقیه للرسول واهـل بیته الطاهرین سـلام الله علیهم اجمعین. وإِن لم یصـدق القائل بـذلک، فما اکثر ماکـذب علی الرسول واهـل البیت. وعلی فرض صـحه اصل الخبر فلیس من الضـروری ان یکون صـحیحاً بهـذه الکیفیه التفصـیلیه. فقـد تکون بعض فقراته قد نسـجتها ایدی الناسـجین. ان التاریخ یحدثنا والکتب العقائدیه تؤکد لنا ان اجیالاً متعاقبه فی زمان أئمه اهل البیت (علیهم السـلام) کـانوا یؤمنون بهم ویعتقـدون بإمـامتهم، حسب الطرق المعتـاده والمعروفه، ولیس عن طریق الختم علی الحصاه. کما ان رؤیه الامام الحسـین (علیه السـلام) فی المنام وبهـذه الصوره المنقوله وإِن کانت غیر مسـتحیله إلاّ انها مع اهمیتها لم یشـر الیها فی الابیات المتقدمه، وهذا ما یدع مجالاً رحیباً للشک فی صحتها. والذی یمکن ان نستفید

منه تاريخياً من الابيات ضـمن الاطر الـداخليه لها ــ باعتبار ان الادب مصـدر ثر للماده التاريخيه ــ ان نزاعاً وتصادماً قـد وقع بين على بن عبـدالله بن عباس رضوان الله عليهم وبين غانم بن ام غانم، ادى الى ان يقع الاخير فى قبضه الوثاق. ثم ان غانماً عمد الى مـدح الامام على زين العابـدين (عليه السـلام). اضافه الى ان الابيات قـد اوحت بل قـد نصت واعتمدت مقارنه بين الشخصـيتين: شخصـيه الامام زين العابـدين، وشخصـيه على بن عبدالله، وكان الترجيح الشديد وبشـكل واضح فى صالح الامام سـلام الله عليه. على ان مـدح الامـام زين العابـدين فى الابيـات لاـ يقتصـر على زاويه الترجيـح مـا بين الشخصـيتين، بـل يتعـداها كثيراً الى حيث الوصـف بـ ــ (خير الانـام). ومـن الجـدير بالـذكر ان اثبـات الامـامه لاـى امـام كـان أو يكـون انمـا يسـتند على الاـدله القطعيـه، والمستمسـكات العلميه، وليس على المنـام والرؤيـا حتى تلـك التى تحظى بـاهميه خـاصه، ومكانه كبيره. نعم ان للرؤيا دوراً فى تعميق الاطمئنان فى النفس، وتأكيد الفكره التى قامت عليها الاَدله المعتمده.

ايضاح

ابـان بن تغلب الـذى روى الخبر عنه هو ابـان بن تغلب بن ربـاح البكرى، من اجلاـء الفقهاء، واعلام مفسـرى القرآن الكريم، ثقهٌ عدل. قال العلامه ابو العباس النجاشى: عظيم المنزله فى اصحابنا. وقال العلامه الحافظ الذهبى: صدوق فى نفسه، عالم كبير. وقال عبدالله بن احمد بن حنبل عن ابيه، واسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، وابو حاتم، والنسائى: ثقه [٣٣٨] .

تحقيق

إذا ما جعلنا هذا الخبر على محك التمحيص والتأمل، أو فى محل الرد، فليس بعله نسـبته الى ابان بن تغلب ذلـك الرجل الصادق الامين، بل لافه أخرى لا علاقه لها بشـخصه الكريم. ان الخبر غير معتمد سـندياً، ولا اقل من ان ابان لم يشاهد الواقعه بنفسه وانما نقلهـا عن غيره، وإن كـان الخبر أول وهله يبـدو كـأن أباناً هو الشاهـد للحادثه. ودليلنا على هـذا ان ابان بن تغلب ــ وإن لم نجد مصدراً يدلنا على تحديد سـنه مولده المبارك ــ قال عنه الذهبى اثناء ترجمته له: وهو من اسـنان حمزه الزيات. بقى علينا اذن ان نعرف تحديـد عام مولـد حمزه الزيات، ولقـد حـدد خير الـدين الزركلى مولده بعام ٨٠ للهجره. ومن هنـا نعلم ان مولـد ابـان بن تغلب عام ٨٠ للهجره وأن هـدم الحجاج للكعبه قد وقع سـنه ٧٣ للهجره. اذن لم يكن ابان بن تغلب قـد حضـر هـذه الواقعه، ولم يكن آنـذاك مخلوقاً، بل وقعت الواقعه قبل مولـده بعده اعوام. ومن هذا المنطلق، يكون ابان قد نقل الخبر عن غيره ولـم يشاهده مباشره، ولسنا نعلم من هذا الذى قد نقل عنه، فهو مجهول.

الملحق ۰۶

اشاره

روى عن ابـان بن تغلب: لما هـدم الحجاج الكعبه، فرق الناس ترابها، فلما جاؤوا الى بنائها وارادوا ان يبنوها، خرجت عليهم حيه، فمنعت الناس البناء حتى انهزموا. فاتوا الحجاج فاخبروه، فخاف ان يكون قـد منع بناؤها، فصـعد المنبر وقال: انشـد الله عبـداً عنده خبر ما ابتلينا به، لما اخبرنا به. قال: فقام شـيخ فقال: ان يكن عنـد احـد علم، فعنـد رجل رأيته جاء الى الكعبه واخـذ مقـدارها ثم مضى. فقال الحجاج: من هو؟ قال: على بن الحسين. قال: معدن ذلـك.

فبعث الى على بن الحسين فاتاه فاخبره بما كان من منع الله اياه البناء. فقال له على بن الحسين: يا حجاج عمدت الى بناء ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) والقيته فى الطريق، وانتهبه الناس كأَنك ترى انه تراث لك. اصعد المنبر فانشد الناس ان لا يبقى احد منهم أخذ منه شيئاً إلاّ رده. قال: ففعل فردوه. فلما رأى جميع التراب اتى على بن الحسين فوضع الاساس، وامرهم أن يحفروا. قال: فتغيبت عنهم الحيه، وحفروا حتى انتهوا الى موضع القواعد. فقال لهم على بن الحسين: تنحوا. فتنحوا فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى ثم غطاها بالتراب، ثم دعا الفعله [۳۳۹] فقال: ضعوا بناءكم؛ فوضعوا البناء، فلما ارتفعت حيطانه امر بالتراب فالقى فى جوفه، فلذلك صار البيت يصعد إليه بالدرج [۳۴۰] .

تحقيق

لا ريب ان للكعبه فضيله كبرى؛ باعتبارها بيت الله تبارك وتعالى، ومهبط ملائكته الطاهرين. ولا ريب ان للامام زين العابدين فضيله كبرى؛ باعتباره منار الحق والسداد، وكعبه الايمان والعقيده. بيد ان الفضيله الكبرى للكعبه المكرمه وللامام زين العابدين (عليه السلام)، لا تمنع ابداً من التحقيق والتدقيق فى الفضائل التى تنسب لها أو له، وذلك من اجل تمييز الغث من السمين، والزهيد من الثمين. اننا لو تركنا الحبل على الغارب فى باب الفضائل وفى شتى الابواب، من الاخبار والاثار، من غير تحقيق ولا تأمل، لامترجت الخرافات بالحقائق، ولبّست على الناس امور كثيره جدا. ان للانسان اذناً وعيناً، اذنا للاستماع، وعيناً للتحقيق. ولقد قال الامام على بن أبى طالب (عليه السلام): اعقلوا الخبر إذا سمعتوه، عقل رعايه لا روايه. فان رواه العلم كثير، ورعاته قليل. وعلى هذا الضوء سوف ندرس الخبر الذى نحن بصدده. أ _ سوف

نعلم ان ابـان بن تغلب رضوان الله عليه، لم يشاهـد الواقعه المـذكوره بعينه، ولـم يكـن مخلوقاً فى زمانها، وانما قـد نقلت له. ب ــ يـذكر الخبر ان الحجاج قد هدم الكعبه، وجاء الامام زين العابدين (عليه السـلام) فاخذ مقدار الكعبه. ان عباره مقدار الكعبه، غير واضـحه كل الوضوح. فهل المقصود بها انه اخـذ من ترابها، أى انه اخـذ مقـداراً منها مثلًا، إذا فلماذا امتعض (عليه السـلام) ممن اخـذ التراب منها؟ ولماذا امر برده؟ أو ان المقصود انه اخـذ قياس الكعبه، وحينئـذ يرتفع الاشـكال من هذه الجهه. ج ــ لقد هدم الحجاج الكعبه المقـدسه اثناء الحرب بينه وبين عبـدالله بن الزبير. وكان الحجاج يمتلك جيشاً، وعبـدالله بن الزبير يمتلك وحـده عسـكريه قويه الشوكه، ومـا زالت الحرب بينهمـا حتى احرز الحجـاج الانتصـار عليه. فهل كان الحجاج بجيشه الـذى انتصـر على تلك الوحده العسكريه الشديده عاجزاً عن قتل حيه خرجت عليه، مع ان انساناً واحداً من قواته يكفى للقضاء عليها. وكيف ينهزم النـاس ــ بمـا فيهم جيش الحجاج ــ من حيه واحـده، ولـم ينهزموا من مواجهه ابن الزبير ومن معه؟ علماً بان خروج حيه او نحوها اثنـاء القيـام بالحفريـات وعمليـات الترميم والبنـاء امر عادى، كثيراً ما تتكرر حالاته وامثلته. وقـد يخامر التفكير سؤال مهم يفرض نفسه. هل كانت الحيه قد خرجت عليهم بالشكل المذهل الذى لم يره الناس أو يعتادوا مثله، بحيث انهم ينهزمون منها؟ ام كانت من الحيات التى اعتادوا رؤيه اشباهها ونظائرها؟ ظاهر الخبر انها من الحيّات، التى اعتاد الناس رؤيه امثالها، ولو كانت مغايره لهذه الصوره، لتضمن الخبر ــ وصفاً اضافياً ــ لها.

الخاتمه

اشاره

ان من الشرائط الاساسيه للبحث العلمى بل مطلق البحوث ان يكون

بحثاً نزيهاً موضوعياً، بعيداً عن التعصب والميول الشخصيه أو الطائفيه او السياسيه أو الطبقيه. ولكن جمله من البحوث، والمقالات، وفنون من التقييم لاهل البيت (عليهم السلام) تحمل النزعه المتطرفه لاصحابها، فكم بين الكتاب والباحثين واصحاب الرأى او الهوى من شذّوا عن الحدود القويمه، وعفّروا وجه الحقيقه عن طريق الغلو بفضائلهم وامتيازاتهم. وكم بين الكتاب والباحثين واصحاب الرأى من يشوه الصوره المتألقه، ويكتم الحق الصراح، ويخبط خبط عشواء، يحمله على ذلك العداء والجفاء. والامر لا يقتصر على عصرنا او العصور القريبه منه. فلقد كان فى عصر اهل البيت (عليهم السلام) من هؤلاء المتطرفين نحو اليمين او الشمال الجمّاء الغفير. سواء من اصحاب التأليف، او من شتى طبقات المجتمع او الرابضين فى الاروقه السياسيه. ولقد كان الامام على بن ابى طالب (عليه السلام) المثال الطيب، بل أقوى الامثله للتعرّض الى هجمات المبغضين من جهه، وإلى آراء المغالين من جهه اخرى. وكان بعض المبغضين يزعم ان علياً (عليه السلام) لا يصلى. وكان احد الاطراف قد بلغ به الغلو الى القول إن علياً اله من دون الله (كبرت كلمه تخرج من افواهم إن يقولون إلا كذباً) [٣٤١] . ولقد صدقت بعلى (عليه السلام) قوله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا على هلك فيك اثنان محب غال، وعدو قال. ومثله قول على (عليه السلام): يهلك فى اثنان محب غال، ومبغض قال [٣٤٢] . وعلى زين العابدين (عليه السلام) هو المثال الاخر من الامثله الوفيره فى هذا الباب. لقد زعم بعض اعدائه انه ومن معه من اسراء كربلاء من الخوارج. وجاءه آخرون يبالغون فى شخصه الكريم، فما كان منه الا ان قال: حسبنا ان نكون من صالحى قومنا. وقال

الامام زين العابدين: احبونا حبَّ الاسلام فما زال حبكم حتى صار علينا عابا. ان شده التطرف فى المدح او الذم لون من الوان المبالغه عند الكثير من مختلف المجتمعات البشريه لاسيما المتخلفه منها. كما انها حاله من الحالات النفسيه عند كثير من الناس، فتراهم يبالغون اذا احبوا أو مدحوا أو اكبروا شخصاً او جماعه. وكذلك يبالغون اذا كرهوا او ذموا او احتقروا شخصاً او جماعه. إن المبالغه فى شتى انماطها لتدل على الخلل الكبير فى الكيان الثقافى والتربوى لمختلف المجتمعات التى تستشرى فيها هذه الحاله. وفى عقيدتى ان بالامكان ان نعزو المبالغه والتطرف الى نوعين من الاسباب:

الاسباب الداخليه

وهى التى تعود الى الثقافه المرتبكه للانسان والى التربيه المنحرفه.

الاسباب الخارجيه

وهى البواعث والاغراض السياسيه او الطائفيه او العنصريه أو الماديه التى تقود الانسان الى المبالغه الهوجاء والتطرف الاسن. ان عدم التطرف ركيزه من الركائز الكبرى للاسلام فى الفكر والسياسه والاجتماع. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): خير الامور اواسطها. وقال الامام على (عليه السلام): نحن النمرقه الوسطى التى بها يلحق التالى، واليها يرجع الغالى [٣٤٣] . تتسم الغالبيه من المؤلفات حول اهل البيت (عليهم السلام) _ قديمها وحديثها _ لا سيما القديم منها بابراز الجانب الاخلاقى لهذا الامام او ذاك، او نقل صور عن فضائله ومناقبه وملكاته النفسيه وحياته الروحيه. ولا ريب فى اهميه الجوانب التى يتطرق لها المؤلفون الكرام. ولكن جانبا مهما ايضاً بل فى اهميه بالغه _ الا وهو _ الجانب السياسى قد بقى فى الاعم الاغلب من المؤلفات بمنأىً عن المعالجه والتناول. واذا ما تناولته بعض المؤلفات فإنه لا يعبر _ عادةً _ الا عن صوره باهته الالوان، و روح جامده، وماده مبتوره. ولعلَّ مردّ ذلك يعود الى عدم الصبر على البحث الدؤوب، والتحقيق المجهد، وما يتمخض عنهما من نتائج ايجابيه، واضحه المعالم، وفى سياق من التكامل، او ما هو شبيه بالتكامل. كما ان عدم التعمق فى التاريخ السياسى، وقله الارتواء من المناهل السياسيه والاجتماعيه، يشكِّل هو الاخر سبباً مهماً من اسباب عدم الفاعليه والحيويه فى حركيه البحث والتناول. كما انه من اسباب عدم الغزاره فى الماده، او البعد عن استيفاء الموضوع. وبناءً على هذه القاعده كانت البحوث غالباً ما تتصف بتجليه السيره الذاتيه لاهل البيت (عليهم السلام)، وبلوره البعد الشخصى لكل واحد منهم. ونحن مع اعترافنا بالقيمه السنيه

والكبيره للسيره الذاتيه لاهل البيت (عليهم السلام) وانها سيره الطهر والخلوص والنبل والكرامه.. الخ. الا ان المنحى الاخر من مناحى شخصياتهم (عليهم السلام) انما ينصب فيما يتعلق بما لهم من اهداف وما لهم من اعمال وانشطه فى المضامير السياسيه والاجتماعيه، وما قدموه على الصعيد التخطيطى والتوجيهى، وعلى صعيد الممارسات التطبيقيه. صحيح ان السيره الذاتيه بنفسها تسلط الضوء على المجالات السياسيه والاجتماعيه، وانها تعكس آثارها ومقوماتها، على تلك المجالات، غير انها بحاجه الى من يوضحون ذلك الانبعاث الضوئى، ويبينون خط الانعكاس. ينبغى لفت النظر الى وجود العلاقه الصميميه والتلاحم العضوى بين الفكر وبين السياسه، وان الخط الفكرى يشكل القاعده العريضه للخط السياسى. ومن هذا المنطلق علينا ان لا نفرق بين امرين من هذه الامور، مثالين على المقصود. اولاً: من الوجهه الفكريه: يرى ائمه اهل البيت سلام الله عليهم: انهم اولى بمنصب قياده المسلمين من غيرهم باعتبار ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نص عليهم فى ذلك، وانهم اصحاب قدرات خاصه تؤهلهم لهذا المنصب الالهى الخطير. وعلى هذا الاساس _ من الوجهه السياسيه _ ليس من الصحيح ان ننسب لاحدهم الاذعان طوعاً، وعن اراده محضه، لاى حاكم من حكام عصرهم باعتباره الاولى بالحكم والقياده العامه منهم. ثانياً: من الوجهه الفكريه: يرى ائمه اهل البيت سلام الله عليهم: جواز الخروج على الحكومه الظالمه احياناً، ووجوب ذلك احياناً أخرى، لانها تتربع على عرش الحكم باسم الاسلام؛ فلا بد إذن ان تحكم بالاسلام روحاً ونصاً دون هواها، ونزواتها، ونزعاتها الشخصيه، ومآربها الفئويه الضيقه. وعلى هذا الاساس _ من الوجهه السياسيه _ من غير الصحيح ان ينسب لاحدهم (عليهم السلام) سياسه الاقرار بظلم الحكومه وسلوكها غير المشروع، او

الاعتراف بايه حكومه لا تطبق الكتاب الحكيم والسنّه المطهره. وانما سكت من الائمه عن الظالمين، و لم يناصبوهم الحرب لا اقراراً بظلمهم او اعترافاً بحكومتهم او عدم جواز محاربتهم، بل لاسباب موضوعيه، كقله الاعوان، او عدم الوثوق بوفاء القاعده، او عدم توفر التربه الخصبه للثوره. علماً ان سكوتهم لم يكن سكوتاً مطلقاً، فالامام زين العابدين (عليه السلام) كان يحرض المختار الثقفى. والامام الصادق (عليه السلام) لم يحارب المنصور الدوانيقى، ولكن ولديه عبدالله وموسى بن جعفر (عليهم السلام) قد حاربا مع محمد ذى النفس الزكيه فى ثوره المدينه ضد المنصور. فهل كان حربهما مع ذى النفس الزكيه بدون تحريض ابيهما (عليه السلام)، او بدون اذنه على الحد الاقل؟ والامام موسى بن جعفر (عليه السلام) لم يثر على الحكم القائم، ولكنه دفع عجله المعارضه نحو الامام، قائلاً لقائد المعارضه (شهيد فخ): حدَّ الضراب. يرى ائمه اهل البيت (عليهم السلام) انهم اولى بالخلافه من غيرهم استناداً الى النص عليهم من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). واتفقت كلمه الاماميه على النص على الامام على (عليه السلام) ووافقهم على ذلک جماعه قليله من علماء السنه واقطابهم [۳۴۴] . هذا اضافه الى قدراتهم الخاصه، ومؤهلاتهم الكثيره كما تقدم. واما القربى من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهى فضيله تضاف الى فضائلهم (عليهم السلام) وليست السبب المؤهل للخلافه; لان النص وحده، يكفى للتأهيل للخلافه، كما ان الكفاءه تجعلهم الاحق من غيرهم بالخلافه، من منظار العقل والمنطق السياسى. واما النسب فنحسب انهم انما تعرضوا له لا لانه السبب الشرعى للخلافه ــ حسب الواقع ــ وانما فى سبيل ارضاء الطرف المقابل، كما انه اقناع جدلى فى ساحه الصراع

السياسی. ان اول من قـدم النسب والقربی للغرض المذکور هو الامام علی بن ابی طالب (علیه السـلام)، وذلک الزاماً لقریش، اذ احتجت علی الانصار بالاولویه الخلافه؛ بأن رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) منها، ای انهم الشجره النسبیه للرسول (صلی الله علیه وآله وسـلم)، والانصار لیسوا کذلک. فقال علی (علیه السـلام): احتجوا بالشـجره واضاعوا الثمره. ومن هذا المنطلق، لا عبره بما یثار فی بعض کتب الفقه السیاسـی والتاریخ السیاسـی، بضعف مستند اهل البیت سلام الله علیهم، اذ انهم طلبوا الخلافه بسبب قرباهم من رسول الله (صـلی الله علیه وآله وسلم)، إذ قد یکون ذو النسب المختص غیر کفوء للرئاسه، فإن للرئاسه العامه، بل کل رئاسه، مؤهلات وشـرائط موضوعیه، قد یتوفر علیها المختص بالنسب وقد لا یتوفر علیها، وإن کان من اقرب الناس الی رسول الله (صـلی الله علیه وآله وسلم). والجواب واضح کما تقدمت الاشاره الیه، ولو کان النسب هو المستند الشرعی، والرکن الاساس فی الاحقیه بالرئاسه؛ لکان العباس بن عبـدالمطلب رضوان الله علیه نظیر الامام علی (علیه السـلام) فی الاولویه بالرئاسه، بل اولی منه بها، لانه عم رسول الله (صـلی الله علیه وآله وسلم). بینما نراه یتقدم بین یدی الامام علی بن ابی طالب قائلاً: امدد یدک ابایعک. ومما هو جـدیر بالذکر ان الامام علیاً کتب الی معاویه بن ابی سـفیان: قد بایعنی القوم الذین بایعوا ابا بکر وعمر. ان هذا ایضاً من بـاب الزام الطرف المقابـل بمـا الزم بـه نفسه، وان علیـاً (علیه السـلام) یری نفسه الاـحق بالخلاـفه؛ لمـا تقـدم من النص والاـهلیه الخاصه، لا للسبب المذکور. وللشوری نظام خاص فی الاسلام، فمن امتلک رأی الشوری، فقد امتلک الشرعیه فی الخلافه. قال

تعالى: (وشاورهم فى الامر) [۳۴۵] . وقال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [۳۴۶] . بيد ان اهل البيت (عليهم السلام) يعتبرون أنفسهم الاولى بالرئاسه العامه للمسلمين، لاـ لأجل الشورى، وانما لاجل النص، والكفاءه. واما الشورى فهى وان كانت نظاماً اسلامياً، الاـ ان موقعها من حيث الترتيب الشرعى بعد النص. قال تعالى: (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله). وهذا يعنى ان عزمه ونصه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الراجح والمتقدم فى مقام التعارض، ما بين الشورى وبين النص. وهل الشورى الاـ محاوله لموافقه امر الله ورسوله؟ فإذا تعيّن النص، انهارت الشورى. واذا اردت ان تضع اصابعك، وانت مطمئن، الى ان النسب والشورى. لدى اهل البيت (عليهم السلام)، ليستا الركيزتين الحقيقيتين والمعتمدتين فى الخلافه، وانما هما الزام للجهه المقابله، فاقرأ البيتين التاليين للامام على (عليه السلام): فإن كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون غيَّبُ وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبيِّ وأقرب [۳۴۷] . ومما يجرى ضمن السياقات الاقناعيه المتقدمه قول الامام على (عليه السلام): واعجبا اتكون الخلافه بالصحابه، ولا تكون بالصحابه والقرابه [۳۴۸] . فان صحبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شرف وكرامه وفضيله للصاحب، ولكنها ليست الاساس الشرعى للرئاسه العامه. ويتلخص مما تقدم أنه ليست القربى ولا الشورى ولا الصحبه البنى الشرعيه لخلافه ائمه أهل البيت من منطلق نظريتهم السياسيه فى الحكم والرئاسه العامه،وانما هو النص وكفى. ولما كانت النصوص التى تروى عن خلافتهم، والاخرى التى يروونها هم (عليهم السلام) كثيره جداً لذا نكتفى بالاشاره الخاطفه لشىء يسير منها. لقد ناشد الامام على (عليه السلام) الناس فى الرحبه: من سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول يوم غدير

خم: من كنت مولاه فعلى مولاه؟ فقام اليه جماعه من الصحابه الكرام فشهدوا بذلك. منهم خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين وابو ايوب الانصارى وسهل بن حنيف وحبشى بن جناده السلولى وعبيد بن عازب الانصارى وثابت بن وديعه الانصارى وابو فضاله الانصارى، والنعمان بن عجلان الانصارى، وعدى بن حاتم الطائى. وكان الذين شهدوا سبعه عشر رجلاً، وقيل: كانوا ثلاثين رجلاً. منهم اثنا عشر بدرياً [۳۴۹] . قال الامام زين العابدين (عليه السلام): الائمه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اثنا عشر عدد الاسباط، ثلاثه من الماضين وانا الرابع وثمان من ولدى، ائمه ابرار [۳۵۰] . وعن زيد الشهيد (عليه السلام): بينا ابى (عليه السلام) مع بعض اصحابه اذ قام اليه رجل فقال: يابن رسول الله هل عهد اليكم نبيكم كم يكون بعده ائمه؟ قال: نعم، اثنا عشر عدد نقباء بنى اسرائيل [۳۵۱] . الوحده فى القرآن الكريم امر الزامى صريح، لا تردد فيه، ولا خيار معه. وان أئمه أهل البيت (عليهم السلام) اولى الناس بتطبيق كتاب الله العزيز، والتمسک به، والدعوه إليه وتوجيه الاخرين نحوه. ومن هنا يفرض هذا السؤال نفسه. إذا كان أئمه أهل البيت (عليهم السلام) من دعاه الوحده، فكيف يجتمع هذا مع كونهم يؤمنون بأولويتهم بالقياده الاسلاميه العامه من غيرهم؟ والجواب ليس بتلك الصوره من التعقيد أو الغموض، وذلك اننا نعرف ان مفهوم الوحده لا يعنى بالضروره ابداً ان الاطراف الذين ينضوون تحت لوائها لا يختلفون فى وجهات النظر والتفكير ابدا; لانه لا يوجد طرف إلاّ وله خلافات كثرت ام قلت مع الاطراف الاخرى. ومن البعيد ان يوجد تحت زرقه السماء شخصان يتفقان فى كل شىء مطلقاً. وإذا كانت الوحده تعنى

عـدم الاختلاـف مطلقـاً فليس الى تحقيق ذلـك من سبيل. بيـد ان الفرق واضـح بين انسان يختلف مع الاخرين فى وجهات النظر وكثير من الاراء، ويدعوه ذلك إلى اعلان الحرب عليهم، وان اضـرَّ ذلك بالمصـلحه العامه، وبين انسان يختلف مع الاخرين ومع هـذا فهو يتألفهم، ويتعاون معهم، ويرشـدهم، أو على الحـدّ الاقل لا يحاربهم، مادامت حربهم تضـر بالمصـلحه العامه. وعلى هذا الضوء يمكن تقسـيم القيـاده العـامه التى عاصـرت أهل البيت (عليهم السـلام) الى ميـدانين. الميـدان الاول: كالخلفاء الثلاثه على سبيل المثال، ممن يطبق الاسـلام مع وجودهم، وتقام حدود الله تعالى وان كانت لاهل البيت (عليهم السـلام) آراء تخالف قسـماً من مفردات الحكم والسـياسه لديهم. وقد تعامل أهل البيت مع هؤلاء بروح تآلفيه، واسدوا لهم التوجيهات القيمه، على الرغم من رؤيتهم الثابته لاحقيتهم (عليهم السـلام) بالحكم منهم، ولكن مصلحه الاسلام واهداف الوحده تقتضى التعاون والتنسيق، وترتيب البيت الاسـلامى، والابتعـاد عن ايجاد ثغره، أو فتـح هوه بين الطرفين، ما امكن ذلك. لقـد ضـرب اهل البيت (عليهم السـلام) فى التعـاون والتفـاهم ومحاوله توفير حاله الانسـجام مع هؤلاء اروع الامثله، وسـطروا اجمل صور نكران الـذات، إذ لا ريب ان تعاون الانسـان وتنسـيقه مع الاـخرين على الرغم من اعتقـاده الكامـل بالاحقيه منهم بالقياده والحكم امر صـعب مستصـعب، لاتطبقه من البشريه إلا ثله قليله. وفى مثل هذه الملابسات والمداخلات السياسيه يقول الامام على بن ابى طالب (عليه السلام) من جمله كلام له: «لاسـلمنَّ ما سـلمت امور المسلمين» [۳۵۲] . ان الـذى يؤرق اهـل البيت ويشـجيهم من الـدوله الحـاكمه ــ بصوره عامه ــ ان تنحرف عن المسار الصحيح، والمقاصد الاسلاميه الرفيعه. وهل ثم اوضح من هذا البيان التاريخى الحافل بالاهتمام الكامل برعايه حقوق

الاسـلام والمسـلمين: «ولكنى آسف ان يلى امر هـذه الامه سـفهاؤها، وفجارها، فيتخـذوا مال الله دولاً، وعباده خولا، والصالحين حربا، والفاسـقين حزبا...» [۳۵۳] . الميـدان الثـانى: وامثلته كثيره من قبيـل يزيـد بن معـاويه، وعبـد الملـك بن مروان، والهـادى، والمتوكل، وغيرهم. فإن التعاون معهم، والابتعاد عن منازعتهم لا يجدى; لانهم بانفسـهم لا يحفظون جوهر الاسـلام بشـكل عام. كما ان عدم منازعتهم يضـر بجوهر الاسلام أُطُراً ومضامين، لذلك كانت لائمه أهل البيت (عليهم السلام) نزاعات شديده معهم، ضمن اساليب وطرائق شتى، ربما تصل احيانا الى الحرب المسـلحه ضدهم، كما فى ثوره الامام الشـهيد الحسـين بن على (عليهما السـلام) على يزيـد بن معـاويه. ان الوحـده مع يزيـد، وامثـال يزيـد تعنى الاختلاف مع القرآن، ومنازعه الاسـلام، والانفصال عن تحقيق صـلاح المسـلمين، والقيام بأمور المستضـعفين. ومن هنا ينبغى ان يعلم ان الوحده لدى أئمه اهل البيت (عليهم السـلام) لا تعنى وحـده المنـافع الشخصـيه، والمصالـح الـذاتيه المشتركه بينهم وبين القـاده السياسـيين المعاصـرين لهم. وانمـا تعنى الوحـده المنبثقه من الرؤيه القرآنيه، والمنهـج النبوى، تلـبيه لمتطلبـات الوجود الاسـلامى العـام، والحـاجه الواقعيه للمسـلمين. (وأطيعوا اللهَ ورسولهُ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكمْ واصبروا إنَّ اللهَ مع الصابرين) [۳۵۴] .

پاورقى

[۱] المؤرخ الكبير المسعودى ـ على بن الحسين (ت ۳۴۶ هـ) مروج الذهب ۳ / ۶۷ ـ ۶۸.

[۲] الفقيه والمفسر والاديب بهاء الدين محمد العاملى (ت ۱۰۳۰ هـ) الكشكول ۳ / ۱۵۰.

[۳] الصحيفه السجاديه الكامله / مناجاه الذاكرين.

[۴] الكاتب الموسوعى، العاملى السيد محسن الامين / الصحيفه الخامسه السجاديه، من دعائه يوم عرفه.

[۵] الصحيفه السجاديه الكامله، دعاؤه يوم الاضحى و يوم الجمعه.

[۶] الصحيفه السجاديه الكامله، دعاؤه يوم الاضحى ويوم الجمعه.

[۷] العلامه المجلسى / الشيخ محمد باقر (ت

۱۱۱۱ ه_) / بحار الانوار ج ۹۴ / ص ۵۱.

[۸] بحار الانوار ۹۴ / ۱۴۳.

[۹] الصحیفه السجادیه الکامله / دعاؤه لاهل الثغور. [

[۱۰] نوح / ۲۶ _ ۲۷.

[۱۱] آل عمران / ۱۴۷.

[۱۲] آل عمران / ۵۳.

[۱۳] العالم العارف السید ابن طاووس _ علی بن طاووس (ت ۶۶۴ ه_)، الاقبال / ۱۴۵، والصحیفه الخامسه السجادیه / ۴۰۵.

[۱۴] المائده / آیه ۴۴.

[۱۵] العنکبوت / آیه ۴۵.

[۱۶] الانعام / آیه ۳۳.

[۱۷] المائده / آیه ۴۴.

[۱۸] البقره / آیه ۲۲۹.

[۱۹] الانعام / آیه ۴۵.

[۲۰] التوبه / آیه ۱۴.

[۲۱] الطلاق / آیه ۸ _ ۹.

[۲۲] وذهب آخرون الی التقصیر فی أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأوّلوه بآرائهم واتهموا مأثور الخبر بما =استحسنوا. یقتحمون أغمار الشبهات، ودیاجیر الظلمات، بغیر قبس نور من الکتاب ولا أثره علم من مظانّ العلم. زاعمین أنهم علی الرشد من امرهم فإلی من یفزع خلَف هذه الامه وقد درست اَعلام المله ودانت الامه بالفرقه والاختلاف یکفّر بعضها بعضاً والله تعالی یقول: (ولا تکونوا کالذین تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البیّنات). فمَن الموثوق به فی اِبلاغ الحجه وتأویل الحکمه، الاّ قرناء الکتاب وائمه الهدی، ومصابیح الدجی الذین احتج الله بهم علی عباده، ولم یدع الخلق سدیً من غیر حجه.

[۲۳] من کبار قاده المعارضه وقد اثبت جداره فی الحروب ما بعدها جداره.

[۲۴] الصحیفه السجادیه الکامله ـ من دعائه یوم عرفه.

[۲۵] العالم الثقه العارف ابراهیم بن علی الکفعمی، المصباح، فصل فیما یعمل فی ذی الحجه.

[۲۶] الصحیفه السجادیه الکامله، دعاؤه فی مکارم الاخلاق ومرضی الفعال.

[۲۷] الصحیفه الخامسه السجادیه / من دعائه (علیه السلام) لجیرانه.

[۲۸] سوره السجده / الایه ۲۴.

[۲۹] المؤرخ الکبیر یعقوب بن سفیان (ت ۲۷۷ هـ) ـ التاریخ والمعرفه ۱

/ ۵۴۵ تحقیق د. ضیاء الدین العمری.

[۳۰] محمد بن الحسن الحر العاملی (ت ۱۱۰۴ هـ) وسائل الشیعه ۱۶ / ۳ دار احیاء التراث العربی.

[۳۱] انظر وسائل الشیعه ۱۶ / ۲ _ ۶.

[۳۲] انظر الوسائل ۱۶ / ۳.

[۳۳] علی بن طاووس (ت ۶۶۴)، الاقبال / ۴۷۷.

[۳۴] المؤرخ والادیب والمتکلم ابن ابی الحدید (ت ۶۵۶)، شرح نهج البلاغه ۱۵ / ۲۴۲ _ ط. دار إحیاء الکتب العربیه.

[۳۵] سوره الانبیاء / الایه / ۱۰۶.

[۳۶] الانعام الایه / ۹۰.

[۳۷] الاحزاب الایه / ۲۱.

[۳۸] برتراند راسل / التربیه والنظام الاجتماعی ص۲۹.

[۳۹] ابن شعبه الحرانی / تحف العقول، ص۲۰۴.

[۴۰] ابن عساکر / تاریخ دمشق فی ترجمته (علیه السلام). نسخه مصوره علی النسخه المخطوطه بدمشق.

[۴۱] تحف العقول، ص ۱۸۸.

[۴۲] المماحکه: المنازعه واللجاج. قال خزیمه بن ثابت ذو الشهادتین رضوان الله علیه:ای القریش أصلحوا ذات بیننا و بینکم قد طال حبل التماحکِ.

[۴۳] تحف العقول ص۱۹۴.

[۴۴] تحف العقول، ص۲۰۰.

[۴۵] المصدر السابق، ص۱۸۵.

[۴۶] کشف الغمه، ج۲ ص۱۰۳، وحلیه الاولیاء، ج۳ ص۱۴۰ ط. مصر. الصفد: العطاء.

[۴۷] فی نسخه: وانزلتهم.

[۴۸] من الرساله المعروفه برساله الحقوق.

[۴۹] راجع بحث سیاسه التعامل الاجتماعی (۲) من هذا الکتاب.

[۵۰] تاریخ الیعقوبی، ج۳ ص۳۷.

[۵۱] سوره الصف / الایه / ۲ _ ۳.

[۵۲] من ندبه طویله. انظر الصحیفه الخامسه السجادیه للسید محسن الامین، دعاء ۱۰۹، والبحار للمجلسی، ۷۸ / ۱۵۴، وینابیع الموده للحافظ القندوزی الحنفی، ص۲۷۳، وکشف الغمه للاربلی، ۲ / ۳۰۹.

[۵۳] البلد الامین للکفعمی ص۳۲۰، والصحیفه ۴ / ۲۹.

[۵۴] الدیلمی، اعلام الدین، فصل من کلام علی بن الحسین.

[۵۵] هذا من مشهور کلامه (علیه السلام) ومصادره کثیره منها: امالی الشیخ المفید ص۲۰۷، وارشاد القلوب للدیلمی ص۲۵، ومشکاه الانوار لابی الفضل الطبرسی، ص۲۲۲ ط. النجف.

[۵۶]

الشبراوی، الاتحاف بحب الاشراف، ص ۵۰، وابن الصباغ المالکی، الفصول المهمه، ص۷۷، وابو نعیم، حلیه الاولیاء ۳ / ۱۸۴.

[۵۷] السید هاشم البحرانی / البرهان فی تفسیر القرآن ج۳ ص۹۵۶.

[۵۸] الحشر / الایه ۷.

[۵۹] سوره الکهف / الایه ۱۰۳ _ ۱۰۴.

[۶۰] انظر تفصیل کلام الامام (علیه السلام) فی بحث الاغراض الادبیه _ الخطب.

[۶۱] الصدوق، الخصال ص۲۴.

[۶۲] رجال الکشی ص۱۱۱ ط. النجف.

[۶۳] المجلسی، بحار الانوار ۱: ۸۹ ط. ایران.

[۶۴] انظر التفصیلات فی بحث «حرکه الرسائل السیاسیه».

[۶۵] الانشقاق / الایه: ۶.

[۶۶] الدیلمی، ارشاد القلوب ج۱ ص۷۱.

[۶۷] سوره الانعام / الایه ۶۸.

[۶۸] سوره الاسراء / الایه ۳۶.

[۶۹] سوره الاسراء / الایه ۳۶.

[۷۰] ابن منظور، مختصر تاریخ دمشق: ۱۷ / ۲۴۹.

[۷۱] حثیثاً: سریعاً.

[۷۲] البیت للکمیت بن زید الاسدی.

[۷۳] تِربُک: من وُلد معک.

[۷۴] الشیخ الصدوق، الامالی / ص۲۷۷.

[۷۵] الشیخ جعفر بن محمد بن قولویه، کامل الزیارات ص۱۰۷ المطبعه المرتضویه / النجف.

[۷۶] یُذکر انه زائده بن قدامه الثقفی من اصحاب الامامین زین العابدین والباقر (علیهما السلام).

[۷۷] کامل الزیارات _ الملحق _ الحقه بعض تلامیذ المؤلف رحمه الله تعالی ص۲۶۰.

[۷۸] احمد بن ابی یعقوب، تاریخ الیعقوبی ۲ / ۳۰۳ _ ۳۰۴ والاربلی، کشف الغمه ۲ / ۱۰۳.

[۷۹] آل عمران / آیه ۱۲۴.

[۸۰] فُصلت / آیه ۳۴.

[۸۱] الخصال للشیخ محمد بن علی الصدوق / ابواب السته، الحدیث الاخیر منها.

[۸۲] من رساله الحقوق.

[۸۳] محمد بن سعد _ الطبقات الکبری ج ۵ / ص ۲۱۳ _ ۲۱۴.

[۸۴] الحق ۴۲ من رساله الحقوق.

[۸۵] رساله الحقوق.

[۸۶] ابن شعبه الحرانی، القرن الرابع الهجری، تحف العقول. و ذکر رساله الحقوق مع شیء من الاختصار الشیخ الصدوق (ت ۳۸۱) الخصال ابواب الخمسین، الحدیث ۱.

[۸۷] الشیخ الصدوق. ثواب الاعمال / ص ۸۰ طبعه حجریه.

[۸۸]

النور / آیه ۳۹.

[۸۹] الزخرف / آیه ۶۵.

[۹۰] الفتح / آیه ۲۸.

[۹۱] جمعتها من روایات مختلفه وقد وردت کامله فی البحار ۴۵ / ۱۱۴ مؤسسه الوفاء بیروت.

[۹۲] البحار ج ۴۵ / ص ۱۲۷.

[۹۳] لوط بن یحیی «ابو مخنف»، مقتل الحسین / ۱۹۷.

[۹۴] ممن نسبها لزین العابدین العلامه احمد بن اعثم الکوفی ت نحو (۳۱۴ هـ) ج الفتوح ۵ / ۲۴۵. وذکر الخوارزمی فی مقتل الحسین ۲ / ۶۳ البیتین الاول والثانی ونسبهما لزین العابدین.

[۹۵] وتضیف بعض المصادر القدیمه الی هذه الابیات: ضیعتمُ حقنا والله اوجبه وقد رعی الفیل حق البیت والحرمِ انی لا خشی علیکم ان یحل بکم مثل العذاب الذی اودی علی اِرَمِ فیه اشاره الی قوله تعالی (الم تر کیف فعل ربک بعاد - اِرَمَ ذات العماد).

[۹۶] من تعابیر الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام).

[۹۷] لوط بن یحیی «ابو مخنف»، مقتل الحسین وهو افضل کتب المقاتل الاّ انه قد غیر وحرف منذ قرون وقد ذکر نصوصه الاولی کبار المؤرخین امثال البلاذری والطبری وغیرهما.

[۹۸] مناقب آل ابی طالب ۴ / ۱۷۴.

[۹۹] جمعتها من روایات مختلفه وقد ذکرها ابن شهرآشوب فی مناقب آل ابی طالب ۴ / ۱۵۶. [

[۱۰۰] مناقب ال ابی طالب ۴ / ۱۵۶، المجالس السنیه ۵ / ۴۳۰.

[۱۰۱] علی بن عیسی الاربلی، کشف الغمه ۲ / ۹۸ _ ۹۹. الصحیفه الخامسه السجادیه دعاء ۱۰۹.

[۱۰۲] بهاء الدین العاملی (ت ۱۰۳۱) الکشکول ۳ / ۱۵۰ _ ۱۵۱.

[۱۰۳] بهاء الدین العاملی، الکشکول ۳ / ۱۳.

[۱۰۴] ابن منظور، مختصر تاریخ دمشق ۱۷ / ۲۵۰، دار الفکر. وابن کثیر، البدایه والنهایه ۹ / ۱۲۹، دار إحیاء التراث العربی.

[۱۰۵] الامام الموفق بن احمد المکی أخطب خوارزم (ت

٥٦٨) مقتل الحسين ٢ / ٤٠، ط. الزهراء النجف ١٣٦٧ه_ ١٩٤٨م وانساب الاشراف لاحمد البلاذرى من اعلام القرن الثالث الهجرى ج ٣ / ص ٢٠٥، ط. بيروت دار التعارف ١٩٧٧م ١٣٩٧ه_.

[١٠٦] يذكر بعض المؤرخين ومنهم الموفق بن أحمد المكى الخوارزمى فى مقتل الحسين ج٢ ص٦١ ان الذى امر بقتله انما هو يزيد بن معاويه. وذكر بعضهم ومنهم ابن شهرآشوب فى كتابه المناقب ج٤ ص١١٣ ان الذى أمر بقتله، انما هو عبيد الله بن زياد. ومما يرجح تولى يزيد لقتله ما ذكره المؤرخ الاكبر على بن الحسين المسعودى فى مروج الذهب ج٣ ص٦١ طبعه دار الاندلس _ بيروت، بعد ان ذكر الرجز المشار إليه فى المتن قال: فبعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاويه ومعه الرأس. وهذا يدل بالضروره على ان ابن زياد لم يقتله. والذى نعتقده ان عله قتل يزيد اياه «أو ابن زياد» انه اراد _ عن خبث ومكر _ ان يوجه الوسائل الاعلاميه، الى شرعيه قتل الامام الحسين (عليه السلام)، واستحقاقه للقتل، وان ينتقص من قدر الحسين ومكانته العظمى فى الامه الاسلاميه، لا_ان يمدح وابواه معا سلام الله عليهما، وان كان الراجز لم يتعمد المدح، ولم يقصد إليه، وانما حملته على ذلك حماقته وسوء طالعه. حقاً، ان اكثر الناس عذاباً من اقيم بين المطامع، وبين سوء الطالع. وإذا كان الذى يتولى قتل الامام الحسين هو الذى يمدح الامام الحسين فان كثيراً من الاهداف السياسيه سوف تذهب هباءً منثورا.

[١٠٧] بهاء الدين العاملى، الكشكول ٣ / ١٢.

[١٠٨] المصدر السابق.

[١٠٩] ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى، البدايه والنهايه ٥ / ١١٣ وتاريخ دمشق _ مصوره.

[١١٠] بهاء الدين العاملى، الكشكول ٣ / ١١.

[١١١] المصدر السابق.

[١١٢]

البيت لعبد المحسن الصورى.

[۱۱۳] البيت لقيس الرقيّات.

[۱۱۴] مناقب ال ابى طالب ۴ / ۱۶۶.

[۱۱۵] الکشکول ۳ / ۱۳.

[۱۱۶] الکشکول ۳ / ۱۵۲.

[۱۱۷] ابن ابى الحدید، شرح نهج البلاغه ۱ / ۲۴ ط دار احیاء التراث العربى (۱۳۷۸ ه_ / ۱۹۵۹م).

[۱۱۸] القلقشندى، احمد بن على. صبح الاعشى ۶ / ۳۹۱. دار الکتب المصریه (۱۹۱۴ _ ۱۹۱۹م).

[۱۱۹] محمد بن جریر الطبرى. تاریخ الطبرى ۲ / ۶۵۲ الناشر دار المعارف بمصر سنه (۱۹۱۸م).

[۱۲۰] المصدر السابق ۲ / ۶۵۴.

[۱۲۱] الاصفهانى، ابو الفرج على بن الحسین، الاغانى ۱۷ / ۱۴۸ دار الکاتب العربى (۱۳۸۹ه_ / ۱۹۷۰م).

[۱۲۲] المصدر السابق ۱۷ / ۱۴۹.

[۱۲۳] من رسالته الى اصحابه کما سیأتى.

[۱۲۴] من رسالته الى اصحابه کما سیأتى ایضاً.

[۱۲۵] ابن کثیر الدمشقى، البدایه والنهایه ۹ / ۳۴۰.

[۱۲۶] سوره ابراهیم / آیه ۷.

[۱۲۷] سوره آل عمران / آیه ۱۸۷.

[۱۲۸] الاعراف / الایه ۱۶۸.

[۱۲۹] عزب: بعد.

[۱۳۰] الذاریات / آیه ۵۵.

[۱۳۱] مریم / آیه ۵۹.

[۱۳۲] ابن شعبه الحرانی _ تحف العقول / ص ۱۹۸ _ ۲۰۰، والشیخ المجلسی _ بحار الانوار ۱۷ / ۲۱۳.

[۱۳۳] مثلاتها: عقوباتها.

[۱۳۴] الشیخ محمد بن یعقوب الکلینی، روضه الکافی ۸ / ۱۴ _ ۱۷، وتحف العقول / ۱۸۲ _ ۱۸۴، والشیخ المفید، الامالی / ص ۱۲۵ _ ۱۲۷ المطبعه الحیدریه النجف، وورّام الاشتری _ مجموعه ورّام ۲ / ۳۷ _ ۳۹.

[۱۳۵] آل عمران / آیه ۱۸۷.

[۱۳۶] مقتل الحسین للخوارزمی / الموفق بن احمد المکی ج۲ ص۶۹ من خطابه (علیه السلام) فی دمشق.

[۱۳۷] الالوسی _ الشیخ العلامه محمود الالوسی البغدادی، روح المعانی ۶ / ۱۹۰، والشبراوی، الاتحاف بحب الاشراف ۵۰.

[۱۳۸] الموفق المکی الخوارزمی، مقتل الحسین ۲ / ۶۹.

[۱۳۹] المفید، محمد بن محمد النعمان، الارشاد ۲۶۰

_ ۲۶۱. بیروت، مؤسسه الاعلمی، ۱۳۹۹ه_ _ ۱۹۷۹م.

[۱۴۰] الاعراف / ۱۹۹.

[۱۴۱] الحدید / الایه ۱۱.

[۱۴۲] البقره / الایه ۲۶۱.

[۱۴۳] البقره / الایه ۲۶۴.

[۱۴۴] التذمم: اجتناب الذم.

[۱۴۵] المائده / الایه ۵۵.

[۱۴۶] أی علی حب الطعام، بمعنی انهم علی الرغم من حبهم للطعام بسبب الجوع ولکنهم یؤثرون المسکین والیتیم والاسیر طلباً لوجه الله تبارک وتعالی.

[۱۴۷] الانسان / الایه ۸ _ ۹.

[۱۴۸] اصحاب العاهات.

[۱۴۹] المجالس السنیه، ج۵ ص۴۲۲ _ ۴۲۳.

[۱۵۰] البقره / الایه ۲۷۴.

[۱۵۱] محمد / الایه ۳۸.

[۱۵۲] آل عمران / الایه ۱۸۰.

[۱۵۳] الحشر / الایه ۹.

[۱۵۴] القصص / الایه ۳۴.

[۱۵۵] ابن ابی الحدید / شرح نهج البلاغه ج۶ ص۳۹۸. ط. دار احیاء الکتب العربیه ط.۲.

[۱۵۶] هجر: مدینه کثیره النخیل وبکثره نخیلها یضرب المثل فیقال: کناقل التمر الی هجر.

[۱۵۷] وردت هذه الخطبه فی صور مختلفه ولکنها متقاربه. انظر شرح نهج البلاغه لابن ابی الحدید: ج۱۰ ص۳، ونهج السعاده فی مستدرک نهج البلاغه للشیخ محمد باقر المحمودی ج۱ ص۳۰۰ ط. مؤسسه الاعلمی للمطبوعات. وغیرهما.

[۱۵۸] محمد علی بن شهرآشوب المازندرانی / مناقب ال ابی طالب: ج۴ ص۱۴۲ _ ۱۴۳.

[۱۵۹] یحتاج الکلام المنسوب الی الامام علی (علیه السلام) الی توضیح وتفصیل لیس هنا موضع ذکره.

[۱۶۰] ویروی ان القصه وقعت مع عمرو بن الحسن السبط، وممن ینسب وقوعها مع الامام زین العابدین (علیه السلام) ابن شهرآشوب محمد بن علی (ت ۵۸۸)، مناقب آل ابی طالب: ۴ / ۱۷۳.

[۱۶۱] من قوله تعالی (أَرْجِهْ واخاهُ وارسل فی المدائن حاشرین) سوره الاعراف / الایه: ۱۱۱.

[۱۶۲] الشوری / الایه ۲۳.

[۱۶۳] الهیثمی: احمد بن حجر المکی (ت ۹۷۴ هـ). الصواعق المحرقه / ص۱۷۲، الناشر مکتبه القاهره.

[۱۶۴] من ملحمه اولها: کذا العاشقُ الولهانُ یُسبی ویُقتل فلا شیءَ إلّا

انت اسمی واجملُ.

[۱۶۵] الکَشّی / محمد بن عبد العزیز / رجال الکشی ص۷۶.

[۱۶۶] من الایه ۶۳ من سوره الشعراء.

[۱۶۷] من الایه ۲۷ من سوره الحج.

[۱۶۸] تمییزاً لها عن الامامه الصغری وهی امامه الصلاه.

[۱۶۹] العلامه ابن منظور / لسان العرب ج۱۲ ص۲۴ _ ۲۶ ماده (امم) وقد نقلنا عنه باختصار.

[۱۷۰] سوره هود من الایه / ۱۷ وسوره الاحقاف من الایه / ۱۲.

[۱۷۱] الحجر / الایه ۷۸ _ ۷۹.

[۱۷۲] یس / الایه ۱۲.

[۱۷۳] القصص / الایه ۵ _ ۶.

[۱۷۴] التوبه / الایه ۱۲.

[۱۷۵] السجده / الایه ۲۴.

[۱۷۶] فتح الباری بشرح صحیح البخاری / للامام الحافظ احمد بن علی بن حجر العسقلانی (۷۷۳ _ ۸۵۲ هجریه) ج۱۳ ص۱۸۹.

[۱۷۷] المصدر السابق ج۱۳ ص۱۹۲.

[۱۷۸] مستدرک الحاکم ج۴ ص۷۶.

[۱۷۹] ابن الاثیر / الکامل فی التاریخ. طبعه دار صادر بیروت ج۳ ص۱۹۰. وکذا تاریخ الطبری ج۳ ص۴۵۰.

[۱۸۰] المؤرخ القدیم ابن اعثم / الفتوح، ج۲ ص۴۴۲.

[۱۸۱] الدکتور احمد محمود صبحی / الامامه لدی الشیعه الاثنی عشریه ص۲۰.

[۱۸۲] نظریه الامامه لدی الشیعه الاثنی عشریه ص۲۲ _ ۲۳.

[۱۸۳] الموفق المکی الخوارزمی / المناقب، الفصل التاسع عشر.

[۱۸۴] ولم يبق من فرق الشيعه التى يذكرها المؤرخون واصحاب الملل والنحل سواء منها الموهومه أو الحقيقيه إلّا فرقه الاماميه الاثنى عشريه وفرقه الزيديه وفرقه الاسماعيليه.

[۱۸۵] مناقب على بن ابى طالب لعلى بن محمد الشافعى المعروف بابن المغازلى، ص۲۸۱، والمناقب للخوارزمى، ص۲۲۸.

[۱۸۶] كمال الدين للشيخ الصدوق، الباب ۲۴، وعيون اخبار الرضا للشيخ الصدوق أيضاً، ص۳۸، وبحار الانوار للعلامه المجلسى، ج۳۶ ص۲۲۶.

[۱۸۷] الصراط المستقيم لزين الدين على بن يونس العاملى البياضى (ت۸۷۷) ج۲ ص۱۲۶، وكمال الدين، ص۱۵۷، وبحار الانوار، ج۳۶ ص۲۵۵.

[۱۸۸] غايه المرام، ص۱۲۵، وبحار الانوار، ج۳۶ ص ۳۴۰.

[۱۸۹] غايه المرام للسيد

هاشم البحرانی، ص ۳۰۰.

[۱۹۰] امالی الصدوق، ص ۳۱ _ ۳۲، وغایه المرام، ص ۲۹۳ _ ۲۹۴.

[۱۹۱] بحار الانوار، ج ۳۶ ص ۳۴۴.

[۱۹۲] بحار الانوار، ج ۳۶ ص ۳۴۵ _ ۳۴۶.

[۱۹۳] هی تلک المرأه العظیمه التی فاقت الرجال العظام. امتازت بالحکمه والمعرفه وقوه الفصاحه والخطابه والشجاعه الفائقه، وکان لها الصبر العجیب الذی یستخف بالرواسی الشداد، ولها مواقف جلیله فی ثوره کربلاء، کما کانت لها دروس فی تفسیر القرآن الکریم.

[۱۹۴] بحار الانوار، ج ۳۶ ص ۳۵۰ _ ۳۵۱.

[۱۹۵] المصدر السابق، ج ۳۶ ص ۳۸۳.

[۱۹۶] مقتل الحسین / للموفق الخوارزمی المکی، ج ۱ ص ۵۹. مطبعه الزهراء / النجف.

[۱۹۷] رواه ابن المغازلی عن احمد بن حنبل فی المناقب، ص ۲۱ ت ۲۲، وغایه المرام، ص ۳۴۲.

[۱۹۸] غایه المرام، ص ۳۹۲، وامالی الطوسی، ج ۱ ص ۳۵۲ _ ۳۵۳.

[۱۹۹] مناقب علی بن ابی طالب لابن المغازلی، ص ۲۶. وقبل نقل ابن المغازلی (رض) لتعلیق ابی القاسم الفضل بن محمد نقل طرقاً کثیره لحدیث من کنت مولاه.

[۲۰۰] الشیخ الصدوق / الامالی، ص ۱۰۹، وغایه المرام، ص ۳۷۷ _ ۳۸۷.

[۲۰۱] غایه المرام / ص ۳۹۹.

[۲۰۲] امالی الصدوق، ص ۳۱ _ ۳۲ ط. النجف، وغایه المرام، ص ۲۹۳ _ ۲۹۴.

[۲۰۳] الشیخ المفید / الارشاد، ص ۲۰ وابن شهرآشوب، مناقب آل ابی طالب، ج ۳ ص ۵۴.

[۲۰۴] الموفق المکی الخوارزمی / المناقب / الفصل السادس، ومستدرک الحاکم، ج ۳ ص ۱۲۸.

[۲۰۵] الشیخ الصدوق / کمال الدین، باب اتصال الوصیه، الحدیث ۵۶.

[۲۰۶] الشیخ الصدوق، کمال الدین، باب اتصال الوصیه، الحدیث ۶۲.

[۲۰۷] تاریخ الفکر الفلسفی فی الاسلام، ص۱۲۷. طبعه دار النهضه العربیه، بیروت.

[۲۰۸] رجال الکشی / الخبر ۹۹۷.

[۲۰۹] رجال الکشی / الخبر ۹۹۹.

[۲۱۰] الشیخ الصدوق / عیون اخبار الرضا، الباب ۴۶، ما جاء عن الرضا فی وجه دلائل الائمه والرد علی الغلاه والمفوضه. وذکر فی الباب اکثر من حدیث حول ذلک.

[۲۱۱] الامام الجوینی

/ ابراهيم بن محمد بن المؤيد (ت ۷۳۰ هجريه)، فرائد السمطين ج ۱ ص ۴۵ _ ۴۶.

[۲۱۲] كفايه الاثر / للخزار _ مخطوط، والبحار للمجلسى، ج ۳۶ ص ۳۸۸، والصراط المستقيم للبياضى العاملى، ج ۲ ص ۱۳۱.

[۲۱۳] بحار الانوار، ج ۳۶ ص ۳۸۹. مؤسسه الوفاء.

[۲۱۴] كفايه الاثر _ النسخه الخطيه، وبحار الانوار، ج ۳۶ ص ۳۸۹.

[۲۱۵] البقره / الايه ۱۵۹.

[۲۱۶] التفسير المنسوب للامام الحسن العسكرى _ نسخه خطيه _ عند تفسير قوله تعالى: (ان الذين يكتمون ما انزلنا...).

[۲۱۷] الصدوق، معانى الاخبار.

[۲۱۸] قال الدكتور على سامى النشار وهو من اعلام رجال مصر المعاصرين: كانت فاطمه تؤمن بلا شك بالحق الالهى لعلىّ فى الخلافه. نشأه الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ۲ ص ۶.

[۲۱۹] الشيخ عبد الحسين الامينى / الغدير، ج ۱ ص ۱۹۷.

[۲۲۰] العلامه المجلسى، بحار الانوار، ج ۴۶ ص ۲۳۲ _ ۲۳۳، والبياضى العاملى / الصراط المستقيم، ج ۲ ص ۱۳۱.

[۲۲۱] كفايه الاثر / مخطوط، وبحار الانوار، ج ۴۶ ص ۲۳۰ _ ۲۳۱.

[۲۲۲] البحار، ج ۴۶ ص ۲۳۱ _ ۲۳۲.

[۲۲۳] البحار، ج ۴۶ ص ۲۲۹.

[۲۲۴] بصائر الدرجات، باب ۴، ص ۴۸.

[۲۲۵] البحار، ج ۴۶ ص ۲۳۰.

[۲۲۶] ابن شعبه الحرانى / تحف العقول / رساله الحقوق.

[۲۲۷] المصدر السابق.

[۲۲۸] المؤرخ الكبير ابن الاثير على بن ابى الكرم الشيبانى (ت ۶۳۰ هـ)، الكامل فى التاريخ: ۴ / ۲۱.

[۲۲۹] النصب: نوع من الغناء.

[۲۳۰] العلامه ادریس عماد الدین القرشی (ت ۸۷۲ هـ). عیون الاخبار، السبع الرابع / ص۸۳ ـ ۸۴ تقدیم وتحقیق الدکتور مصطفی غالب دار التراث الفاطمی بیروت ۱۹۷۳م.

[۲۳۱] النساء / الایه ۷۵.

[۲۳۲] من حکم الامام علی بن أبی طالب (علیه السلام).

[۲۳۳] المصدر السابق.

[۲۳۴] الطبری، محمد بن جریر، دلائل الامامه / ص۸۴.

[۲۳۵] ابن الاثیر، عز الدین الشیبانی، الکامل فی التاریخ ۴ / ۷۹.

[۲۳۶] ابن اعثم، ابو محمد احمد بن اعثم الکوفی ت نحو (۳۱۴ هـ)، کتاب الفتوح ۵ /

۲۲۱ _ ۲۲۲.

[۲۳۷] ابن قولویه، الفقیه جعفر بن محمد (ت ۳۶۷ ه_)، کامل الزیارات، الباب ۳۲، الحدیث ۱.

[۲۳۸] الراقصات: الابل لانها فی مشیها کأنها ترقص، وهذا القسم موجود فی الجاهلیه وصدر الاسلام والعصر الاموی والعباسی کذلک. قال قیس بن سعد بن عباده: والراقصات بکل اشعث اغبر خوص العیون تحثها الرکبانُ ما ابن المخلَّدِ ناسیاً اسیافنا فیمن نحاربه ولا النعمانُ.

[۲۳۹] ابن نما: جعفر بن محمد الحلی _ مثیر الاحزان / ص ۴۱، والمجلسی: بحار الانوار ۴۵ / ص ۱۱۳.

[۲۴۰] الزمر / الایه ۴۲.

[۲۴۱] ابن اعثم: الفتوح ۵ / ۲۲۸ _ ۲۲۹.

[۲۴۲] احمد بن اعثم، کتاب الفتوح / ص ۲۳۵ _ ۲۳۶، والخوارزمی، مقتل الحسین ج ۲ / ص۵۵ _ ۵۶. وذکر ابن الاثیر فی تاریخه ۴ / ۸۳ ان ابن زیاد قد جعل الغل فی یدی علی بن الحسین ورقبته وذلک لما ارسل بهم الی یزید فی دمشق.

[۲۴۳] الفقیه الکبیر الشیخ المفید، الارشاد / ص ۲۴۵ _ ۲۴۶، منشورات مؤسسه الاعلمی للمطبوعات _ الطبعه الثالثه (۱۳۹۹ ه_ _ ۱۹۷۹م).

[۲۴۴] ابن اعثم، الفتوح ۵ / ۲۴۲ _ ۲۴۳، والخوارزمی، مقتل الحسین ۲ / ۶۱ _ ۶۲.

[۲۴۵] الخوارزمی: مقتل الحسین ۲ / ۶۹ _ ۷۱، وانظر الفتوح ۵ / ۲۴۷ _ ۲۴۹.

[۲۴۶] الفتوح ۵ / ۲۴۹.

[۲۴۷] الخوارزمی، مقتل الحسین ۲ / ۷۴.

[۲۴۸] الرحمن / الایه ۴۱.

[۲۴۹] الخوارزمی: مقتل الحسین ۲ / ۷۴.

[۲۵۰] ابن الاثیر (ت ۶۳۰هجریه)، الکامل فی التأریخ ۴ / ۸۷.

[۲۵۱] ذکر الطبری فی تاریخه ۷ / ۳۱۴ عن عقبه بن سمعان قال: صحبت حسیناً، فخرجت معه من المدینه الی مکه، ومن مکه الی العراق، ولم أفارقه حتی قُتل، ولیس من مخاطبته الناس کلمه بالمدینه ولا بمکه

ولا فی الطریق ولا بالعراق، ولا فی عسکر، الی یوم مقتله، إلا وقد سمعتها. لا والله ما اَعطاهم ما یتذاکر الناس وما یزعمون من أن یضع یده فی ید یزید بن معاویه، ولا أن یُسیّروه الی ثغر من ثغور المسلمین ولکنه قال: دعونی فلاذهب فی هذه الارض العریضه حتی ننظر ما یصیر أمر الناس. وهذا النص القاطع عن ابن سمعان ینفی ادعاء یزید من طلب الحسین أن یسیر الی ثغر من ثغور المسلمین. والنص أحد الارقام التی تؤکد عملیات التشویه للصوره الناصعه التی علیها الحسین وثورته ویؤکد ان الاغلفه الاعلامیه المضلله کانت منذ عهد یزید.

[۲۵۲] السید ابو طالب الموفق الخوارزمی المکی / مقتل الحسین ج۲ ص۷۱ ـ ۷۲، واحمد بن اعثم / الفتوح ج۵ ص۲۵۰، وابن نما الحلی (۵۶۷ ـ ۶۴۵هـ)، مثیر الاحزان ص۵۸.

[۲۵۳] العلامه السید ابن طاووس / اللهوف / ص۱۱۶، والعلامه المجلسی / بحار الانوار ج۴۵ ص۱۲۸ ـ ۱۲۹، ومصادرها کثیره.

[۲۵۴] ابن الاثیر، الکامل فی التأریخ ۴ / ۱۰۳.

[۲۵۵] ابن الاثیر، الکامل فی التاریخ ۴ / ۱۰۳.

[۲۵۶] المسعودی، مروج الذهب ۳ / ۶۸ ـ ۶۹.

[۲۵۷] المسعودی، مروج الذهب ۳ / ۷۰ ـ ۷۱، والمفید، الارشاد / ۲۹۱، والمجلسی، البحار ۴۶ / ۱۲۲.

[۲۵۸] راجع موضوع المستلزمات القیادیه من هذا الکتاب، النقطه الرابعه «الشجاعه».

[۲۵۹] الطبقات الکبری لابن سعد ج ۵ / ص ۱۴۶ ـ ۱۴۷.

[۲۶۰] ابو الفرج الاصفهانی، مقاتل الطالبیین ص۸۶.

[۲۶۱] الزمر / آیه ۲۶.

[۲۶۲] سبأ / الایه ۲۵ ـ ۲۶.

[۲۶۳] الدکتور مصطفی الشکعه / الادب فی موکب الحضاره الاسلامیه ج۲ ص۶۵.

[۲۶۴] سوره النحل الایه ۴۵ ـ ۴۷ وتکمله الایه الاخیره (فان ربکم لرؤوف رحیم).

[۲۶۵] من تفسیر الایه المبارکه ولیس من نصها.

[۲۶۶] أیضاً من تفسیر

الايه المباركه.

[۲۶۷] الانبياء الايه ۱۲ _ ۱۴.

[۲۶۸] الانبياء / الايه / ۴۷.

[۲۶۹] ورّام الاشترى _ مجموعه ورّام ۲ / ص ۴۷ _ ۵۰، والديلمى _ اعلام الدين / ص ۳۲۳ _ ۳۲۵.

[۲۷۰] البقره / الايه ۲۰۶.

[۲۷۱] نسخه خطيه من التفسير المنسوب للامام الحسن العسكرى (عليه السلام).

[۲۷۲] د. عزمى اسلام _ لدفيج فنجنشتين / ص ۳۷۲ ط دار المعارف بمصر.

[۲۷۳] الديلمى _ اعلام الدين / ص ۳۲۸ _ ۳۲۹ وابن شهرآشوب / مناقب آل ابى طالب ج۴ ص۱۸۹.

[۲۷۴] الامام الحسن العسكرى (عليه السلام) / التفسير المنسوب اليه جمعته من نسختين خطيتين.

[۲۷۵] المصدر السابق.

[۲۷۶] على بن عيسى الاربلى _ كشف الغمه ۲ / ۱۰۶.

[۲۷۷] المجلسى _ البحار ۱۷ / ۱۰۶.

[۲۷۸] الكلينى _ اصول الكافى _ على هامش مرآت العقول ۲ / ۴۲۸.

[۲۷۹] الشيخ المفيد _ الامالى / ص ۲۰۷، والديلمى _ ارشاد القلوب / ص ۲۵.

[۲۸۰] الشيخ الصدوق _ الخصال باب الواحد.

[۲۸۱] تحف العقول، فصل: وروى عنه فى قصار هذهِ المعانى.

[۲۸۲] اعلام الدين / فصل من كلام على بن الحسين.

[۲۸۳] الديلمى _ ارشاد القلوب / ص ۲۵.

[۲۸۴] وفى روايه ورام الاشترى _ مجموعه ورام ۲ / ۲۴ الدنيا سنه. والسنه اشبه بالنوم الخفيف.

[۲۸۵] الصدوق _ الخصال باب الوصيه بخصله / ص ۱۶.

[۲۸۶] ابن سعد _ الطبقات الکبری ج ۵ / ص ۲۱۳ _ ۲۱۴.

[۲۸۷] آل عمران / الایه ۱۰۴.

[۲۸۸] الحج / الایه ۴۱.

[۲۸۹] البقره / الایه ۸۵.

[۲۹۰] ابن الصباغ المالکی _ الفصول المهمه / ص ۲۰۲.

[۲۹۱] الحسن بن محمد الدیلمی _ ارشاد القلوب / ص ۲۵.

[۲۹۲] تاریخ دمشق _ نسخه مصوره علی النسخه الخطیه فی المکتبه الظاهریه بدمشق.

[۲۹۳] المصدر السابق.

[۲۹۴] تحف العقول _ فصل: وروی عن الامام

زين العابدين (عليه السلام)، فى قصار هذه المعانى.

[۲۹۵] المسعودى، على بن الحسين، التنبيه والاشراف ص۲۶۴ _ ۲۶۵ دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف، القاهره.

[۲۹۶] ورّام بن ابى فراس المالكى الاشترى ت (۶۰۵ هـ)، تنبيه الخواطر ونزهه النواظر ۱ / ۷۲ / بيروت دار التعارف.

[۲۹۷] مؤلف مجهول من القرن الحادى عشر، تاريخ الخلفاء / ص۲۰۳ قام بنشر النسخه المصوره للمخطوطه الوحيده بطرس غرياز نيوپچ / موسكو ۱۹۶۷م.

[۲۹۸] ابن قتيبه الدينورى، الامامه والسياسه.

[۲۹۹] اليعقوبى احمد بن ابى يعقوب. تاريخ اليعقوبى، دار صادر بيروت ج ۲ / ص ۲۵۴.

[۳۰۰] ابن قتيبه / الامامه والسياسه عند ذكره بيعه اهل الشام لمروان بن الحكم.

[۳۰۱] مروج الذهب ۳ / ۸۶.

[۳۰۲] مروج الذهب ۳: ۷۶ _ ۷۷.

[۳۰۳] المصدر السابق.

[۳۰۴] ابو الفداء بن كثير الدمشقى ت (۷۷۴ هـ) البدايه والنهايه ۵ / ۱۱۹ _ ۱۲۰، وابن عساكر / تاريخ دمشق / مصوّره، وذكرها الشيخ المفيد فى الارشاد / ص ۲۵۸ وفى الامالى، وابن الصباغ المالكى، الفصول المهمّه / ص ۲۰۳.

[۳۰۵] تاريخ اليعقوبى ۲ / ۳۰۴ _ ۳۰۵.

[۳۰۶] الحج / ۳۸.

[۳۰۷] ديوان الفرزدق ۲ / ۱۷۸، ابن عساكر / تاريخ دمشق، نسخه مصوّره، ابو نعيم الاصفهانى، حليه الاولياء ۳ / ۱۳۹، ابن الصباغ المالكى، الفصول المهمه / ص ۲۰۷ _ ۲۰۸ و المصادر كثيره جداً.

[۳۰۸] انظر المسعودى، مروج الذهب ۳ / ۲۰۳، والتنبيه والاشراف / ص ۲۷۸.

[۳۰۹] الصحيفه السجّاديّه: من دعائه اذا اعتدى عليه او راى من الظالمين ما لا يحب.

[۳۱۰] الجرداء: الارض الجرداء.

[۳۱۱] يذكر التاريخ ان زين العابدين (عليه السلام) كان يحمل الماء للضعفاء من جيرانه.

[۳۱۲] السعاء: الكثير الجد والسعى.

[۳۱۳] هشام بن عبد الملك بن مروان وكان آنذاك ولى العهد.

[۳۱۴] مراء: جدال، اى ان

الحلال والحرام يدرك سر الامام زين العابدين بدون جدال.

[۳۱۵] الاخاذه: التی تأخذ القلوب بروعتها وجمالها.

[۳۱۶] أی الفضه والذهب.

[۳۱۷] بمعنی الاسراء الی الله تبارک وتعالی والتوجه الکامل نحوه.

[۳۱۸] حذّاء: سریعه.

[۳۱۹] العانی: الاسیر.

[۳۲۰] دمشقه: لغه فی دمشق.

[۳۲۱] زینیّه: نسبه للامام زین العابدین (علیه السلام).

[۳۲۲] القصیده للمؤلف عفا الله عنه.

[۳۲۳] اذا کان یوم القیامه نادی مناد من بطنان العرش: لیقم زین العابدین، فکانی انظر الی ولدی علی بن الحسین یخطر بین الصفوف. (تاریخ دمشق: مصوره، وکفایه الطالب / ص ۴۴۸، وحلیه الابرار ۲ / ۸ ومصادرها کثیره).

[۳۲۴] بغول: بداهیه، بهلاک.

[۳۲۵] أی لو کان الامام زین العابدین هو الحاکم.

[۳۲۶] یاویک: یاویلک.

[۳۲۷] النبذ من الشی: القطعه منه.

[۳۲۸] التقدیر: وابنُ منصور.

[۳۲۹] راجع خطبتهُ (علیه السلام) فی موضوع «مع الحسین فی الثوره الخالده».

[۳۳۰] عذول: لائم.

[۳۳۱] راجع خطاب الامام زین العابدین (علیه السلام) فی مشارف المدینه المنوره فی فصل: مع الحسین فی الثوره الخالده _ ۳ _.

[۳۳۲] ذحول: جمع ذحل وهو الثأر.

[۳۳۳] المعقول: العقل وهو من استعمال اسم المفعول بمعنی المصدر.

[۳۳۴] وافق عدد ابیات القصیده سنه وفاه الامام زین العابدین (علیه السلام)، وهی ۹۴ للهجره علی المشهور.

[۳۳۵] الیعقوبی: تاریخ الیعقوبی ۲ / ۳۰۴.

[۳۳۶] الانصاری القرطبی، محمد بن احمد بن ابی بکر (ت ۶۷۱)، التذکره فی أحوال الموتی وامور الاخره / ص۶۴۵.

[۳۳۷] هکذا وردت ولعل الاصح عنک بدل عند.

[۳۳۸] سیر اعلام النبلاء ج۶ ص۳۰۸، تهذیب الکمال فی اسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدین بن الحجاج یوسف المزی ج۲ ص۷، الاعلام، خیر الدین الزرکلی ج۲ ص۲۷۷.

[۳۳۹] الفعله: العمال.

[۳۴۰] مناقب آل ابی طالب / لابن شهرآشوب ج۴ ص۱۴۰ _ ۱۴۱.

[۳۴۱] سوره الکهف: الایه ۵.

[۳۴۲] البیهقی، المحاسن والمساوئ ج ۱ / ص ۲۹.

[۳۴۳] شرح نهج البلاغه لابن

ابی الحدید ۱۸ / ۲۷۲، والنمرقه: وساده صغیره.

[۳۴۴] ومن القائلین بالنص من هؤلاء ابو الحسن الشمشاطی العدوی البغدادی (ت ۳۸۰هجریه) فی کتابه البرهان الجلی فی النص علی امیر المؤمنین علی کرم الله وجهه، انظر ینابیع الموده ص۸. ومنهم: الفقیه علی بن محمد بن محمد الشافعی، المعروف بابن المغازلی (ت ۴۸۳ هجریه) فی کتابه مناقب علی بن ابی طالب لا سیما فی الحدیث ۶۸ ص۴۵ _ ۴۶. وکما یعلم ذلک من الموفق الخوارزمی المکی (ت ۵۶۸ هجریه) فی کتابه المناقب. وکذلک الفقیه الکبیر، والمؤرخ الشهیر احمد بن عبدالله بن محمد بن ابی بکر الطبری شیخ الحرم المکی، ومن ارکان الشافعیه (م ۶۱۵ ت۶۹۴ هجریه) فی کتابه ذخائر العقبی، لا سیما فی العنوان «ذکر اختصاصه بسیاده العرب وحث الانصار علی حبه» والعنوان «ذکر اختصاصه بسیاده المسلمین وولایه المتقین» _ ص۷۰ عنیت بنشر الکتاب مکتبه القدسی _ القاهره _ ط. ۱۳۵۶ هجریه. ومن القائلین بالنص: سلیمان القندوزی الحنفی (ت ۱۲۹۴ هجریه) فی کتابه المشهور ینابیع الموده لا سیما فی الباب الثامن والثلاثین فی تفسیر قوله تعالی: (یا ایها الذین امنوا اطیعوا الله واطیعوا الرسول واولی الامر منکم) ص۱۱۴ _ ۱۱۷، ولا ینبغی ان یقال: انه مجرد نقل لجمله من الروایات، وآراء بعض المفسرین، واعلام الدین، فحسب، ومثل هذا لا یکفی فی الدلاله علی المطلوب. وذلک لان المؤلف رضوان الله علیه فی صدد تفسیر قوله تعالی..... (... واولی الامرِ منکم) وقد فسّرها اعتماداً علی جمله من الروایات، واقوال بعض اعلام الدین. وإن بامکان القارئ ان یتلمَّس بوضوح القول بالنص فی کلام الدکتور عبد الرحمن الکیالی الحلبی فقد قال وهو یتحدث عن واقعه الغدیر: وفی کل ما حدث، بقی العالم

الاسـلامی بعیداً عن فهم الحقیقه، حقیقه الحدث التأریخی، الذی لو عمل به صحابه العهد النبویّ، ونفّذ ما جاء فی الوصیه حسبما اراد الرسول الامین، والمؤسـس الاعظم، لما وقع ما وقع، واصاب المسـلمین ما اصاب، من بلاء الشقاق، وشقاء الاختلاف ولبقیت وحده المسـلمین متماسـکه الحلقات، سـلیمهً من النوازع والرغبات، وسارت الخلافه یحفّها النصـر، وتظللها اعلامُ الهدی والرشاد، فی طریق القوه والاجماع، کما رسم خططها الرسول. من رساله بعثها الـدکتور المـذکور الی العلامه عبد الحسـین الامینی النجفی وقد نشرها الاخیر فی کتابه الغدیر ج۴ ص / ج د ه_و.

[۳۴۵] آل عمران الایه / ۱۵۹.

[۳۴۶] الشوری الایه / ۳۸.

[۳۴۷] نسخه خطیّه من نهج البلاغه کتبت سنه (۴۹۴ ه_).

[۳۴۸] النسخه الخطیه المذکوره.

[۳۴۹] راجع مسـند الامام احمد بن حنبل ج۱ ص۱۱۹، واسد الغابه لابن الاثیر ج۵ ص۲۰۵، ومجمع الزوائد للحافظ الهیثمی ج۹ ص۱۰۶، والغدیر للعلامه عبد الحسین الامینی ج۱ ص۱۶۶ _ ۱۸۶.

[۳۵۰] کفایه الاثر فی النص علی الائمه الاثنی عشر لعلی بن محمد الخزاز (القرن الرابع الهجری) نسخه خطیه.

[۳۵۱] المصدر السابق.

[۳۵۲] نهج البلاغه ج۱ ص۱۵۱ طبعه دار الاندلس، بیروت.

[۳۵۳] من خطبه للامام علی (علیه السلام).

[۳۵۴] الانفال: ۴۶.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها علی ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب علی موقع القائمية ويمكن تحميلها علی الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩